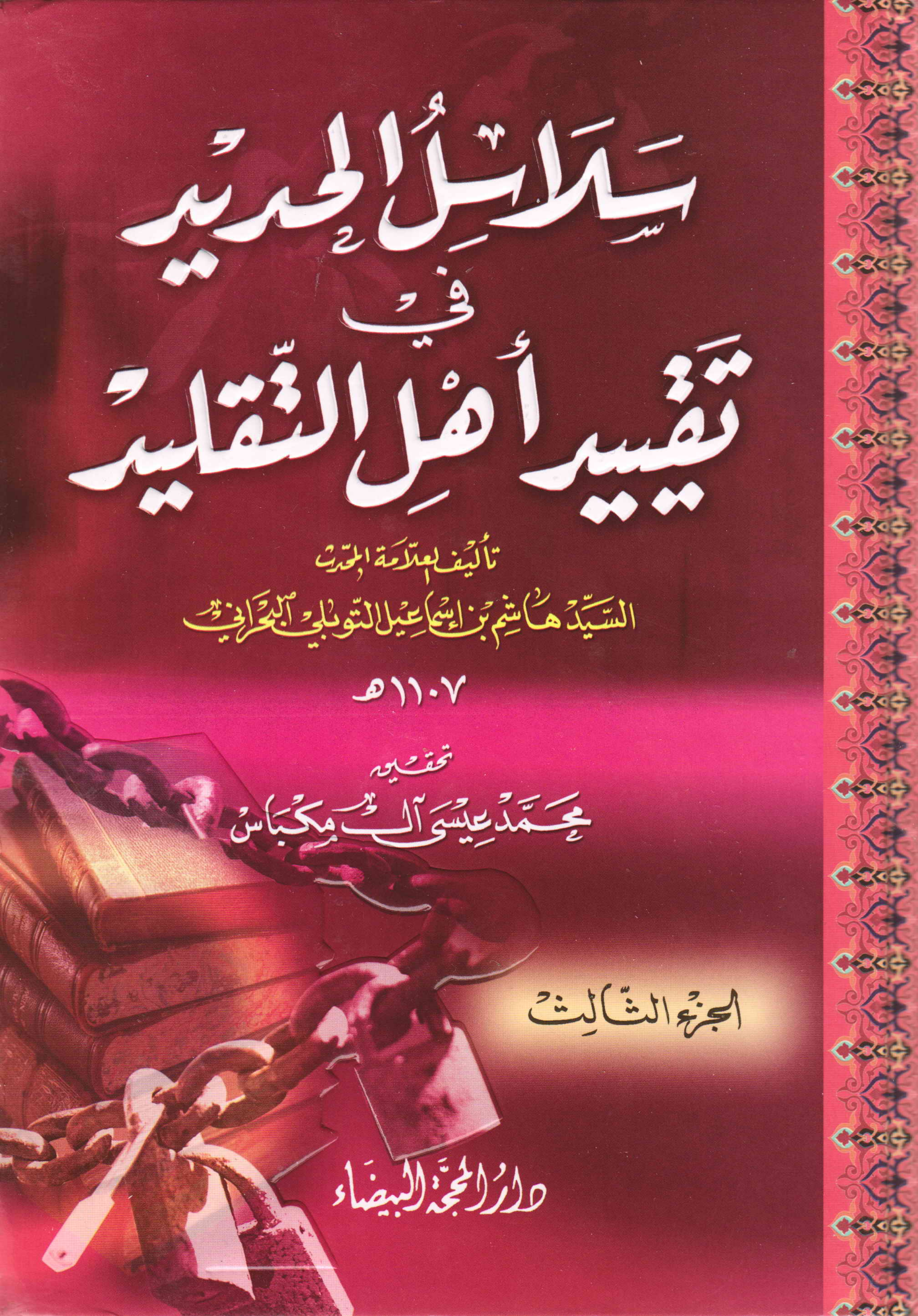

سَلاسِلُ الحديد
في
تقييد أهْلِ التّقليد
تأليف العلامة المحدث
السيّد هاشم بن إسماعيل التوبلي البحراني
١١٠٧هـ
تحقيق
محمّد عيسى آل مكباس
الجزء الثالث
دار المحجة البيضاء

سلاسل الحديد في تقييد أهل التقليد

الجزء الثالث

تأليف العلامة المحدث
السيد هاشم بن إسماعيل التوبلي البحراني

تحقيق
محمد عيسى آل مكباس



دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

الباب
التاسع والأربعون
في أنه نازع الأولين في الخلافة
وفي تظلمه عليه السلام مضافاً إلى ما سبق

ابن أبي الحديد قال: وروى الواقدي في كتاب الشورى، عن ابن عباس رحمه الله قال: شهدت عتاب عثمان لعلي عليه السلام يوماً، فقال له في بعض ما قاله: نشدتك الله أن تفتح للفرقة باباً، فلعمري بك وأنت تطيع عتيقاً وابن الخطاب طاعتك لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولست بدون واحد منهما، وأنا أمسّ بك وجهاً، وأقرب إليك صهراً، فإن كنت تزعم أن هذا الأمر جعله رسول الله لك، فقد رأيناك حين توفي نازعت ثم أقررت، فإن كانا لم يركبا من الأمر جدداً فكيف أذعنت لهما بالبيعة، وبخعت بالطاعة، وإن كانا أحسنا فيما وليا، ولم أقصر عنهما في ديني وحسبي وقرابتي، فكن لي كما كنت لهما، فقال علي عليه السلام: أما الفرقة فمعاذ الله أن أفتح لها باباً، وأسهل إليها سبيلاً، ولكني أنهاك عما ينهاك الله ورسوله عنه، وأما عتيق وابن الخطاب فإن كانا أخذا ما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله لي فأنت أعلم بذلك والمسلمون، وما لي ولهذا الأمر، وقد تركته منذ حين، فأما لا يكون حقي بل المسلمون فيه شرع، فقد أصاب السهم الثغرة، وأما أن يكون حقي دونهم فقد تركته لهم، طبت به نفساً أو نقصت يدي عنه استصلاحاً، وأما التسوية بينك وبينهما، فلست كأحدهما، إنهما وليا هذا الأمر فظلفت أنفسهما وأهلهما عنه، وعمت فيه وقومك عموم السابح في

اللجة، فأرجع إلى الله أبا عمرو، وأنظر هل بقي من عمرك إلاّ كظم الحمار فحتى متى وإلى متى، ألا تنهي سفهاء بني أمية عن أعراض المسلمين، وأبشارهم وأموالهم، والله لو ظلم عامل من عمالك حيث تغرب الشمس لكان إثمه مشتركاً بينه وبينك.

قال ابن عباس: فقال عثمان: لك العتبى، وأفعل وأعزل من عمالي كل من تكرهه ويكرهه المسلمون، ثم افترقا، فصده مروان بن الحكم عن ذلك، وقال: يجتريء عليك الناس، فلم يعزل أحداً منهم.[١]

قال في الأصل ومنها: وقال قايل إنك يا ابن أبي طالب على هذا الأمر لحريص، قلت: بل أنتم أحرص وأبعد، وأنا أخص وأقرب، وإنما طلبت حقاً لي، وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه، فزعمته بالحجة في الملاء الحاضرين به، لا يردني ما يجيبني به، اللهم إني استعديك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي، ثم قالوا ألا إن في الحق أن تأخذه، وفي الحق أن تتركه.[٢]

قال في الشرح: هذا من خطبة يذكر فيها عليه السلام ما جرى يوم الشورى بعد مقتل عمر، والذي قال له إنك على هذا الأمر لحريص سعد ابن أبي وقاص

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥/٩.

[٢] - نهج البلاغة ٨٤/٢

مع روايته فيه أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وهذا أعجب، فقال لهم، بل أنتم والله أحرص وأبعد، الكلام المذكور، وقد رواه الناس كافة.

وقالت الإمامية: هذا الكلام يوم السقيفة، والذي قال له إنك على هذا الأمر لحريص أبو عبيدة بن الجراح، والرواية الأولى أظهر وأشهر، وروى فلما فزعته - بالتخفيف- أي صدمته بها، وري وهب لا يدري ما يجيبني، كما تقول استيقظ وانتبه، كأنه كان غافلاً ذاهلاً عن الحجة، فهب لما ذكرها، استعديك أطلب أن تعيدني عليهم، وأن تنتصف لي منهم، قطعوا رحمي، لم يرعوا قربه من رسول الله ﷺ، وصغروا عظيم منزلتي، لم يقفوا مع النصوص الواردة فيه، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي، أي بالأفضلية، أي أنا أحق به منهم، هكذا ينبغي أن يتأول كلامه عليه السلام، وكذلك قوله إنما طلبت حقاً لي، وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه.

قال: ثم قالوا: ألا في الحق أن نأخذه، وفي الحق أن تتركه، قال: لم يقتصروا على أخذ حقي ساكتين عن الدعوى، ولكنهم أخذوه وادعوا أن الحق لهم، وأنه يجب عليّ أن أترك المنازعة فيه، فليتهم أخذوه معترفين بأنه حقي فكانت المصيبة به أخف.

وأعلم أنه قد تواترت الأخبار عنه عليه السلام بنحو من هذا القول قوله ما زلت مظلوماً منذ قبض الله نبيه حتى يوم الناس هذا، وقوله اللهم أجز قريشاً، فإنها منعتني حقي، وغصبتني أمري.

قوله: فجزى قريشاً عني الجوازي، فإنهم ظلموني حقي، واغتصبوني سلطان ابن أمي، وقوله وقد سمع صارخاً ينادي أنا مظلوم، فقال: هلم فنصرخ معاً، فإني ما زلت مظلوماً.[١]

قوله: وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، وقوله أرى تراثي نهباً، وقوله استضعافاً، وحملا الناس على رقابنا، وقوله إن لنا حقاً إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل وإن طال السرى، وقوله ما زلت مستأثراً عليّ، مدفوعاً عما استحقه و استوجبه.

وأصحابنا يحملون ذلك كله على ادعائه الأمر بالأفضلية والأحقية، وهو الحق والصواب، فإن حمله على الإستحقاق بالنص تكفير وتفسيق لوجوه المهاجرين والأنصار، ولكن الإمامية والزيدية حملوا هذه الأقوال على ظواهرها، وارتكبوها مركباً صعباً، ولعمري إن هذه الألفاظ موهمة مغلبة على الظن ما يقوله القوم، لكن تصفح الأحوال يبطل ذلك الظن، ويدرأ ذلك الوهم، فوجب أان يجري مجرى الآيات المتشابهات الموهمة التي ما لايجوز على الباري، فإنا لا نعمل بها، ولا نقول على ظواهرها، لأنا إذا تصفحنا أدلة العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللفظ، وأن يحمل على التأويلات المذكورة في الكتب.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٠٥/٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٠٧/٩.

أقول: لا يخفى على من له أدنى تأمل أن كلام أمير المؤمنينعليه السلام أن الإمامة والخلافة حق واجب له، ومن أخذه منه كان غاصباً منذ بعث رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو صريح كلامه عليه السلام، وما نقله ابن أبي الحديد من تأويل أصحابه المعتزلة فهو باطل، والحق ما ذهبت إليه الإمامية، كما نقله عنهم وآل كلامه إليه بعد ذلك، وهو واضح بيّن لا خفى فيه، وليس هذا من المتشابهات كما ذكره، بل هي من النصوص الصريحة التي لا تقبل التأويل.

قال الاصل: ومن كلام له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وخاطبه العباس وأبو سفيان أن يبايعا: أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة، أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح، هذا ماء آجن، ولقمة يغص بها آكلها، ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير أرضه، فإن أقل تقولوا حرص على الملك، وإن أسكت تقولوا جزع من الموت، هيهات بعد اللتيا والتي، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه، بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لأضطربتم إضطراب الأريشة في الطوى البعيدة.[1]

قال في الشرح: المفاخرة أن يذكر كل واحد من الرجلين مفاخره وفضائله وقدمه، ثم يتحاكما إلى ثالث، والماء الآجن المتغير الفاسد، آجن

[1] - نهج البلاغة ٤٠/١.

الماء - بفتح الجيم- يأجن وياجن - بالكسر والضم- والإيناع إدراك الثمرة واللتيا تصغير التي كما أن اللذيا تصغير الذي، واندمجت انطويت، والطوى البير المطوية بالحجارة، يقول تخلصوا من الفتنة، وانجوا منها بالمتاركة والمسالمة، والعدول عن المنافرة والمفاخرة، أفلح من نهض بجناح، أي مات شبه الميت المفارق للدنيا بطاير ينهض عن الأرض بجناحه، ويحتمل أن يريد بذلك أفلح من أعتزل هذا العالم، وساخ في الأرض منقطعاً عن تكاليف الدنيا، ويحتمل أيضاً أن يريد أفلح من نهض في طلب الرياسة بناصر وأعوان يجاهدون بين يديه، وعلى التقادير كلها تنطبق اللفظة الثانية، وهي قوله واستسلم فأراح، أي أراح نفسه باستسلامه، ثم قال الإمرة على الناس وخيمة العاقبة، ذات مشقة في العاجلة، فهي في عاجلها كالماء الآجن يجد شاربه مشقة في عاجلها، كاللقمة التي تحدث عن أكلها الغصة، وبعض مفتوح حرف المضارعة، ومفتوح الغين، أصله غصصت بالكسر، ويحتمل أن يكون الأمران معاً للمعالجة، لأن الغصص في أول البلع، كما أن ألم الشرب للماء الآجن يحدث في أول الشرب، ويجوز أن لا يكون عن الإمرة المطلقة، بل هذه الأمران المخصوصة يعني بيعة السقيفة، ثم أخذ في الإعتذار عن الإمساك وترك المنازعة، فقال مجتني الثمرة قبل أن تدرك لا ينتفع بما اجتناه، كمن زرع في غير أرضه لا ينتفع بذلك الزرع، يريد أنه ليس هذا الوقت هو الوقت الذي يسوغ لي فيه طلب الأمر، وإنه لم يأن بعد، ثم قال حصلت بين حالين إن قلت قال الناس حرص على الملك، وإن أقل قالوا جزع من الموت، ثم قال

هيهات استبعاداً لظنهم الجزع، ثم قال بعد اللتيا والتي، أجزع بعد أن قاسيت الأهوال الكبار والصغار، ومنيت بكل داهية عظيمة وصغيرة، فاللتيا الصغيرة والتي الكبيرة، ثم ذكر أن أنسه بالموت كإنس الطفل بثدي أمه، وأنه انطوى على علم هو ممتنع بموجبه من المنازعة، وأن ذلك العلم لا يباح به، لو باح به لأضطرب سامعوه كإضطراب الأريشة، وهي الحبال فى البير البعيد القعر، وهذا إشارة إلى الوصية التي خص بها عليه السلام وأنه قد كان من جملتها الأمر بترك النزاع في مبدأ الإختلاف عليه.[١]

فأما القطب الراوندي فقال عليه السلام شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، معنا كونوا مع أهل البيت، لأنهم سفن النجاة، لقوله عليه السلام مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق.[٢]

ولقائل أن يقول: لا شبهة أن أهل البيت سفن النجاة، ولكنهم لم يرادوا بها بهذه اللفظة، لأنه لو كان ذلك هو المراد، لكان قد أمر أبا سفيان والعباس بالكون مع أهل البيت، ومراده الآن يقبض ذلك، لأنه الآن يأمر بالتقية وإظهار اتباع الذين عقد لهم الأمر، ويروى أن الاستسلام هو المتعين، فالذي ظنه الروندي لا يحتمله الكلام ولا يناسبه، وقال أيضاً التعريج على الشيء

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٣/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٨/١.

الإقامة عليه، يقال عرج فلان على المنزل إذا جلس نفسه عليه بالتقدير، عرجوا على الاستقامة منصرفين عن المنافرة.[1]

ولقائل أن يقول: التعريج على الشيء الإقامة عليه، يقال: عرج فلان على المنزل إذا حبس نفسه عليه، فالتقدير عرجوا على الإستقامة منصرفين عن المنافرة.

ولقائل أن يقول: التعريج يعدى تارة بعن، وتارة بعلى، فإذا عديته بعن أردت التجنب والرفض، وإذا عديته بعلى أردت المقام والوقوف، وكلامه عليه السلام معدى بعن، قال وعرجوا عن طريق المنافرة.[2]

وقال: آنس بالموت، أي أسر به، وليس بتفسير صحيح، بل هو من الانس ضد الوحشة، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله اشتغل علي عليه السلام بغسله ودفنه، وبويع أبو بكر خلا الزبير وأبو سفيان وجماعة من المهاجرين بعلي عليه السلام والعباس لإجالة الرأي، وتكلموا بكلام يقتضي الاستنهاض والتهيج، فقال العباس ﴿رضي الله عنه﴾ قد سمعنا قولكم، فلا لقلة نستعين بكم، ولا لظنة نترك آرائكم، فأمهلونا نراجع الفكر، فإن يكن لنا من الإثم مخرج يصر بنا وبهم الحق صرير الجدجد، ونبسط إلى المجد أكفاً لا نقبضها، أو نبلغ المدى، وأن تكن الأخرى فلا لقلة في العدد، ولا لوهن في الأيد، والله لولا أن الإسلام

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١٨/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١٨/١.

قيد الفتك لتدكدت جنادل صخر نسمع اصطكاكها من المحل العلي، فحل علي عليه السلام حبوته.[1]

وقال: الصبر حلم، والتقوى دين، والحجة محمدة، والطريق الصراط، أيها الناس شقوا أمواج الفتن الخطبة، ثم نهض فدخل إلى منزله وافترق القوم.[2]

قال البراء بن عازب: لم أزل لبني هاشم محباً، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله خفت أن تتمالا قريش على إخراج هذا الأمر عنهم، فأخذني ما يأخذ الواله العجول مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فكنت أتردد إلى بني هاشم، وهم عند النبي صلى الله عليه وآله في الحجرة، واتفقد وجوه قريش، وإني كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر، وإذا قائل يقول القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذا قائل آخر يقول قد بويع أبو بكر، فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحابة السقيفة، وهم محتجرون بالأزر الصنعانية، لا يمرون بأحد إلاّ خبطوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه، شاء ذلك أو أبى، فأنكرت عقلي، وخرجت أشتد حتى أتيت إلى بني هاشم والباب مغلق، فضربت عليهم الباب ضرباً عنيفاً، وقلت قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة، فقال العباس: تربت أيديهم إلى آخر الدهر، أما أني قد أمرتكم فعصيتموني، فمكثت أكابدها في نفسي، ورأيت في الليل

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٨/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٩/١.

المقداد، وسلمان، وأبا ذر، وعبادة ابن الصامت، وأبا الهيثم ابن التيهان، وحذيفة، وعمار وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين، وبلغ ذلك أبا بكر وعمر فأرسلا إلى أبي عبيدة، وإلى المغيرة بن شعبة، فسألاهما عن الرأي، فقال المغيرة: الرأي أن تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده في هذا الأمر نصيباً، لتقطعوا بذلك ناحية علي بن أبي طالب عليه السلام، فأنطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة حتى دخلو على العباس، وذلك في الليلة الثانية من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه، وقال: إن الله بعث إليكم محمداً صلى الله عليه وآله نبياً، وللمؤمنين ولياً، فمنّ الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم حتى اختار له ما عنده، فخلى على الناس أمورهم ليختاروا لأنفسهم، متفقين غير مختلفين، فأختاروني عليهم والياً، ولأمورهم راعياً، فتوليت ذلك، وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً، ولا حيرة، ولا جبناً، وما توفيقي إلاّ بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، وما أنفك يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين، يتخذكم لجأ، فتكونون حصنه المنيع، وخطبه البديع، فإما دخلتم فيما دخل فيه الناس أو صرفتموهم عما مالوا إليه، وقد جيناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً، ولمن بعدك من عقبك، إذ كنت عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومكان أهلك، ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم، وعلى رسلكم بني هاشم، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منا ومنكم، فأعترض كلامه عمر، وخرج إلى مذهبه في الخشونة والوعيد، وإيتان الأمر من أصعب جهاته، والله وأخرى إنا لم نأتكم حاجة إليكم، ولكن كرهنا الطعن

أن يكون فيما أجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فأنظروا لأنفسكم ولعامتهم، ثم سكت.

فتكلم العباس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله تعالى بعث محمداً نبياً كما وصفت، وولياً للمؤمنين، فمنّ الله به على أمته حتى اختار له ما عنده، فخلى الناس يختارون لأنفسهم، مصيبين للحق، مائلين عن زيغ الهوى، فإن كنت برسول الله ﷺ طلبت فحقنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم، ما تقدمنا في أمركم فرطاً، ولا حللنا وسطاً، ولا نزحنا شحطاً، فإن كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنا كارهين، وما أبعد قولك أنهم طعنوا عليك، من قولك أنهم مالوا إليك، وأما ما بذلت لنا من حقك اعطيتناه فأمسكه عليك، وإن يكن حق المؤمنين فليس لك أن تحكم فيه، وإن يكن حقنا لم نرض منك ببعضه دون بعض، وما أ قول هذا أروم صرفك عما دخلت فيه، ولكن المحجة نصيبها من البيان، وأما قولك إن رسول الله ﷺ منا ومنكم، فإن رسول الله ﷺ من شجرة، ونحن أغصانها، وأنتم جيرانها، وأما قولك يا عمر إنك تخاف الناس علينا، فهذا الذي قدمتموه أول ذلك، وبالله المستعان.[1]

قال: لما اجتمع المهاجرون على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول: أما والله إني لأرى عجاجة لا يطفيها إلاّ الدم، يا لعبد مناف، فيم أبو بكر من أمركم، أين المستضعفان؟ أين الأذلان؟ يعني علياً والعباس، ما بال هذا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٠/١.

الأمر في أذل حي من قريش، ثم قال لعلي: ابسط يدك أبايعك، فوالله إن شيت لأملانها على أبي فصيل، يعني أبا بكر خيلاً ورجلاً، فأمتنع عليه علي عليه السلام، فلما يئس منه قام عنه وهو ينشد شعر:

ولا يقيم على ضيم يـــراد بـــه إلاّ الأذلان عـيـر الحي والوتد

هذ على الخسف مربوط برمته وذا يـشـج فـلا يرثي له أحـد[١]

قال: قيل لأبي قحافة لما ولي الأمر ابنه: قد ولي إبنك الخلافة فقرأ: ﴿قل اللهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء﴾، ثم قال: لم ولوه؟ قالوا: لسّنه، قال: فأنا أسن منه.[٢]

قال: نازع أبو سفيان أبا بكر في أمر فأغلظ له أبو بكر، فقال له أبو قحافة يا بني تقول هذا لأبي سفيان، شيخ البطحاء! قال: الله رفع بالإسلام بيوتاً، ووضع بيوتاً، فكان مما رفع بيتك يا أبة، ومما وضع بيت أبي سفيان.[٣]

قال: قال عليه السلام في خطبة له عليه السلام هلك من ادعى، وردي من اقتحم.[٤]

قال في الشرح: يريد هلك من ادعى وكذب، لا بد من تقدير ذلك، فإن الدعوى يعم الصدق والكذب، وكان يقول هلك من ادعى الإمامة، وردي

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢١/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٢/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٢/١.

[٤] - نهج البلاغة ٥٠/١.

من اقتحمها وولجها من غير استحقاق، لأن كلامه عليه السلام في هذه الخطبة كله كنايات عن الإمامة لا عن غيرها.

وقوله اليمين والشمال أمثال، لأن السالك الطريق المنهج اللاحب ناج، والعادل عنها يميناً وشمالاً معرض للخطر.[١]

وأما قوله لقد كانت أمور لم يكونوا عندي فيها محمودين، فمراده عليه السلام أمر عثمان وتقديمه في الخلافة عليه، من الناس من يحمل ذلك على خلافة الشيخين، وعندي يبعد أن يكون أراده، لأن المدة قد كانت طالت ولم يبق من يعاتبه ليقول قد كانت أمور لم يكونوا عندي فيها محمودين، فإن هذا الكلام يشعر بمعاتبة قوم على أمر كان أنكره منهم، وأما بيعة عثمان ثم ما جرى بينه وبين عثمان من منازعات طويلة، وغضب تارة، وصلح أخرى، ومراسلات خشنة ولطيفة، وكون الناس بالمدينة كانوا حزبين وفئتين، إحداهما معه عليه السلام، والأخرى مع عثمان، فإن صرف الكلام إلى ما قلناه بهذا الاعتبار أليق، ولسنا نمنع من أن يكون في كلامه عليه السلام الكثير من التوجد والتألم لصرف الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله عنه، وإنما كلامنا الآن في هذه اللفظات التي في هذه الخطبة على أن قوله عليه السلام سبق الرجلان، والاقتصار على ذلك فيه كفاية في انحرافه عنهما.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٨/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٠/١.

وأما قوله: حق وباطل، إلى آخر الفصل، فمعناه كل أمر فهو إما حق وإما باطل، ولكل واحد من هذين أهل، وما زال، أهل الباطل أكثر من أهل الحق، ولإن كان الحق قليلاً فربما كثر ولعله ينتصر أهله، ثم قال على سبيل التضجر بنفسه، وقلما أدبر شيء فأقبل، استبعد عليه السلام أن تعود دولة قوم بعد زوالها عنهم، ثم قال عليه السلام ولإن رجعت عليكم أموركم، أي إن ساعدني في الوقت، وتمكنت من أن أحكم فيكم بحكم الله تعالى ورسوله، وعادت إليكم أيام شبيهة بأيام رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيرة مماثلة لسيرته في أصحابه، إنكم السعداء.[1]

ثم قال عليه السلام: وإني لأخشى أن تكونوا في فترة، الفترة هي الأزمنة التي بين الأنبياء إذا انقطعت الرسل فيها، كالفترة التي بين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله، لأنه لم يكن بينهما نبي، بخلاف المدة التي كانت بين موسى وعيسى عليه السلام، لأنه بعث فيها أنبياءكثيرون، يقول عليه السلام أني لأخشى أن لا أتمكن من الحكم بكتاب الله فيكم، فتكونوا كالأمم الذين في أزمنة الفترة لا يرجعون إلى نبي يشافههم بالشرايع والأحكام، وكان عليه السلام قد كان يعلم أن الأمر سيضطرب عليه، ثم قال وما علينا إلاّ الاجتهاد، يقول أنا أعمل ما يجب عليّ من الإجتهاد في القيام بالشريعة، وعزل ولاة السوء، أمراء الفساد على المسلمين، فإن تم ما أريده فذاك، وإلاّ كنت قد أعذرت.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٠/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨١/١.

قال: قال شيخنا أبو عثمان يعني الجاحظ قال: قال أبو عبيدة و زاد فيها جعفر بن محمد عليه السلام عن أبائه عليهم السلام ألا إن أبرار عترتي، وأطايب ارومتي أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً، ألا وإنا أهل بيت من علم الله علمنا، وحكم الله حكمنا، ومن قول صادق سمعنا، فإن تتبعون آثارنا تهتدوا ببصايرنا، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدنا، معنا راية الحق من تبعها لحق، ومن تأخر عنها غرق، ألا وبنا تدرك ترة كل مؤمن، وبنا تخلع ربقة الذل عن أعناقكم، وبنا فتح لا بكم.[1]

قال في الشرح: وأما التتمة المروية عن جعفر بن محمد عليهما السلام فواضحة الألفاظ، وقوله في آخرها، وبنا يختم لا بكم، إشارة إلى المهدي الذي يبعث في آخر الزمان، وأكثر المحدثين على أنه من ولد فاطمة عليها السلام، وأصحابنا المعتزلة لا ينكرونه، وقد صرحوا بذلك في كتبهم، وأعترف به شيوخهم إلاّ أنه عندنا لم يخلق بعد، وسيخلق، وإلى هذا المذاهب يذهب أصحاب الحديث.[2]

وروى قاضي القضاة عن كافي الكفاة أبي القاسم إسماعيل بن عباد بإسناد متصل بعلي عليه السلام أنه ذكر المهدي عليه السلام وقال إنه من ولد الحسين عليه السلام، وذكر خلته فقال: رجل أجلى الجبين، أقنى الأنف، صخم البطن، أربل الفخذين، أفلج الثنايا، بفخده اليمين شامة.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٦/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨١/١.

وذكر هذا الحديث بعينه عبد الله بن قتيبة في كتاب غريب الحديث قال: روى أبو الحسن علي بن محمد المدائني، عن عبد الله بن جنادة، قال: قدمت من الحجاز أريد العراق في أول إمارة علي عليه السلام، فمررت بمكة فأعتمرت، ثم قدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إذ نودي الصلاة جامعة، فأجتمع الناس، وخرج علي عليه السلام متقلداً سيفه، فشخصت الأبصار نحوه، فحمد الله وصلى على رسوله، ثم قال: أما بعد فإنه لما قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله قلنا نحن أهله وورثته، وعترته وأوليائه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا، فصارت الإمرة لغيرنا، وصرنا سوقة، يطمع فينا الضعيف، ويتعزز علينا الذليل، فبكت الأعين من ذلك، وخشنت الصدور، وجزعت النفوس، وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويبور الدين لكنا على غير ما كنا لهم، فتولى ولاة لم يالوا الناس خيراً، ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي فبايعتموني على شيء مني لأمركم، ولفراسة تصدقني ما في قلوب كثير منكم، وبايعني هذان الرجلان في أول من بايع تعلمون ذلك، وقد نكثا غدراً، واتيا إلى البصرة بعايشة ليفرقا جماعتكم، ويلقيا بأسكم بينكم، اللهم فخذهما بما عملا أخذة رابية، ولا تنعش لهما صرعة، ولا تقلهما عثرة، ولا تمهلهما فواقاً، فإنهما يطلبان حقاً تركاه، ودماً سفكاه، اللهم إني اقتضيك وعدك، فإنك

قلت وقولك الحق ﴿ فمن بغي عليه لينصره الله﴾ فأنجز موعدي، ولا تكلني إلى نفسي، إنك على كل شيء قدير، ثم نزل.[١]

قال: وروى الكلبي قال: لما أراد علي عليه السلام المسير إلى البصرة قام فخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله: إن الله لما قبض نبيه استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسفك دمائهم، والناس حديثوا عهد بالإسلام، والدين يمخض محض الوطب، يفسده أدنى وهن، ويعكسه أقل خلف، فولي الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً، ثم انتقلوا إلى دار الجزاء، والله ولي تمحيص سيئاتهم، والعفو عن هفواتهم، فما بال طلحة والزبير وليسا من هذا الأمر بسبيل لم يصبرا عليّ حولاً ولا شهراً حتى وثبا ومرقا، ونازعاني أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلاً، بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين، يرتضعان أماً قد فطمت، ويحيان البدعة وقد أميتت، دم عثمان زعما والله ما التبعة إلاّ عندهم وفيهم، وإن أعظم حجتهم لعلى أنفسهم، وأنا راضي بحجة الله عليهم، وعلمه فيهم، فإن فاءا أو نابا فحظهما احرزا، وأنفسهما اغنما، وأعظم بها غنيمة، وإن أبيا أعطيتهما حد السيف، وكفى به ناصراً للحق، وشافياً من باطل، ثم نزل.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠٧/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠٨/١.

قال: روى أبو مخنف عن زيد بن صوحان، قال: شهدت علياً عليه السلام بذي قار، وهو بعمامة سوداء، ملتف بساح يخطب، فقال في خطبته: الحمد لله على كل أمر وحال في الغدو والآصال، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ابتعثه رحمة للعباد، وحياة للبلاد، حين امتلأت الأرض فتنة، وأضطرب جلها، وعبد الشيطان في أكنافها، وأشتمل عدو الله ابليس على عقائد أهلها، وكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي أطفأ الله به نيرانها، وأخمد به شرارها، ونزع به أوتادها، وأقام به ميلها، إمام الهدى، والنبي المصطفى صلى الله عليه وآله، فلقد صدع بما أمر به، وبلغ رسلات ربه، فأصلح الله به ذات البين، وأمن به السبل، وحقن به الدماء، وألف به بين ذوي الضغائن الواغرة في الصدور حتى أتاه اليقين، ثم قبضه الله إليه حميداً، فأستخلف الناس أبا بكر فلم يأل جهده، ثم استخلف أبو بكر عمر فلم يأل جهده، ثم استخلف الناس عثمان فنال منكم، ونلتم منه حتى إذا كان من أمره ما كان اتيتموني لمبايعتي فقلت لا حاجة إلى ذلك، ودخلت منزلي فأستخرجتموني، فقضبت يدي فبسطتموها، وتداككتم عليّ حتى ظننت أنكم قاتلي، وأن بعضكم قاتل بعض، فبايعتموني وأنا غير مسرور بذلك، ولا جذل، وقد علم الله سبحانه أني كنت كارهاً للحكومة بين أمة محمد عليه السلام، ولقد سمعته صلى الله عليه وآله يقول ما من والي يلي شيئاً من أمر أمتي إلاّ أتي به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه على رؤوس الخلائق، ثم ينشر كتابه، فإن كان عادلاً نجا، و إن كان جايراً هوى، حتى أجتمع عليّ ملؤكم، وبايعني طلحة والزبير، وأنا أعرف الغدر في وجوههما،

والنكث في أعينهما، ثم استأذناني في العمرة، فأعلمتها أن ليس للعمرة يريدان، فسارا إلى مكة، واستخفوا عايشة وخدعوها، وشخص معها أبناء الطلقاء، فقدموا البصرة، فقتلوا بها المسلمين، وفعلوا بها المنكر، ويا عجباً لاستقامتهما لأبي بكر وعمر، وبغيهما عليّ، وهما يعلمان أني لست دون أحدهما، ولو شيت أن أقول لقلت، ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه، فكتماه عني، وخرجا يوهمان الطغام أنهما يطلبان بدم عثمان، والله ما أنكر عليّ منكراً، ولا جعلا بيني وبينهم نصفاً، وإن دم عثمان لمعصوب بهما، ومطلوب منهما، يا خيبة الداعي، إلام دعا، وبماذا أجيب، والله إنهما لعلى ضلالة صماء، وجهالة عمياء، وإن الشيطان قد ذمر لهما حزبه، واستجلب منهما خيلة ورجله، ليعيد الجور إلى أوطانه، ويرد الباطل إلى نصابه، ثم رفع يديه فقال: اللهمّ إن طلحة والزبير قطعاني وظلماني، وألبا عليّ، ونكثا بيعتي، فأحلل ما عقدا، وأنكث ما أبرما، ولا تغفر لهما أبداً، وأرهما المساءة فيما عملا وأملا.[1]

قال أبو مخنف: فقام إليه الأشتر فقال: الحمد لله الذي منّ علينا فأفضل، وأحسن إلينا فأجمل، قد سمعنا كلامك يا أمير المؤمنين، ولقد أصبت ووفقت، وأنت ابن عم نبينا، وصهره ووصيه، وأول مصدق به، ومصل معه، شهدت مشاهده كلها، فكان لك الفضل فيها على جميع الأمة، فمن اتبعك أصاب حظه، واستبشر بفلجه، ومن عصاك ورغب عنك فإلى أمه الهاوية، لعمري يا

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠٩/١.

أمير المؤمنين ما أمر طحلة الزبير وعايشة علينا بمخيل، ولقد دخل الرجلان فيما دخلا فيه، وفارقا على غير حدث أحدثت، ولا جور صنعت، فإن زعما أنهما يطلبان بدم عثمان فليقتدا من أنفسهما، فإنهما أول من ألب عليه، وأغرى الناس بدمه، وأشهد الله لئن لم يدخلا فيما خرجا منه لنلحقهما بعثمان، فإن سيوفنا في عواتقنا، وقلوبنا في صدورنا، ونحن اليوم كما كنا أمس، ثم قعد.[1]

وقال: كتب علي عليه السلام إلى أخيه عقيل بعد مكاتبة عقيل أخيه إليه عليه السلام من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عقيل ابن أبي طالب، سلام الله عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلاّ هو، أما بعد: كلأنا الله وإياك كلاءة من يخشاه بالغيب، إنه حميد مجيد، وقد وصل إليّ كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدي يذكر أنك لقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح مقبلاً من قيدد في نحو من أربعين فارساً من أبناء الطلقاء متوجهين إلى جهة المغرب، وإن ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله، وصدّ عن سبيله، وبغاها عوجاً، فدع ابن أبي سرح، ودع عنك قريشاً، وخلهم وتركاضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق، ألا وإن العرب قد أجتمعت على حرب أخيك اليوم اجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقه، وجحدوا فضله، وبادروا العداوة، ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كل الجهد، وجروا إليه جيش

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣١٠/١.

الأحزاب، اللهم فأجز قريشاً عنا الجوازي، فقد قطعت رحمي، وتظاهرت عليّ، ودفعتني عن حقي، وسلبتني سلطان ابن أمي، وسلمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول، وسابقتي في الإسلام، إلاّ أن يدعي مدع ما لا أعرفه، ولا أظن الله يعرفه، والحمد لله على كل حال، فإما ما ذكرت من غارة الضحاك على أهل الحيرة، فهو أقل وأذل من أن يلم بها أو يدنو منها، ولكنه قد كان أقبل في جريدة خيل، فأخذ على السماوة، حتى مر بواقصة وشراف والقطقطانة مما والى ذلك الصقع، فوجهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين، فلما بلغه ذلك فر هارباً فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق، وقد أمعن، وكان ذلك حين طلعت الشمس للإياب، فتناوشوا القتال كلا ولا، فلم يصبر لوقع المشرفي، وولى هارباً، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً، ونجا جريضاً بعد ما أخذ منه بالمخنق، فلايا بلايا، ما نجا.

فأما ما سألتني أن أكتب إليك برائي فيما أنا فيه، فإن رأيي جهاد المحلين حتى ألقى الله، لا يزيدني معي كثرة الناس عزة، ولا تفرقهم عني وحشة، لأنني محق، والله مع المحق، والله ما أكره الموت على الحق، وما الخير كله إلاّ بعد الموت لمن كان محقاً، وأما ما عرضت عليّ مسيرك إلى بيتك وبني أبيك، فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً محموداً، فوالله ما أحب أن تهلكوا معي إن هلكت، ولا يحسبن ابن

أبيك لو أسلمه الناس متخشعاً ولا متضرعاً، إنه لكما قال أخو بني سليم شعر:

فان تسأليني كيف أنت فإنني   صبور على ريب الزمان صليب
يعز عليّ أن يرى بي كآبة   فيشمت عاد أو يساء حبيب[١]

وقال: وروى الشعبي عن شريح ابن هاني قال: قال علي عليه السلام: اللهم إني استعديك على قريش، فإنهم قطعوا رحمي، واصغوا انائي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي.[٢]

قال: وروى جابر عن أبي الطفيل قال سمعت علياً عليه السلام يقول: اللهم إني استعديك على قريش، فإنهم قطعوا رحمي، وغصبوني حقي، وأجمعوا على منازعتي أمراً كنت أولى به، ثم قالوا إن من الحق أن تأخذه، ومن الحق أن تتركه.[٣]

وقال: وروى أبو عمر النهدي قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا.[٤]

وقال: وروى شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله عن سلمة ابن كهيل، عن المسيب ابن نجبه قال: بينا علي عليه السلام يخطب إذ قام اعرابي فصاح وامظلمتاه،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٩/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٣/٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٣/٤.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٣/٤.

فاستدعاه علي عليه السلام، فلما دنا منه قال له: إنما لك مظلمة واحدة، وأنا قد ظلمت عدد المدر والوبر.[١]

قال: وفي رواية عباد ابن يعقوب أنه دعاه فقال له: ويحك، وأنا والله مظلوم أيضاً، هات فلندع على من ظلمنا.[٢]

قال: وروى سدير الصيرفي، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: اشتكى علي شكاية فعاده أبو بكر وعمر وخرجا من عنده فأتيا النبي صلى الله عليه وآله فسألهما من أين جيتما؟ قالا: عدنا علياً، قال كيف رأيتماه؟ قالا: رأيناه لما به، فقال: كلا إنه لن يموت حتى يوسع غدراً وبغياً، وليكونن في هذه الأمة عبرة تعتبر به الناس من بعده.[٣]

قال: وروى جابر الجعفي، عن محمد بن علي عليهما السلام قال: قال علي عليه السلام ما رأيت منذ بعث الله محمداً عليه السلام رخاء، ولقد اخافتني قريش صغيراً، وأنصبتني كبيراً حتى قبض الله رسوله، فكانت الطامة الكبرى، والله المستعان على ما تصفون.[٤]

وروى يونس بن حباب، عن انس بن مالك، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي ابن أبي طالب معنا فمررنا بحديقة، فقال علي يا رسول الله ألا

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠٦/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠٦/٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠٦/٤.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠٨/٤.

ترى ما أحسن هذه الحديقة، فقال: إن حديقتك في الجنة أحسن منها حتى مررنا بسبع حدايق يقول علي ما قال، ويجيبه رسول الله صلى الله عليه وآله بما أجابه، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وقف فوقفنا، فوضع رأسه على رأس علي وبكى، وقال علي: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: ضغاين في صدور قوم لا يبدونا لك حتى يفقدوني، قال: يا رسول الله أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبيد خضراهم، قال: بل تصبر، قال: فإن صبرت؟ قال: تلاقي جهداً، قال: أفي سلامة من ديني؟ قال: نعم، قال: فإذاً لا أبالي.[1]

قال: وسألت النقيب أبا جعفر يحيى ابن أبي زيد في كلام أمير المؤمنين عليه السلام مع معاوية في مكاتبة بينهما، فقال لي أبو جعفر: اكتب ما أمليه عليك فكتبته.

قال رحمه الله: كان معاوية يتسقط علياً عليه السلام وينعى عليه ما عساه يذكره من حال أبي بكر وعمر، وأنهما غصبا حقه، ولا يزال يكيده بالكتاب يكتبه، والرسالة يطلب عثرته، ليبعث ما في صدره من حال أبي بكر وعمر إما مكاتبة أو مراسلة، فيجعل ذلك حجة عليه عند أهل الشام، ويضيفه إلى ما قرره في أنفسهم من ذنوبه كما زعم، فقد كان غمصه عندهم بأنه قتل عثمان أو مالأ على قتله، وأنه قتل طلحة والزبير، وأسر عايشة، وأراق دماء أهل البصرة، وبقيت واحدة وهو أن يثبت عندهم أنه يبرأ من أبي بكر وعمر، وينسبهما إلى الظلم، ومخالفة الرسول صلى الله عليه وآله في أمر الخلافة، وأنهما وثبا عليه، وغصباه

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٧/٤.

إياها، فكانت هذه تكون الطامة الكبرى، وليست مقتصرة على افساد أهل الشام عليه، بل وأهل العراق الذين هم جنده وبطانته وأنصاره، لأنهم كانوا يعتقدون إمامة الشيخين إلاّ القليل الشاذ من خواص الشيعة، فلما كتب ذلك الكتاب إلى مسلم الخولاني قصد ان يغضب علياً ويخرجه، ويحوجه إذا قرأ ذكر أبي بكر، وأنه أفضل المسلمين إلى أن يرهن خطه في الجواب بكلمة تقتضي طعناً في أبي بكر، فكان الجواب مجمجماً غير بيّن، ليس فيه تصريح بالتظليم لهما، ولا التصريح ببراءتهما، وتارة يترحم عليهما، وتارة يقول أخذا حقي، وقد تركته لهما، فأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يكتب كتاباً ثانياً مناسباً للكتاب الأول ليستفزا فيه علياً عليه السلام ويستخفاه، ويحمله الغضب منه أن يكتب كلاماً يتعلقان به في تقبيح حاله، وتهجين مذهبه، وقال له عمرو وإن علياً عليه السلام رجل نزق تياه، وما استطعت منه الكلام بمثل تقريظ أبي بكر وعمر فاكتب، فكتب كتاباً انفذه إليه مع أبي امامة الباهلي، وهو من الصحابة بعد أن عزم على بعثه مع أبي الدرداء، ونسخة الكتاب من عبد الله معاوية ابن أبي سفيان إلى علي ابن أبي طالب عليه السلام، أما بعد: فإن الله تعالى جده بعث محمداً صلى الله عليه وآله لرسالته، واختصه بوحيه، وتأدية شريعته، فانقذ به من العماية، وهدى به من الغواية، ثم قبضه إليه رشيداً حميداً، قد بلغ الشرع، ومحق الشرك، وأخمد نار الإفك، فأحسن الله جزاءه، وضاعف عليه نعمه وآلاءه، ثم إن الله سبحانه اختص محمداً صلى الله عليه وآله بأصحاب أيدوه وآزروه، ونصروه، فكانوا كما قال الله سبحانه لهم ﴿**أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾، فإن أفضلهم مرتبة،

وأعلاهم عند الله والمسلمين منزلة الخليفة الأول، الذي جمع الكلمة، وألم الدعوة، قاتل أهل الردة، ثم الخليفة الثاني، الذي فتح الفتوح، ومصر الأمصار، وأذل رقاب المشركين، ثم الخليفة الثالث المظلوم، الذي نصر الملة، وطبق الآفاق بالكلمة الحنيفية، فلما استوثق الإسلام، وضرب بجرانه، عدوت عليه فبغيته الغوايل، ونصبت له المكايد، وضربت له بطن الأمر وظهره، ودسست عليه، وأغريت به، وقعدت حيث استنصرك عن نصرته، وسألك أن تدركه قبل أن يمزق، فما أدركته، وما يوم المسلمين منك بواحد، لقد حسدت أبا بكر، والتويت عليه، ورمت افساد أمره، وقعدت في بيتك عنه، واستغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته، ثم كرهت خلافة عمر وحسدته، وأستطلت مدته، وسررت بقتله، وظاهرت الشماتة بمصابه حتى أنك حاولت قتل ولده الذي قتل قاتل أبيه، ثم لم يكن أشد حسداً منك لابن عمك عثمان، نشرت قبايحه، وطويت محاسنه، وطعنت في فقهه، ثم في دينه، ثم في سريرته، ثم في عقله، وأغريت به السفهاء من أصحابك وشعيتك حتى قتلوه بمحضر منك، لا تدفع عنه لسان ولا يد، ما من هولاء إلاّ من بغيت عليه، وتلكأت في بيعته حتى حملت إليه قهراً، تساق بخزايم الاقتسار كما يساق العجل المخشوش، ثم نهضت الآن تطالب الخلافة، وقتلة عثمان خلصاؤك وسمراؤك، والمحدقون بك، وتلك من أماني النفوس، وضلالات الأهواء، فدع اللجاج والعبث جانباً، وادفع إلينا قتلة عثمان، وأعد الأمر شورى بين المسلمين ليتفقوا على من هو لله رضا، فلا بيعة لك في أعناقنا، ولا طاعة لك علينا، ولا عتبى لك عندنا، وليس

لك ولأصحابك عندي إلاّ السيف، والذي لا إله إلاّ هو لأطلبن قتلة عثمان أين كانوا حتى اقتلهم أو تلحق روحي بالله، فأما ما تزال تمت به من سابقتك وجهادك فإني وجدت الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**يمنون عليك أن اسلموا قل لا تمنوا عليّ اسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين**﴾،[١] ولو نظرت إلى حال نفسك لوجدتها أشد الأنفس امتناناً على الله بعلمها، وإذا كان الامتنان على السائل يبطل أجر الصدقة، فالامتنان على الله يبطل أجر الجهال، ويجعله كصفوان عليه تراب، فأصابه وابل، فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا، والله لا يهدي القوم الكافرين.[٢]

قال النقيب أبو جعفر: فلما وصل هذا الكتاب إلى علي عليه السلام مع أبي امامة الباهلي كلم أبا امامة بنحو ما كلم به أبا مسلم الخولاني، وكتب معه هذا الجواب، قال النقيب: وفي كتاب معاوية هذا ذكر لفظة الجمل المخشوش أو العجل لا في الكتاب الواصل مع أبي مسلم، وليس في ذلك هذه اللفظة، وإنما فيه حسدت الخلفاء وبغيت عليهم.[٣]

وقال: وروى نصر بن مزاحم في كتاب في كتاب صفين، عن عمر بن سعيد، عن أبي روق، قال: جاء أبو مسلم الخولاني في أمر قرأ أهل الشام إلى معاوية قبل مسير أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفين فقالوا يا معاوية علام تقاتل

---

[١] - الحجرات/١٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٤/١٥.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٧/١٥.

علياً وليس لك مثل صحبته ولا قرابته ولا سابقته، فقال: إني لا أدعي أن لي في الإسلام مثل صحبته، ولا مثل هجرته ولا قرابته، ولكن أخبروني عنكم ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً؟ قالوا: بلى، قال: فليدفع إلينا قتلته لنقتلهم به، ولا قتال بيننا وبينهم، قالوا: فاكتب إليه كتاباً يأته به بعضنا، فكتب مع أبي مسلم الخولاني: من معاوية بن أبي سفان إلى علي ابن أبي طالب، سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلاّ هو، أما بعد فإن الله اصطفى محمداً بعلمه، وجعله الأمين على وحيه، والرسول إلى خلقه، واجتبى له من المسلمين أعواناً أيده بهم، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام، فكان أفضلهم في الإسلام، وأنصحهم لله ورسله الخليفة من بعده، ثم خليفته من بعد خليفته، ثم الثالث الخليفة المظلموم عثمان، فكلهم حسدت، وعلى كلهم بغيت، عرفنا ذلك في نظرك الشزر، وقولك الهجر، وتنفسك الصعداء، وإبطائك عن الخلفاء، تقاد إلى متهم كما يقاد العجل المخشوش حتى تبايع وأنت كاره، ثم لم يكن لأحد منهم بأعظم حسداً منك لإبن عمك عثمان، وكان أحقهم أن لا تفعل ذلك به في قرابته وصهره، فقطعت رحمه، وقبحت محاسنه، وألبت الناس عليه، وبطنت ظهرت حتى ضربت إليه آباط الإبل، وقيدت إليه الخيل العراب، وحمل عليه السلاح في حضرة رسول الله ﷺ، فقتل معك في المحلة وأنت تسمع في داره الهائعة، لا تردع الظن والتهمة عن نفسك، بقول ولاعمل، وأقسم قسماً صادقاً لو قمت فيما كان من أمره مقاماً واحداً تنهنه الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحداً، ولمحى ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به

من المجانبة لعثمان والبغي عليه، وأخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنين، ايواؤك قتلة عثمان، فهم عضدك وأنصارك، ويدك وبطانتك، وقد ذكر لي أنك تتنصل من دمه، فإن كنت صادقاً فأمكنا من قتلته لنقتلهم به، ونحن أسرع الناس إليك وإلاّ فإنه ليس لك ولأصحابك إلاّ السيف، والذي لا إله إلاّ هو لنطلبن قتلة عثمان في الجبال والرمال، والبر والبحر، حتى يقتلهم الله أو لتحلقن أرواحنا بالله، والسلام.[١]

وقال نصر: فلما قدم أبو مسلم على علي عليه السلام بهذا الكتاب قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإنك قد قمت بأمر وليته، ووالله ما أحب لغيرك أن أعطيت الحق من نفسك، إن عثمان قتل مسلماً محرماً مظلوماً، فأدفع إلينا قتلته، وأنت أميرنا، فإن خالفك من الناس أحد كانت أيدينا لك ناصرة، وألسنتنا لك شاهدة، وكنت ذا عذر وحجة، فقال له علي عليه السلام أغد عليّ غداً وخذ كتابك، فأنصرف ثم رجع من غد ليأخذ جواب كتابه، فوجدا الناس قد بلغهم الذي جاء فيه فلبست الشيعة أسلحتها، ثم غدوا فملأوا المسجد ونادوا كلنا قتل عثمان، وأكثروا من النداء بذلك، وأذن لأبي مسلم فدخل فدفع إليه عليه السلام جواب كتاب معاوية، فقال أبو مسلم: لقد رأيت قوماً ما لك معهم أمر، قال: وما ذاك؟ قال: بلغ القوم أنك تريد تدفع إلينا قتلة عثمان فضجوا واجتمعوا ولبسوا السلاح، وزعموا أنهم كلهم قتلة عثمان، فقال علي عليه السلام: والله ما أردت أن أدفعهم إليكم طرفة عين قط، لقد ضربت هذا الأمر انفه وعينه،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٤/١٥.

فما رأيت ينبغي أن أدفعهم إليك ولا إلى غيرك، فخرج أبو مسلم بالكتاب وهو يقول الآن قد طاب الضراب.[١]

وكان جواب علي عليه السلام من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية ابن أبي سفيان، أما بعد: فإن أخا خولان قدم عليّ بكتاب منك تذكر فيه محمداً صلى الله عليه وآله وما أنعم الله به عليه من الهدى والوحي، فالحمد لله الذي صدقه الوعد، وأيده بالنصر، ومكّن له في البلاد، وأظهره على أهل العداوة والشنآن من قومه، الذين وثبوا عليه، وشنعوا له، وأظهروا تكذيبه، وبارزوه، وظاهروا على إخراجه، وعلى إخراج أصحابه وأهله، وألبوا عليه العرب، وجادلوهم على حربه، وجهدوا في أمره كل الجهد وقلبوا له الأمور حتى جاء الحق، وظهر أمر الله وهم كارهون، فكان أشد الناس عليه تأليباً وتحريضاً أسرته، والأدنى فالأدنى من قومه إلاّ من عصم الله، وذكرت أن الله تعالى اجتبى له من المسلمين أعواناً أيده الله بهم، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضايلهم في الإسلام، فكان أفضلهم زعمت في الإسلام، وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة، ولعمري إن مكانهما من الإسلام لعظيم، وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد، فرحمهما الله، وجزاهما أحسن ما عملا، وذكرت أن عثمان في الفضل تالياً، فإن يك عثمان محسناً، فسيجزيه الله بإحسانه، وإن يك مسيئاً فسيلقى رباً غفوراً لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، ولعمري إني لأرجو إذا أعطى الله لنا على قدر فضايلهم في الإسلام، ونصيحتهم لله ولرسوله أن يكن

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٥/١٥.

نصيباً في ذلك إلاّ وفر محمداً ﷺ لما دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد له، كنا أهل البيت أول من آمن بالله وصدقه فيما جاء به، فلبثنا أحوالاً كاملة مجرية تامة، وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا، فأراد قومنا قتل نبينا، واجتياح أصلنا، وهموا بنا الهموم، وفعلوا بنا الأفاعيل، ومنعونا الميرة، وأمسكوا عنا العذب، وألبسونا الخوف، وجعلوا علينا الارصاد والعيون، واضطرونا إلى جبل وعر، وأوقدوا لنا نار الحرب، وكتبوا بينهم كتاباً لا يواكلونا ولا يشاربونا، ولا يناكحونا ولا يبايعونا، ولا نأمن منهم حتى ندفع إليهم محمداً فيقتلوه ويمثلوا به، فلم نكن نأمن فيهم إلاّ من موسم إلى موسم، فعزم الله لنا على منعه، والذب عن حوزته، والرمي من وراء حرمته، والقيام بأسيافنا دونه في ساعات الخوف بالليل والنهار، فمؤمنا يرجو بذلك الثواب، وكافرنا يحامي عن الأصل، وأما من أسلم من قريش فإنهم مما نحن فيه أخلياء، فمنهم الخليفة الممنوع، ومنهم ذو العشيرة التي تدافع عنه، فلا يبغيه أحد مثل ما بغانا به قومنا من التلف، فهم من القتل بمكان نجوة وأمن، فكان ذلك ما شاء الله أن يكون ثم أمر الله تعالى رسوله بالهجرة وأذن له بعد ذلك في قتال المشركين، فكان إذا أحمر البأس، ودعيت نزال أقام أهل بيته فاستقدموا، فوقى أصحابه بهم حد الأسنة والسيوف، فقتل عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أحد، وجعفر يوم بدر مؤته، وأراد من لو شيت ذكرت إسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة مع النبي ﷺ غير مرة إلاّ أن آجالهم عجلت، ومنيته أخرت، والله ولي الإحسان إليهم، والمنّة عليهم بما اسلفوا من الصالحات، فما سمعت بأحد ولا رأيته هو

أنصح لله في طاعة رسوله، ولا أطوع لنبيه، ولا أصبر على اللأواء والضراء وحين البأس، ومواطن المكروه مع النبي ﷺ من هؤلاء النفر الذين سميت لك، وفي المهاجرين خير كثير نعرفه، جزاهم الله خيراً بأحسن أعمالهم، وذكرت حسدي الخلفاء وإبطائي عنهم، وبغيي عليهم، فأما البغي فمعاذ الله أن يكون، وأما الإبطاء عنهم، والكراهية لأمرهم فلست اعتذر للناس من ذلك، إن الله تعالى ذكره لما قبض نبيه ﷺ قالت قريش منا أمير، وقالت الأنصار منا أمير، فقالت قريش منا محمد فنحن أحق بالأمر، فعرفت ذلك الأنصار فسلمت لهم الولاية والسلطان، فإذا استحقوها بمحمد دون الأنصار، فإن أولى الناس بمحمد أحق به منهم وإلاّ فإن الأنصار أعظم العرب فيها نصيباً، فلا أدري أصحابي سلموا من أن يكونوا حقي أخذوا والأنصار ظلموا، بل عرفت أن حقي هو المأخوذ، وقد تركته لهم، تجاوز الله عنهم، وأما ما ذكرت من أمر عثمان وقطيعتي رحمه، وتأليبي عليه، فإن عثمان عمل ما قد بلغك، فصنع الناس به مارأيت، وإنك لتعلم أني قد كنت في عزلة عنه إلاّ أن تجتني ما بدا لك، وأما ماذكرت من أمر قتلة عثمان، فإني نظرت في هذا الأمر وضربت أنفه وعينه، فلم أر دفعهم إليك ولا إلى غيرك، ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك لا يكلفلونك أن تطلبهم في بر ولا بحر ولا سهل، وقد كان أبوك أتاني حين ولى الناس أبا بكر، فقال أنت أحق بمقام محمد وأولى الناس بهذا الأمر، وأنا زعيم لك بذلك عن من خالف عليك، ابسط يدك أبايعك، فلم أفعل، وأنت تعلم أن أباك قد كان قال ذلك وأراده

حتى كنت أنا الذي أبيت، لقرب عهد الناس بالكفر، ومخافة الفرقة بين الناس، فأبوك كان أعرف بحقي منك، فإن تعرف من حقي ما كان أبوك يعرف تصب رشدك، وإن لم تفعل فسيغني الله عنك، والسلام.[1]

وقال: ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً، وهو من محاسن الكتب: أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر اصطفاء الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله لدينه وتأييده إياه بمن أيده من أصحابه، فلقد جناه لنا الدهر منك عجباً، إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله تعالى عندنا، ونعمه علينا في نبينا، فكنت في ذلك كناقل الترم إلى هجر، وداعي مسددة إلى النضال، وزعمت أن افضل الناس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت أمراً إن تمّ اعتزلك كله، وإن نقص لم يلحقك ثلمه، وما أنت والفاضل والمفضول، والسايس والمسوس، وما للطلقاء وابناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الاولين، وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم، هيهات لقد حنّ قدح ليس منها، وطفق بحكم الله فيها من عليه الحكم لها، ألا تربع أيها الأنسان على ضلعك، وتعرف قصور ذرعك، وتتأخر خيث أخرك القدر، فما عليك غلبة المغلوب، ولا لك ظفر الظافر، وإنك لذهاب في التيه، رواغ عن القصد، ألا ترى غير مخبر لك، ولكن بنعمة الله أحدث، إن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين، ولكل فضل حتى إذا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥/٧٦.

استشهد شهيدنا قيل سيد الاشهداء، وخصه رسول الله ﷺ بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه، أو لا ترى إن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله، ولكل فضل، حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة، وذو الجناحين، ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه، لذكر ذاكر فضايل جمة، تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمجها آذان السامعين، فدع عنك من مالت به الرمية، فإنا صنايع ربنا، والناس بعد صنايع لنا، يمنعنا قديم عزنا، وعادي طولنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا، فنحكنا وأنكحنا فعل الأكفاء، ولستم هناك، وأنى لا يكون ذلك كلذلك، ومنا النبي، ومنكم المكذب، ومنا أسد الله، ومنكم أسد الأحلاف، ومنا سيدا شباب أهل الجنة، ومنكم صبية النار، ومنا خير نساء العالمين، ومنكم حمالة الحطب، في كثير مما لنا وعليكم، فإسلامنا ما قد سمع، وجاهليتنا لا تدفع، كتاب الله يجمع لنا ما شذّ عنا، وهو قوله سبحانه: ﴿واولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾، وقوله تعالى: ﴿ان أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾، فنحن مرة أولى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة، ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله ﷺ فلجوا عليهم، فإن يكن الفلج لهم، فالحق لنا دونكم، وإن يكن غيره فالأنصار على

دعواهم، وزعمت أني لكل الخلفاء حسدت، وعلى كلهم بغيت، فإن كان ذلك كذلك، فليس الجناية عليك، فيكون العذر اليك.

فتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وقلت: إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش، ولعمري والله لقد أردت أن تذم فمدحت، وأن تفضح فأفتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً، ما لم يكن شاكاً في دين الله، ولا مرتاباً ببيعته، وهذا حجتي لغيرك قصدها، ولكني أطلعت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها.[١]

---

[١] - نهج البلاغة ٣٣/٣.

الباب الخمسون

في أنه عليه السلام لا تأخذه في الله لومة لائم

ابن أبي الحديد قال: ومن كلام له عليه السلام كلم به طلحة والزبير بعد بيعته له بالخلافة وقد عتبا من ترك مشورتهما والاستعانة في الأمور بهما: لقد نقمتما يسيراً، وأرجأتما كثيراً، ألا تخبراني أي شيء لكما فيه حق دفعتكما عنه، وأي قسم استأثرت عليكما به، أم أي حق رفعه اليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه، أم جهلته أم أخطأت بابه، والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها، وحملتموني عليها، فلما أفضت لي، نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا، وأمرنا بالحكم به فأتبعته، وما استسن النبي صلى الله عليه وآله فأقتديته، فلم احتج في ذلك إلى رأيكما، ولا إلى رأي غيركما، ولا وقع حكم جهلته فأستشيركما، واخواني من المسلمين، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما، وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة، فإن ذلك أمر لم أحكم انا فيه برأي، ولا وليته هوى مني، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله قد فرغ منه، فلم احتج إليكما فيما قد فرغ الله منقسمته، وأمضى فيه حكمه، فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبى، أخذ الله بقلوبكم وقلوبنا إلى الحق، وألهمنا وإياكم الصبر.

ثم قال عليه السلام: رحم الله رجلاً رأى حقاً فأعان عليه، أو رأى جوراً فرده، وكان عوناً بالحق على صاحبه.[١]

قال في الشرح: قال روى الطبري في التاريخ ورواه أيضاً غيره أن الناس غشوه وتكاثروا عليه يطلبون مبايعته، وهو يأبى ذلك، ويقول: دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا يثبت عليه القول، ولا تقوم له القلوب، قالوا ننشدك الله ألا ترى الفتنة، ألا ترى ما حدث في الإسلام، ألا تخاف الله، فقال: قد أجبتكم لما أرى منكم، وأعلموا أني إن أجبتكم ركبت فيكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم بل أنا أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، فقالوا: ما نحن بمفارقيك حتى نبايعك، قال إن كان لا بد من ذلك ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفياً، ولا تكون إلاّ عن رضا المسلمين، وفي ملأ وجماعة، فقام والناس حوله فدخل المسجد وانثال عليه المسلمون فبايعوه فيهم طلحة والزبير.[٢]

قلت: قوله إن بيعتي لا تكون خفياً، ولا تكون إلاّ في المسجد بمحضر من جمهور الناس يشابه قوله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله للعباس لما سامه مد يده للبيعة إني أحب أن أصحر بها، وأكره أن أبايع من وراء رتاج، ثم ذكر عليه السلام أنه لما بويع عمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، ولم يحتج إلى رأيهما ولا رأي غيرهما، ولم يقع حكم يجهله فيستشيرهما، ولو وقع ذلك

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧/١١، نهج البلاغة ١٨٥/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩/١١، تاريخ الطبري ١٥٢/٥.

لأستشارهما وغيرهما، ولم يأنف من ذلك، ثم تكلم في معنى التفضيل في العطاء والتفضيل، فقال: إني عملت بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك وصدق عليه السلام، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله سوى بين الناس في العطاء، وهو مذهب أبي بكر، والعتبى الرضا، لست أرضيكما بإرتكاب ما لا يحل لي في الشرع ارتكابه، والضمير في صاحبه، وهو الهاء المجرورة ترجع إلى الجور، وكان عوناً بالعمل بالحق على صاحب الجور، وقد تقدم منا ذكر ما عتب به طلحة الزبير على أمير المؤمنين عليه السلام وأنهما قالا ما نراه يستشيرنا في أمر، ولا يفاوضنا في رأي، ويقطع الأمر دوننا، ويستبد بالحكم عنا، وكانا يرجوان غير ذلك، وأراد طلحة أن يوليه البصرة، وأراد الزبير أن يوليه الكوفة، فلما شاهدا صلابته في الدين، وقوته في العزم، وهجره الإدهان والمراقبة، ورفضه المدالسة والمواتية، وسلوكه في جميع مسالكه منهج الكتاب والسنة، وقد كانا يعلما أن ذلك قديماً من طبعه وسجيته، وكان عمر قال لهما ولغيرهما أما إن الأجلح إن وليها ليحملنهم على المحجة البيضاء، والصراط المستقيم، وكان النبي صلى الله عليه وآله من قبل قال وإن تولها علياً تجدوه هادياً مهدياً، إلاّ أنه ليس الخبر كالعيان، ولا القول كالفعل، ولا الوعد كالإنجاز، وحالا عنه، وتنكرا له، ووقعا فيه، وعاباه وغمصاه، وتطلبا له العلل والتأويلات، ونقما عليه الإستبداد، وترك المشاورة، وانتقلا من ذلك إلى الوقيعة فيه بمساواة الناس في قسمة المال، واثنيا على عمر وحمدا سيرته، وصوبا رأيه، وقالا إنه كان يفضل أهل السوابق، وضللا علياً عليه السلام فيما رآه، وقالا إنه أخطأ، وإنه خالف سيرة عمر، وهي السيرة

المحمودة التي لم تفضحها النبوة مع قرب عهدها منها، واتصالها بها، واستنجدا عليه الرؤساء من المسلمين الذين كان عمر يفضلهم وينفلهم فى القسم على غيرهم، والناس أبناء الدنيا، ويحبون المال حباً جماً، فتنكرت على أمير المؤمنين عليه السلام بتنكرها قلوب كثيرة، وثقلت عليه نيات كانت من قبل سليمة، ولقد كان عمر موفقاً حيث منع قريش المهاجرين وذوي السوابق من الخروج من المدينة، ونهاهم عن مخالطتهم، ورأى أن ذلك أس الفساد في الأرض، وأن الفتوح والغنائم قد أبطرت المسلمين، ومتى بعد الرؤوس والكبراء منهم عن دار الهجرة، وأنفردوا بأنفسهم، وخالطهم الناس في البلاد البعيدة لم يؤمن أن يحسنوا لهم الوثوب، وطلب الإمرة، ومفارقة الجماعة، وحل نظام الإلفة، ولكنه ﴿رضي الله عنه﴾ نقض هذا الرأي السديد بما فعله بعد طعن أبي لؤلؤة من أمر الشورى، فإن ذلك كان سبب كل فتنة وقعت وتقع إلى أن تنقضي الدنيا، وقد قدمنا ذكر ذلك، وشرحنا ما أدى إليه من أمر الشورى من الفساد بما حصل في نفس كل واحد منهم من الستة من ترشيحه للخلافة.[1]

قال: ومن كلام له عليه السلام: لإن أبيت على حسك السعدان مسهداً، واجر في الأغلال مصفداً، أحبّ إلى من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها، والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الألوان

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩/١١.

من فقرهم، كأنما اسودت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكداً، وكرر عليّ القول مردداً، فأصغيت له سمعي، فظن أني أبيعه ديني، وأبتع قياده، مفارقاً طريقي، فأحميت له حديدة، ثم أدنيتها من جسمه يعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد يحترق من مسها، فقلت له ثكلتك الثواكل ياعقيل، أتأن من حديدة أحماها إنسانها للعبة، وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه، أتان من الأذى، ولا أأنّ من لظى.[1]

وقال: سأل معاوية عقيلاً رحمه الله عن قصة الحديدة المحماة المذكورة، فبكى وقال أنا أحدثك يا معاوية عنه، ثم أحدثك عما سألت، نزل بالحسين إبنه ضيف فاستسلف درهماً اشترى به خبزاً، وأحتاج إلى إدام، فطلب من قنبر خادمهم أن يفتح له زقاً من زقاق عسل جائتهم من اليمن، فأخذ منه رطلاً، فلما طلبها علي عليه السلام ليقسمها قال: يا قنبر أظن انه حدث في الزق حدث، قال: نعم يا أمير المؤمنين، وأخبره، فغضب عليه السلام وقال: عليّ بحسين، فرفع الدرة، فقال: بحق عمي جعفر، وإنه إذا سئل بحق جعفر سكن، فقال له: ما حملك أن أخذت منه قبل القسمة؟ قال: إن لنا حقاً فإذا عطيناه رددناه، قال: فداك أبوك وإن كان لك فيه حق، فليس لك أن تنتفع بحقك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم، أما لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبل ثنيتك لأوجعتك ضرباً، ثم دفع إلى قنبر درهماً كان مصروراً في ردائه، وقال اشتر به خير عسل تقدر عليه، قال عقيل: والله لكأني أنظر إلى يدي علي وهي على فم الزق، وقنبر

---

[1] - نهج البلاغة ٢١٧/٢.

يقلب العسل فيه، ثم شده وجعل يبكي ويقول: اللهمّ اغفر لحسين، فإنه لم يعلم.

فقال معاوية: ذكرت من لا ينكر فضله، رحم الله أبا حسن، فلقد سبق من كان قبله، وأعجز من يأتي بعده، هلم حديث الحديدة، قال: نعم، أقويت أصابتني مخمصة شديدة فسألته فلم تند صفاته، فجمعت صبياني وجيته بهم والبؤس والضر ظاهران عليهم، فقال: ايتي عشية لأدفع إليك شيئاً، فجئته يقودني أحد ولدي، فأمره بالتنحي، ثم قال: ألا فدونك ما هو، فأهويت حريصاً قد غلبني الجشع أظنها صرة، فوضعت يدي على حديدة تلتهب ناراً، فلما قبضتها نبذتها وخرت كما يخور الثور تحت يد جازره، فقال لي: ثكلتك أمك هذا من حديد أوقدت لها نار الدنيا، فكيف بك و بي غداً إن سلكنا في سلاسل جهنم ثم قرأ: ﴿**إذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون**﴾،[1] ثم قال: ليس عندي فوق حقك الذي فرضه الله لك، إلاّ ما ترى، فانصرف إلى أهلك.

فجعل معاوية يتعجب ويقول: هيهات هيهات، عقمت النساء أن يلدن مثله.[2]

والأخبار في الباب كثيرة تقدم في الأبواب السالفة، وسيأتي إن شاء الله تعالى منها في الأبواب الآتية.

---

[1] - غافر/٧١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٣/١١.

الباب
الحادي والخمسون
في أوصاف له عليه السلام جليلة

ابن أبي الحديد قال: ومن كلام له عليه السلام: تالله لقد علمت تبليغ الرسالات، واتمام العدات، وتمام الكلمات، وعندنا أهل البيت أبواب الحكم، وضياء الأمر، ألا وإن شرايع الدين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق وغنم، ومن وقف عنها ضل وندم، اعملوا ليوم تدخر فيه الذخاير، وتبلى فيه السراير، ومن لا ينفعه حاضر لبه، فعازبه عنه أعجز، وغائبه أعوز، وأتقوا ناراً حرها شديد، وقعرها بعيد، وحليتها حديد، وشرابها صديد، ألا وإن اللسان الصالح يجعله الله خيراً له من المال يورثه من لا يحمده.[1]

قال في الشرح: رواها قوم لقد علمت – بالتخفيف وفتح العين- والرواية الأولى أحسن، وتبليغ الرسالات تبليغ الشرايع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله إلى المكلفين، وفيه الإشارة إلى قول الله تعالى: **﴿يبلغون رسالات ربهم ويخشونه ولا يخشون احداً إلاّ الله﴾**،[2] وإلى قول النبي صلى الله عليه وآله في قصة براءة

[1] - نهج البلاغة ٢٣/١.

[2] - الاحزاب/٣٩.

براءة لا يؤدي عني إلاّ أنا أو رجل مني، واتمام العداة انجازها، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿من المؤمنون رجال صدقوا الله ما عاهدوا الله عليه﴾،[١] وإلى قول النبي ﷺ في حقه عليه السلام قاضي ديني، ومنجز وعدي، وتمام الكلمات تأويل القرآن إلى قوله تعالى: ﴿وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً﴾،[٢] وقوله: ﷺ في حقه عليه السلام: اللهمّ اهد قلبه، وثبت لسانه.

وخلاصة هذا أنه أقسم بالله أنه قد علم أو علم على اختلاف الروايتين أداء الشرايع والحكم بينهم بما أنزل الله، وعلم مواعيد رسول الله التي وعدتها، فمنها ما هو وعد لواحد من الناس، نحو أن يقول له: سأعطيك كذا، ومنها ما هو وعد بأمر يحدث كإخبار الملاحم، والأمور المتجددة، وعلم كلمات الله تعالى، أي تأويلها وبيانها الذي تتم به الآن في كلامه تعالى المجمل الذي لا يستغني عن متمم ومبين يوضحه، ثم كشف الغطاء وأوضح المراد، فقال وعندنا أهل البيت أبواب الحكم، يعني الشرعيات والفتاوى، و ضياء الأمر يعني العقليات والعقايد، وهذا أمر عظيم لا يجسر أحد من المخلوقين يدعيه سواه عليه السلام، ولو أقدم أحد على ادعائه غيره لكذب، وكذبه الناس، وأهل البيت منصوب على الإختصاص، وسبله قاصده، أي قريبة سهلة، يقال بينا وبين الماء ليلة قاصدة، ورأفهة، أي هينة المسير لا تعب ولا بطء، وتبلى فيه السراير، أي تحسر، ثم قال من لا ينفعه لبه الحاضر، وعقله الموجود فهو يعدم الانتفاع

---

[١] - الاحزاب/٢٣.

[٢] - الانعام/١١٥.

بما هو غير حاضر ولا موجود من العقل عنده أولى وأحرى، أي من لم يكن له من نفسه ومن ذاته وازع وزاجر عن القبيح، فبعيد أن ينزجر، وأن يرتدع بعقل غيره وموعظة غيره له، كما قيل:

وزاجر من النفس خير من عتاب العواذل

ثم ذكر النار فحذر منها، قوله وحليتها حديد، يعني القيود والاغلال، ثم أن الذكر الطيب يخلفه الإنسان بين الناس خير له من مال يجمعه ويورثه من لا يحمده، وجاء في الأثر أن علياً عليه السلام جاءه مخبر فأخبره أن مالاً له قد انفجرت فيه عين خرارة، يبشره بذلك، فقال عليه السلام: بشر الوارث بشر الوارث يكررها، ثم وقف ذلك المال على الفقراء، وكتب به كتاباً في تلك الساعة.[1]

وقال: وقد جاء في الأخبار الصحيحة: إن الجنة تشتاق إلى علي وعمار وأبي ذر، والمقداد.[2]

قال عمر وقد فقأ علي عليه السلام عين إنسان الحد في الحرم: ما أقول في يد الله فقأت عيناً في حرم الله.[3]

وقال: قال نصر: وخطب عبد الله بن العباس أهل العراق فقال: الحمد لله رب العالمين الذي دحى تحتنا سبعاً، وسمك فوقنا سبعاً، وخلق فيما بينهن خلقاً، وأنزل له منهم رزقاً، ثم جعل كل شيء يفنى ويبلى غير وجهه الحي

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٩/٧.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩٦/٧.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧/٥.

القيوم الذي يحيي ويبقى، إن الله تعالى بعث أنبياء ورسلاً، فجعلهم حججاً على عباده، عذراً ونذراً، لا يطاع إلاّ بعلمه وإذنه، يمن بالطاعة على من يشاء من عباده، ثم يثيب عليها، ويعصى بعلم منه فيعفو، ويغفر بحلمه، لا يقدر قدره، ولا يبلغ شيء مكانه، أحصى كل شيء عدداً، وأحاط بكل شيء علماً، ثم أشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، إمام الهدى، والنبي المصطفى، وقد ساقنا قدر الله إلى ما ترون حتى كان في اضطراب من حبل هذه الأمة، وانتشر من أمرها أن معاوية ابن أبي سفيان وجد من طغام الناس أعواناً على علي أبي أبي طالب، ابن عم رسول الله ﷺ وصهره، وأول ذكر صلى معه، بدري قد شهد مع رسول الله ﷺ كل مشاهده التي فيها الفضل، ومعاوية مشرك يعبد الأصنام.[1]

وقال: وروى نصر ابن مزاحم، عن عمر بن سعد قال: قال معاوية لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله إني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى وشق عصا المسلمين، وقتل الخليفة، وأظهر الفتنة، وفرق الجماعة، وقطع الأرحام، فقال عمرو: من هو؟ قال: علي، قال: والله يا معاوية وعليّ حمل بعير ليس لك هجرته، ولا سابقته، ولا صحبته، ولاجهاده، ولا فقهه، ولا علمه، ووالله إن له مع ذلك لحظاً في الحرب، ليس لأحد غيره، ولكني قد تعودت من الله تعالى إحساناً وبلاء جميلاً، فما تجعل لي إن شايعتك على حربه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر، قال: حكمك، قال: مصر طعمة، فتلكأ عليه معاوية.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥١/٥، وقعة صفين/٣١٨.

قال نصر: وفي حديث غير عمر بن سعد، فقال له معاوية: يا أبا عبد الله إني أكره لك أن تتحدث العرب عنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا، قال عمرو: دعني عنك، فقال معاوية: إني لو شيت أن أمنيك وأخدعك لفعلت، قال عمرو: لا لعمر الله ما مثلي يخدع، لأنا أكيس من ذلك، قال معاوية: ادن مني أسارك، فدنا منه عمرو ليساره، فعض معاوية اذنه، وقال له: هذه خدعة، هل ترى في البيت أحداً غيري وغيرك.[1]

قلت: قال شيخنا أبو القاسم البلخي قول عمر ودعنا عنك كناية عن الإلحاد بل تصريح به، أي دع هذا الكلام الذي لا أصل له، فإن اعتقاد الآخرة، وأنها لا تباع بعوض الدنيا من الخرافات.

قال رَحِمَهُ اللهُ: وما زال عمرو بن العاص ملحداً ما تردد قط في الإلحاد والزندقة، وكان معاوية مثله، ويكفي من تلاعبهما في الإسلام حديث السرار المروي، وأن معاوية عض اذن عمرو بن العاص، هذا من سيرة عمرو، وأين هذا من أخلاق علي وشدته في ذات الله، وهما مع ذلك يعيبانه بالدعابة.[2]

وقال: وروى علي بن محمد المدائني قال: لما كان زمن علي عليه السلام ولي زياداً فارس، فضبطها ضبطاً صالحاً، وجبى خراجها وحماها، وعرف ذلك معاوية فكتب له، أما بعد، وذكر الكتاب، فقال في جوابه زياد: العجب من ابن آكلة الاكباد، ورأس النفاق، يتهددني، وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٥/٢، وقعة صفين/٣٧.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٥/٢.

وزوج سيدة نساء العالمين، وأبو السبطين، وصاحب اللواء والمنزلة، والإخاء، في ماية ألف من المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم باحسان، أما والله لو تخطى هؤلاء أجمعين إليّ لوجودني بها احمر مخشاً، ضراباً بالسيف.[١]

وقال: ومن كلام له عليه السلام: ألا إن أبصر الأبصار ما نفذ في الخير طرفه، ألا إن أسمع الأسماع ما وعى التذكير وقبله، أيها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ، وأمتاحوا من صفى عين قد روقت من الكدر.

عباد الله، لا تركنوا إلى جهالكم، ولا تنقادوا لأهواكم، فإن النازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هار، ينقل الردى على ظهره من موضع إلى موضع، لرأي يخدشه بعد رأي يريد أن يلحق ما لا يلصق، ويقرب ما لايتقارب، والله إن شكوا لي من لا يشكي شجركم، ولا ينقص برأيه لكم أنه على الإمام ماحمل من أمر ربه، إلاّ بلاغ في الموعظة، والإجتهاد في النصيحة، والإحياء للسنة، وإقامة الحدود على مستحقها، واصدار السهمان إلى الله لها، فبادورا العلم من قبل تصريح بيته، ومن قبل أن تستغلوا بأنفسكم عن مستنار العلم، إلاّ من عند أهله، وانتهوا عن المنكر وتناهو عنه، فإنما أمرتم بالنهي بعد التناهي.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨١/١٦.

[٢] - نهج البلاغة ٢٠١/١.

قال في الشرح: يقول عليه السلام أشد العيون إدراكاً ما بعد طرفها في الخير، وأشد الأسماع إدراكاً ما حفظ الموعظة وقبلها، ثم أمر الناس أن يستصحبوا، أي يسرجوا مصابيحهم من شعلة سراج، متعظ في نفسه، فمن لا يتعظ في نفسه فبعيد أن يتعظ به غيره، وذلك أن القبول لايحصل منه والأنفس تكون نافرة عنه، ويكون داخلاً في حيز قوله: ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم**﴾،[1] وفي قول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله

وعني بهذا المصباح نفسه عليه السلام، ثم أمرهم أن يمتاحوا من عين صافية قد أنتفى عنها الكدر، كما يروق الشراب بالرواق فيزل عنه كدره، والإمتناع نزول البئر وملأ الدلاء منها، ويكني بهذا أيضاً عن نفسه عليه السلام، ثم نهاهم عن الإنقياد لأهوائهم، والميل إلى جهالتهم، وقال إن من يكون كذلك فإنه على جانب جرف متهدم، ولفظة هار من الالفاظ القرآنية، ثم قال: ومن يكون كذلك فهو أيضاً ينقل الهلاك على ظهره من موضع إلى موضع ليحدث رأياً فاسداً بعد رأي فاسد، أي هو ساع في ضلال يروم أن يحتج لما لا سبيل إلى إتيانه، وينصر مذهباً لا انتصار له، ثم نهاهم وحذرهم أن يشكو الى من لا يزيل شكايتهم، ومن لا رأي له في الدين ولا بصيرة، لينقض ما أبرمه الشيطان في صدورهم لإغوائهم، ويروى إلى من لا يشكي شجوكم، ومن ينقض برأيه ما قد أبرم لكم، وهذه الرواية أليق، أي لا تشكوا إلى من لا يدفع عنكم ما

---

[1] - البقرة/٤٤.

تشكون منه، وإنما ينقص برأيه الفاسد ما قد أبرمه الحق والشرع لكم، ثم ذكر إنه ليس على الإمام إلاّ ما قد أوضحه من الأمور الخمسة، ثم أمرهم بمبادرة أخذ العلم من أهله، يعني نفسه قبل أن يموت فيذهب العلم، وتصويح النبت كناية عن ذلك، ثم قال وقبل أن تشغلوا بالفتن، وما يحدث عليكم من خطوب الدنيا عن استثارة العلم من معدنه، واستنباطه من قرارته، ثم أمرهم بالنهي عن المنكر، وأن يتناهوا عنه، قبل أن ينهوا عنه، وقال إنما النهي عن بعد التناهي، وفي هذا الموضع اشكال وذلك أن القايل ان يقول: إن النهي عن المنكر واجب على العدل والفاسق، فكيف قال إنما أمرتكم بالنهي بعد التناهي.[١]

وقد روي أن الحسن البصري قال للشعبي: هلا نهيت عن كذا، فقال: يا أبا سعيد إني أكره أن أقول مالا أفعل، قال الحسن: غفرالله لك، وأينا يقو ل ما يفعل.[٢]

ود الشيطان لو ظفر منكم بهذه فلم يأمر أحد بمعروف، ولم ينه عن منكر، والجواب أنه ﵇ لم يرد جواب النهي عن المنكر مشروط بانتهاء ذلك الناهي عن المنكر، وإنما أرداد أني لم آمركم بالنهي عن المنكر إلاّ بعد ما أمرتكم بالانتهاء عن المنكر، والترتيب إنما هو في أمره ﵇ لهم بالحالين المذكورين لا في نهيهم وتناهيهم.

فإن قلت: فلماذا قدم أمرهم بالانتهاء على أمرهم بالنهي؟

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٧/٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٠/٧.

قلت: لأن إصلاح المرء لنفسه أهم من الاعتناء بإصلاحه لغيره.[1]

قال: ومن خطبة له عليه السلام: الحمد لله الذي شرع الإسلام، فسهل شرايعه لمن ورده، وأعز أركانه على من غالبه، فجعله أمناً لمن علقه، وسلماً لمن دخله، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً من خاصم عنه، ونوراً لمن استضاء به، وفهماً لمن عقل، ولباً لمرشدين، وآية لمن توسم، وتبصر لمن عزم، وعبرة لمن اتعظ، ونجاة لمن صدق، وثقة لمن توكل، وراحة لمن فوض، وجنّة لمن صبر، فهو أبلج المناهج، وأوضح الولايج، مشرف المنار، مشرف الجوار، مضيء المصابيح، كريم المضمار، رفيع الغاية، جامع الحلبة، متنافس السبقة، شريف الفرسان، التصديق منهاجه، والصالحات مناره، والموت غايته، والدنيا مضماره، والقيامة حلبته، والجنة سبقته.[2]

وقال في الشرح: هذا باب من الخطابة شريف، وذلك أنه ناط بكل واحدة من الألفاظ لفظة تناسبها وتلايمها، لو نيطت بغيرها لما انطبقت عليها، ولا أستقرت في قرارها، ألا ترى قال أمناً لمن علقه، والأمن مترتب على الإعتلاق، وكذلك في ساير الفقر كالسلم المرتب على الدخول، والبرهان المرتب على الكلام، والشاهد المرتب على الخصام، والنور المرتب على الاستضاءة إلى آخرها، ألا ترى أنه لو قال وبرهاناً لمن دخله، ونوراً لمن

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧٠/٧.

[2] - نهج البلاغة ٢٠٣/١.

خاصم عنه، وشاهداً لمن استضاء به، لكان قد قرن باللفظة ما لايناسبها، فكان قد خرج عن قانون الخطابة، ودخل في عيب ظاهر.[١]

وتوسم تفرس، والولائج جمع وليجة، وهي المدخل إلى الوادي وغيره، والجنة الترس، وابلج المناهج معروف الطرق، والحلبة الخيل، والمجموع للمسابقة والمضمار، موضع تضمير الخيل أو زمان تضميرها، والغاية الراية المنصوبة، وهو هاهنا خرقة تجعل على قصبة، وتنصب في آخر المدى الذي تنتهي إليه المسابقة، كأنه عليه السلام جعل الإسلام كخيل السابق التي مضمارها كريم، وغايتها رفيعة عالية، وحلبتها جامعة حاوية، وسابقها متنافس فيها، وفرسانها أشراف صم، وصفه بصفات أخرى، فقال التصديق طريقه، والصالحات أعلامه، والموت غايته الى الدنيا، أي أن الدنيا سجن المؤمن، وبالموت يخلص من ذلك السجن، ويحظى بالسعادة الأبدية، قال: والدنيا مضماره، لأن الإنسان يجري في الدنيا إلى غاية، هي الموت، وإنما جعلها مضمار الإسلام، لأن المسلم يقطع دنياه لا لدنياه بل لآخرته، فالدنيا كالمضمار للفرس إلى الغاية المعينة، قال والقيامة حلبته، أي ذات حلبته، فحذف المضاف، كقوله تعالى: ﴿**درجات عند الله**﴾، أي ذو درجات.[٢]

ثم قال: والجنة سبقته، أي جزاء سبقته، فحذف أيضاً.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧١/٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧١/٧.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٢/٧.

قال: ومنها: في ذكر النبي ﷺ: حتى أورى قبساً لقابس، وأنار علماً لحابس، فهو أمينك المأمون، وشهيدك يوم الدين، وبعيثك نعمة، ورسولك بالحق رحمة، اللهم أقسم له مقسماً من عدلك، وأجزه مضعفات الخير من فضلك، اللهم وأعل على بناء البانين بناءه، وأكرم لديك نزله، وشرف عندك منزله، وآته الوسيلة والفضيلة، وأحشرنا في زمرته، غير خزايا نادمين، ولا ناكبين، ولا ناكثين، ولا ضالين، ولا مضلين، ولا مفتونين.[1]

قال: قال الرضي رحمه الله وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم إلاّ انا كررناه هاهنا لما في الروايتين من الإختلاف في الشرح، قبساً منصوب بالمفعولية، أي أورى رسول الله ﷺ قبساً، والقبس شعلة من النار، والقابس طالب الاستصباح بها، والكلام مجاز، والمراد الهداية في الدين، وعلماً أيضاً منصوب بالمفعولية، أي وأثار رسول الله ﷺ علماً لحابس، أي نصب لمن حبس ناقته ضلالاً، فهو يخبط لا يدري كيف يهتدي المنهج، علماً يهتدى به.[2]

فإن قلت: هل يجوز أن ينصب قبساً، وعلماً على أن يكون كل واحد منهما حالاً، أي حتى أورى رسول الله في حال كونه قبساً، وأنار في حال كونه علماً.

قلت: لم أسمع أورى الزند، وإنما المسموع ورى الزند، وورى، ولم يجيء إلاّ متعدياً، أو وري زيد زنده، فإن حمل هاهنا على التعدي احتيج إلى

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٣/٧.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٣/٧.

حذف المفعول، ويصير تقديره حتى أورى رسول الله الزند حال كونه قبساً، فيكون فيه نوع تكلف، واستهجان البعيث المبعوث، ومقسماً نصيباً، وإن جعلتة مصدراً جاز، والنزل الطعام الضيف، والوسيلة ما يتقرب به، وقد فسر قولهم في دعاء الأذان اللهم آته الوسيلة، فإنها درجة رفيعة في الجنة.[١]

والسناء – بالمد – الشريف، وزمرته جماعته، وخزايا جمع خزيان، وهو الخجل المستحي، مثل سكران وسكارى، وحيران وحيارى، وغيران وغيارى، وناكبين، أي عالين عن الطريق، وناكثين أي ناقضين للعهد.[٢]

قلت: سألت النقيب أبا جعفر رحمه الله، وكان منصفاً بعيداً عن الهوى والعصبية عن هذا الموضع، فقلت له: قد وقفت على هذا الكلام الصحابة وخطبهم فلم أر فيهم من يعظم رسول الله صلى الله عليه وآله تعظيم هذا الرجل، ولا يدعو له كدعائه، فإنا قد وقفنا من نهج البلاغة ومن غيره على فصول كثيرة مناسبة لهذا الفصل، تدل على إجلال عظيم، وتبجيل شديد منه لرسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ومن لغيره من الصحابة كلام مدون ليعلم منه كيفة ذكرهم للنبي صلى الله عليه وآله، وهل وجد لهم إلاّ كلمات مشدرة لا طائل تحتها، ثم قال: إن علياً قوي الإيمان برسول الله، والتصديق له، ثابت اليقين، قاطعاً بالأمر، متحققاً له، وكان مع ذلك يحبه رسول الله لنسبه منه، وتربيته له، واختصاصه به من دون أصحابه، وبعد فشرفه له، لأنهما نفس واحدة في جسمين، الأب واحد، والدار واحدة،

---

[١] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٤/٧.

[٢] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٤/٧.

والأخلاق مناسبة، فإذا عظمه فقد عظم نفسه، فإذا دعا إليه فقد دعا إلى نفسه، ولقد كان يود أن تطبق دعوة الإسلام مشارق الأرض ومغاربها، لأن جمال ذلك لاحق به، وعايداً إليه، فكيف لا يعظمه ولا يبجله، ويجتهد في إعلاء كلمته.[١]

فقلت له: كنت اليوم أنا وجعفر بن علي الشاعر نتجارى هذا الحديث فقال: جعفر لم ينصر رسول الله أحد نصرة أبي طالب وبنيه، أما أبو طالب فكفله ورباه، ثم حماه من قريش عند إظهار الدعوة بعد اصافقهم واطباقهم على قتله، وأما ابنه جعفر فهاجر بجماعة من المسلمين إلى أرض الحبشة ينشر دعوته بها، وأما علي فإنه أقام عماد الملة بالمدينة، ثم لم يمن أحد من القتل والهوان والتشريد، بما مني به آل أبي طالب، أما جعفر فقد قتل يوم مؤته، وأما علي فقتل بالكوفة بعد أن شرب نقيع الحنظل، وتمنى الموت، ولو تأخر قتل ابن ملجم له لمات أسفاً وكمداً، ثم قتل ابناه بالسم والسيف، وقتل بنوه الباقون مع أخيهم بالطف، وحملت نساؤهم على الأقتاب سبايا إلى الشام، ولقيت ذريتهم وأخلافهم بعد ذلك من القتل والصلب والتشريد في البلاد والهوان، والحبس والضرب ما لايحيط الواصف بكنهه، فأي خير أصاب هذا البيت من نصرته، ومحبته وتعظيمه بالقول والفعل.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٤/٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٥/٧.

فقال رحمه الله وأصاب فيما قال: فهلاً قلت له: **﴿يمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا عليّ اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين﴾**.[١]

ومن ثم قال: وهلا قلت له فقد نصرته الأنصار ببذل مهجها دونه، وقتلوا بين يديه في مواطن كثيرة، وخصوصاً يوم أحد، ثم اهتضموا بعده، واستؤثر عليهم، ولقوا من المشاق والشدايد ما يطول شرحه، ولو لم يكن إلاّ يوم الحرة فإنه اليوم الذي لم يكن للعرب مثله، ولا أصيب قوم قط بمثل ما أصيب به الأنصار ذلك اليوم، ثم قال: إن الله تعالى زورى الدنيا عن صالحي عباده، وأهل الاخلاص له، لأنه لم يرها ثمناً لعبادتهم، ولا كفواً لإخلاصهم، وأرجأ جزائهم إلى دار غير هذه الدار في مثلها يتنافس المنافسون.[٢]

وقال: قال عليه السلام نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحلم، ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة.[٣]

قال في الشرح: أعلم أنه إن أراد بقوله مختلف الملائكة، نحن جماعة من جملتها رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا ريب في صحة القضية وصدقها، وإن أراد بها نفسه وابنيه فهي أيضاً صحيحة، ولكن مدلوله مستنبط، فقد جاء في

---

[١] - آل عمران/١٦٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٥/٧.

[٣] - نهج البلاغة ٢١٥/١.

الأخبار الصحيحة أنه قال: يا جبرئيل أنه مني وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما.[١]

وروى أيوب الأنصاري مرفوعاً قال: لقد صلت الملائكة عليّ وعلى علي سبع سنين، لم تصل على ثالث لنا، وذلك قبل أن يظهر أمر الإسلام، وتسامع الناس به.[٢]

وفي خطبة الحسن بن علي لما قبض أبوه: لقد فارقكم في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون، كان يبعثه رسول الله ﷺ للحرب، وجبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره.[٣]

وجاء في الحديث أنه سمع يوم أحد صوت من الهواء من جهة السماء: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ علي، وأن رسول الله ﷺ قال: هذا صوت جبرئيل.[٤]

فأما قوله: ومعادن العلم، وينابيع الحكم، يعني الحكمة، والحكم الشرعي، فإنه وإن عنى نفسه وذريته، فإن الأمر فيها ظاهر جداً، قال رسول الله ﷺ: أنا مدينة العلم، وعلي بابها، ومن أراد المدينة فليأت الباب.

وقال: أقضاكم علي، والقضاء يستلزم علوماً كثيرة.[٥]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٨/٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٩/٧.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٩/٧.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٩/٧.

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٩/٧.

وجاء في الخبر أنه بعثه إلى اليمن قاضياً، فقال: يا رسول الله إنهم كهول وذووا أسنان، وأنا فتى، وربما لم أصب فيما أحكم به بينهم، فقال اذهب فإن الله سيثبت قلبك، ويهدي لسانك.[١]

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**وتعيها اذن واعية**﴾[٢] في علي عليه السلام.

وروى المحدثون: أنه قال لفاطمة عليها السلام زوجتك أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً، وأعلمهم علماً.[٣]

وروى المحدثون عنه ايضاً صلى الله عليه وآله أنه قال: من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه، وموسى في علمه، وعيسى في ورعه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب.[٤]

وبالجملة فحاله في العلم حال رفيعة جداً، لم يلحقه فيها أحد ولا قاربه، وحق له أن يصف نفسه بأنه معادن العلم، وينابيع الحكم، ولا أحد أحق منه بها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.[٥]

فإن قلت: كيف قال: عدونا ومبغضنا ينتظر سطوة، ونحن نشاهد أعدائه ومبغضيه لا ينتظرونها.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧/٢٢٠.

[٢] - الحاقة/١٢.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧/٢٢٠.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧/٢٢٠.

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧/٢٢٠.

قلت: لما كانت منتظرة لهم، معلومة بيقين حلولها بهم، صاروا كالمنتظرين لها، وأيضاً إنهم ينتظرون الموت الذي لا محالة الذي كل انسان ينتظره، ولما كان الموت مقدمة العقاب، وطريقاً إليه، جعل انتظاره انتظار ما يكون بعده.[1]

وقال: في قوله عليه السلام ونؤمن به إيمان من عاين وشاهد، وذلك لأن إيمان العيان أخلص وأوثق من إيمان الخبر، فإنه ليس الخبر كالعيان، وهذا إشارة إلى إيمان العارفين الذين هو عليه السلام سيدهم ورئسهم، ولذلك قال لو كشف الغطاء ما أزددت يقيناً.[2]

قال: ومن خطبة له عليه السلام قال: فبعث الله محمداً صلى الله عليه وآله بالحق، ليخرج عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، بقرآن قد بيّنه واحكمه، ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه، وليقروا به إذ جحدوه، وليثبتوه بعد إذ انكروه، فتجلى الله سبحانه لهم في كتابه، من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته، وخوفهم من سطوته، وكيف محق من محق بالمثلات، واحتصد من أحتصد بالنقمات.[3]

قال في الشرح: الأوثان جمع وثن، وهو الصنم، ويجمع أيضاً على وثن، مثل أسد وآساد وأسد، وسمي وثناً لإنتصابه وبقائه على حال واحدة، من

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٠/٧.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٣/٧.

[3] - نهج البلاغة ٣٠/٢.

قولك وثن فلان بالمكان، فهو واثن، وهوالثابت الدائم، قوله: فتجلى سبحانه لهم، أي ظهر من غير أن يرى بالبصر، بل بما نبههم عليه في القرآن من قصص الأولين، وما حلّ بهم من النقمة عند مخالفة الرسل، والمثلات - بضم الفاء- العقوبات.[١]

فإن قلت: ظاهر هذا الكلام أن الرسول عليه السلام بعث إلى الناس ليقروا بالصانع ويثبتوه، وهذا خلاف قول المعتزلة، لأن فايدة الرسول عندهم هي إلطاف المكلفين بالأحكام الشرعية المقربة إلى الواجبات الفعلية، ولا مدخل للرسول في معرفة الباري سبحانه، لأن الفعل يوجبها وإن لم يبعث الرسل.[٢]

قلت: إن كثيراً من شيوخنا أوجبوا بعثة الرسل إذا كان في حثهم المكلفين على ما في العقول فايدة، وهو مذهب شيخنا أبي علي، فلا مانع أن يكون إرسال محمد صلى الله عليه وآله إلى العرب وغيرهم، لأن الله تعالى علم أنهم مع تشبيهه إياهم على ما هو واجب في عقولهم من المعرفة، أقرب إلى حصول المعرفة، فحينئذ يكون بعثه لطفاً، ويستقيم كلام أمير المؤمنين عليه السلام.[٣]

وقال عليه السلام: **أيها الناس أنه من استنصح الله وفق، ومن اتخذ قوله دليلاً هدي للتي هي أقوم، فإن جار الله آمن، وعدوه خائف، وإنه ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظم، فإن رفعة الدين يعلمون ما عظمته أن**

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٣/٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٣/٩.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٤/٩.

يتواضعوا له، وسلامة الذين لايعلمون ما قدرته أن يستسلموا له، فلا تفروا من الحق نفار الصحيح من الأجرب، والباريء من ذي السقم، واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه، فالتمسوا ذلك من عند أهله، فإنهم عيش العلم، وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الله ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق، وصامت ناطق.[١]

قال في الشرح: قوله: وأعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه، فيه تنبيه على أنه تجب البراءة من أهل الضلال، وهو قول أصحابنا جميعهم، فإنهم بين مكفر إن خالف التوحيد والعدل، وهم الأكثرون أو مفسق وهم الأقلون، وليس أحد منهم معذور عند أصحابنا، وإن ضل بعد النظر، كما لا تعذر اليهود والنصارى إذ ضلوا بعد النظر، ثم قال عليه السلام: فالتمسوا ذلك عند أهله، هذا كناية عنه عليه السلام، وكثيراً ما يسلك هذا المسلك، ويعرض هذا التعريض، وهو الصادق الأمين، العارف بالأسرار الإلهية.[٢]

وقال: وروى كثير من الناس خطبة له عليه السلام خالية من حرف الألف، قالوا: تذاكر قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أي حروف الهجاء أدخل في

---

[١] - نهج البلاغة ٣٢/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٧/٩.

الكلام؟ فأجمعوا على الألف، فقال علي عليه السلام: حمدت من عظمت منته، وسبغت نعمته، وسبقت غضبه رحمته، وتمت كلمته، ونفذت مشيته، وبلغت قضيته، حمدته حمد مقر بربوبيته، متخضع لعبوديته، متنصل من خطيئته، منفرد بتوحيده، مؤمل منه مغفرة تنجيه يوم يشغل عن فصيلته وبنيه، ونستعينه ونسترشده ونستهديه، ونؤمن به، ونتوكل عليه، وشهدت له شهود مخلص موقن، وفردته تفريد مؤمن متيقن، ووحدته توحيد عبد مذعن، ليس له شريك في ملكه، ولم يكن له ولي في صنعه، جلّ عن مشير ووزير، وعن عون معين، ونصير ونظير، علم فستر، وبطن فخبر، وملك فقهر، وعصي فعفر، وحكم فعدل، لم يزل ولن يزل، ليس كمثله شيء، وهو بعد كل شيء رب متعزز بعزته، متمكن بقوته، متقدس بعلوه، متكبر بسموه، ليس يدرك له بصر، ولم يحط به نظر، قوي منيع، سميع بصير، رؤوف رحيم، عجز عن وصفه من يصفه، و ضل عن نعته من يعرفه، قرب فبعد، وبعد فقرب، يجيب دعوة من يدعوه، ويرزقه ويحبوه، ذو لطف خفي، وبطش قوي، ورحمة موسعة، وعقوبة موجعة، رحمته جنة عريضة مونقة، وعقوبته جحيم ممدودة موبقة، وشهدت ببعث محمد رسوله وعبده، وصفيه ونبيه، وحبيبه وخليله، بعثه في خير عصر، وحين فترة وكفر، رحمة لعبيده، ومنّة لمزيده، ختم به نبوته، وشيد به حجته، فوعظ ونصح، وبلغ وكدح، رؤوف بكل مؤمن، رحيم سخي، رضي ولي زكي، عليه رحمة وتسليم، وبركة وتكريم، من رب غفور رحيم، قريب مجيب، وصيتكم معشر من حضرني بوصية ربكم، وذكرتكم سنة نبيكم،

فعليكم برهبة تسكن قلوبكم، وخشية تذري دموعكم، وتقية تنجيكم قبل يوم تبليكم وتذهلكم، يوم يفوز من ثقل وزن حسنته، وخف وزن سيئته، ولتكن مسألتكم وتملقكم مسألة ذل وخضوع، وشكر وخشوع، بتوبة وتورع، وندم ورجوع، وليغتنم كل مغتنم منكم صحته قبل سقمه، وشبيبته قبل هرمه، وسعته قبل فقره، وفرغته قبل شغله، وحضره قبل سفره، قبل تكبر وتهرم ويسقم، يمله طبيبه، ويعرض عنه حبيبه، وينقطع غمده، ويتغير عقله، ثم قيل هو موعوك، وجسمه منهوك، ثم جد في نزع شديد، وحضره كل قريب وبعيد، فشخص بصره، وطمح نظره، ورشح جبينه، وعطف عرينه، وسكن حنينه، وحزنته نفسه، وبكت عرسه، وحفر رمسه، ويتم منه ولده، وتفرق عنه عدده، وقسم جمعه، وذهب بصره وسمعه، ومدد وجرد، وعري وغسل، وكشف وسجي، وبسط له وهيء، ونشر عليه كفنه، وشد منه ذقنه، وقمص وعمم، وودع وسلم، وحمل فوق سرير، وصلي عليه بتكبير، ونقل من دور مزخرفة، وقصور مشيدة، وحجر منجدة، وجعل في ضريح ملحود، وضيق مرصود، بلبن منضود، مسقف بجلمود، وهيل عليه حفره، وحثي عليه مدره، وتحقق حذره، ونسي خبره، ورجع عنه وليه وصفيه، ونديمه ونسيبه، وتبدل به قرينه وحبيبه، فهو حشو قبر، ورهين قفر، يسعى بجسمه دود قبره، ويسيل صديده من منخره، يسحق تربة لحمه، وينشف دمه، ويرم عظمه حتى يوم حشره ونشر من قبره حين ينفخ في صور، ويدعى بحشر ونشور، فثم بعثرت قبور، وحصلت سريرة صدور، وجيء بكل نبي وصديق وشهيد، وتوحد للفصل قدير بعبده خبير، فكم من زفرة

تضنيه، وحسرة تنضيه، في موقف مهول، ومشهد جليل بين يدي ملك عظيم، وبكل صغير وكبير عليم، فحينئذ يلجمه عرقه، ويحصره قلقه، عبرته غير مرحومة، وصرخته غير مسموعة، وحجته غير مقبولة، زالت جريدته، ونشرت صحيفته، نظر في سوء عمله، وشهدت عليه عينه بنظره، ويده ببطشه، ورجله بخطوه، وفرجه بلمسه، وجلده بمسه، وسلسل جيده، وغلت يده، وسيق وسحب وحده، فورد جهنم بكرب وشدة، فظل يعذب في جَحيم، ويسقى شربه من حميم، تشوي وجهه، وتسلخ جلده، ويضربه زبنيه بمقمع من حديد، ويعود جلده بعد نضجه كجلد جديد، يستغيث فيعرض عنه خزنة جهنم، ويستصرخ فيلبث حقبة يندم ،نعوذ برب قدير من شر كل مصير، ونسأله عفو من رضي عنه، ومغفرة من قبله، فهو ولي مسألتي، ومنجح طلبتي، فمن زحزح عن تعذيب ربه جعل في جنته بقربه، وخلد في قصور مشيدة، وملك بحور عين وحفدة، وطيف عليه بكوس، وأسكن حضيرة قدس، وتقلب في نعيم، وسقي من تنسيم، وشرب من سلسبيل، ومزج بزنجبيل، منختم بمسك وعبير، مستديم للملك، مستشعر للسرور، ويشرب من خمور في روض مغدق، ليس يصدع من شربه، وليس ينزف، هذه منزلة من خشي ربه، وحذر نفسه، وتلك عقوبة من جحد منشئه، وسولت له نفسه معصيته، فهو قول فضل، وحكم عدل، وخير قصص قصّ، ووعظ نص، تنزيل من حكيم حميد، نزل به روح القدس مبين، على قلب نبي مهتد رشيد، صلت عليه رسل سفرة، مكرمون بررة، عذت برب عليم رحيم، من شر كل عدو لعين رجيم، فليتضرع

متضرعكم، وليبتهل مبتهلكم، وليستغفر كل مربوب منكم لي ولكم، وحسبي ربي وحده.[١]

وقال: الذي عليه المحققون من أهل السير أن الو حي كان يكتبه عليه السلام وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وأن حنظلة بن الربيع التيمي، ومعاوية بن أبي سفيان كانا يكتبان له إلى الملوك وإلى رؤوساء القبائل، ويكتبان حوايجه بين يديه، ويكتبان ما يجبى من أموال الصدقات، وما يقسم في أربابها.[٢]

وقال: قالت الأنصار: لولا علي بن طالب في المهاجرين لأبينا لأنفسنا أن يذكر المهاجرين معنا، أو أن يقرنوا بنا، ولكن رب واحد كألف، بل كألوف.[٣]

وقال: قال أبو الفرج: وحدثنا أحمد، قال: حدثني عمر، قال: حدثنا هارون بن معروف، عن ضمرة بن ربيعة، عن ابن أبي سودب، قال: صلى الوليد بأهل الكوفة الغداة أربع ركعات، ثم التفت إليهم، فقال: أزيدكم؟ فقال عبد الله بن سمعود: ما زلنا معك في الزيادة منذ اليوم.[٤]

وقال: قال أبو الفرج: وأخبرنا محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني حماد بن إسحاق، قال: حدثني أبي، قال: قال أبو عبيدة، وهشام بن الكلبي

---

[١] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٠/١٩.

[٢] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٣٨/١.

[٣] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٥/٢٠.

[٤] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٩/١٧.

والاصمعي: كان الوليد زانياً، يشرب الخمر، فشرب بالكوفة، وقام ليصلي بهم الصبح في المسجد، فصلى بهم أربع ركعات، ثم التفت إليهم، فقال: أزيدكم؟ وتقيأ في المحراب بعد أن قرأ بهم رافعاً صوته في الصلاة:

علق القلب الربابا بعدما شابت وشابا

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان فأخبروه بخبره، وشهدوا عليه بشرب الخمر، فأتي به فأمر رجلاً من المسلمين أن يضربه الحد، فلما دنى منه، قال: انشدتك الله وقرابتي من أمير المؤمنين فتركه، فخاف علي بن أبي طالب عليه السلام أن يعطل الحد، فقام إليه فجذبه بيده، فقال الوليد: نشدتك الله والقرابة، فقال علي: اسكت أبا وهب، فإنما هلك بنو اسرائيل لتعطيلهم الحدود، فلما ضربه وفرغ منه، قال: لتدعوني قريش بعدها جلادا.[1]

وقال: ومن خطبة له عليه السلام ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، أني لم أرد على الله، ولا على رسوله ساعة، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخر الأقدام، نجدة أكرمني الله بها، ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإن رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفي، فأمررتها على وجهي، ولقد وليت غسله والملائكة أعواني، فضجت الدار والافنية، ملأ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هينمة منهم، يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه، فمن إذاً أحق به مني حياً وميتاً، فأنفذوا على بصايركم، وليصدق ثباتكم في

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٠/١٧.

جهاد عدوكم، فوالذي لا إله إلاّ هو إني لعلى جادة الحق، وإنهم لعلى منزلة الباطل، أقول ما تسمعون، واستغفر الله لي ولكم.[١]

قال في الشرح: قوله عليه السلام ولقد واسيته بنفسي، يقال واسيته وآسيته، وبالهمز أفصح، وهذا مما أختص به عليه السلام بفضيلته غير مدافع، ثبت معه يوم أحد، وفر الناس، وثبت معه يوم حنين وفر الناس، وثبت تحت رايته يوم خيبر حتى فتحها، وفر من كان بعث بها قبله.[٢]

وروى المحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما ارتث يوم أحد قال الناس قتل محمد، رأته كتيبة من المشركين وهو صريع بين القتلى إلاّ أنه حي، فصمدت له، فقال لعلي: أكفني هذه، فحمل عليها فهزمها، وقتل رئيسها، ثم صمدت له كتيبة أخرى، فقال: يا علي اكفني هذه، فحمل عليها فهزمها، وقتل رئيسها، ثم صمدت له كتيبة ثالثة، فلذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول قال لي جبرائيل حينئذ يا محمد إن هذه المواساة! قلت: وما يمنعه وهو مني وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما.[٣]

وروى المحدثون أيضاً أن المسلمين سمعوا ذلك اليوم صائحاً من جهة السماء ينادي: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ علي.

---

[١] - نهج البلاغة ١٧٢/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨١/١٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٢/١٠.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لمن حضره ألا تسمعون هذا صوت جبرئيل عليه السلام.

وأما يوم حنين فثبت معه في نفر يسير من بني هاشم بعد أن ولى المسلمون الأدبار، وحامى عنه، وقتل قوماً من هوازن بين يديه حتى ثابت إليه الأنصار، وانهزمت هوازن، وغنمت أموالها، وأما خيبر فقصته مشهورة.

قوله عليه السلام نجدة أكرمني الله بها، النجدة الشجاعة، وانتصابها ها هنا على أنها مصدر، والعامل فيه محذوف، ثم ذكر عليه السلام وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لقد قبض وإن رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه على كفي، فأمررتها على وجهي، يقال إن رسول الله صلى الله عليه وآله قاء دماًيسيراً وقت موته، وإن علياً عليه السلام مسح بذلك الدم وجهه.[1]

وقد روي أن أبا طيبة الحجام شرب دمه وهو حي، فقال له: إذن لا تجع بطنك.[2]

قوله عليه السلام: فضجت الدار والأفنية، أي النازلون إلى الدار من الملائكة، أي ارتفع الضجيج، يعني إني سمعت ذلك ولم يسمعه من أهل الدار غيري والملأ الجماعة، يقول يهبط قوم من الملائكة، وتصعد قوم، والعروج الصعود والهينمة الصوت الخفي، والضريح الشق في القبر.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٢/١٠.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٣/١٠.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٣/١٠.

وقد روى من قصة وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أنه عرضت له الشكاة التي عرضت في أواخر صفر سنة إحدى عشر من الهجرة، فجهز جيش اسامة وأمرهم بالمسير إلى البلقاء حيث أصيب زيد وجعفر من بلاد الروم، وخرج في تلك الليلة إلى البقيع، وقال: إني أمرت بالإستغفار لأهل البقيع، فقال: السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، وذكر القصة بطولها.

وقال: قال عمر لعلي عليه السلام: أنت يا علي لو وزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجحهم، فقام علي عليه السلام مولياً يخرج، فقال عمر: والله إني لأعلم مكان رجل لو وليتموه أمركم لحملكم على المحجة البيضاء، قالوا: من هو؟ قال: هو المولي من بينكم، قالوا: فما يمنعك من ذلك؟ قال: ليس إلى ذلك سبيل.[1]

وقال: وفي خبر آخر رواه البلاذري في تأيخه أن عمر لما خرج أهل الشورى من عنده، قال: إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق، فقال عبد الله بن عمر: فما يمنعك منه يا أمير المؤمنين؟ قال: أكره أن أتحملها حياً وميتاً.[2]

وقال: قال أبو جعفر وقد روى أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة الف درهم حتى روى أن هذه الآية نزلت في علي عليه السلام: ﴿**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد**

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٩/١٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٠/١٢.

الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾، وأن الآية الثانية أنزلت في ابن ملجم وهو قوله: **﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾**، فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة فلم يقبل، فبذل له أربعمائه ألف فقبل، وروى ذلك.[١]

وقال: وقد صح أن بني أمية منعوا من إظهار فضائل علي، وعاقبوا ذاكر ذلك، والراوي له حتى إذا روى عنه حديثاً لا يتعلق بفضله بل بشرايع الدين لا يتجاسر على ذكر إسمه، فيقول عن أبى زينب.[٢]

و **قال:** وروى عطاء، عن عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: وددت أن أترك فأحدث بفضائل علي بن أبي طالب يوماً إلى الليل، وأن عنقي هذا ضربت بالسيف.[٣]

قال: فالأحاديث الواردة في فضله لو لم تكن في الشهرة والإستفاضة، وكثرة النقل إلى غاية بعيدة لأنقطع نقلها للخوف والتقية من بني مروان مع طول المدة وشدة العداوة، ولولا أن لله في هذا الرجل سراً يعلمه من يعلمه لم يرو في فضله حديث، ولا عرفت له منقبة، ألا ترى أن ريئس قرية لو سخط

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٣/٤.
[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٣/٤.
[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٣/٤.

على واحد من أهلها، ومنع الناس أن يذكروه بخير أو صلاح لخمل ذكره، ونسي إسمه، وصار وهو موجود معدوماً، وهو حي ميتاً.[١]

قال: هذه خلاصة ما ذكره شيخنا أبو جعفر في هذا المعنى في كتاب التفضيل .

وقال: وفي حديث عمر حين سأله الأسقف عن الخلفاء فحدثه حتى انتهى إلى وصف الرابع، قال: صدع من حديد، فقال عمر: وادفراه.[٢]

قال في الشرح: وإن ثبتت الرواية - بتسكين الدال- فغير ممنوع أيضاً، يقال رجل صدع إذا كان ضرباً من الرجال ليس برهل ولا غليظ، ورابع الخلفاء هو علي ابن أبي طالب عليه السلام، وأراد بالأسقف مدحه، وقول عمر وادفراه إشارة إلى نفسه، كأنه استصغر نفسه وعابها بالنسبة إلى ما وصفه من مدح الرابع وإطرائه.[٣]

وقال: قال الحسن عليه السلام في حديث له مع معاوية لما أجتمع عنده عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة ابن أبي معيط، وعتبة بن أبي سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة، وذكر الحديث إلى أن تكلم ا لحسن عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله، ثم قال: أما بعد يا معاوية، فما هؤلاء شتموني، ولكنك شتمتني، فحشا ألفيه، وسوء رأي عرفت به، وخلقاً سيئاً ثبت عليه، وبغياً

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٣/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٤/١٢.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٥/١٢.

علينا، عداوة منك لمحمد وأهله، ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا فلأقولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم، وأنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون أن الذي شتمتوه منذ اليوم صلى القبلتين كلتيهما، وإنك يا معاوية بهما كافر، تراها ضلالة، وتعبد اللات والعزى غواية، وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما، بيعة الفتح، وبيعة الرضوان، وأنت يامعاوية بأحدهما كافر، وبالأخرى ناكث، وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيماناً، وإنك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم، تسرون الكفر، وتظهرون الإسلام، وتستمالون بالأموال، وانشدكم الله ألستم تعلمون أنه كان صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر، وأن راية المشركين كانت مع معاوية وابنيه، ثم لقيكم يوم أحد، يوم الأحزاب ومعه راية رسول الله ﷺ، ومعك ومع أبيك راية الشرك، وفي كل ذلك يفتح الله له، ويفلج حجته، وينصر دعوته، ويصدق حديثه رسول الله ﷺ في تلك المواطن كلها عنه راض، وعليك وعلى أبيك ساخط.[1]

وقال: قال نصر: وحدثنا عمرو بن شمر، عن جابر بن عمير الأنصاري، قال: والله لكأني أسمع علياً يوم الهرير، وذلك بعدما طحنت رحا مذحج فيما بينها وبين عك، ولخم وجذام والأشعريين أمر عظيم، تشيب منه النواصي حتى استقلت الشمس، وقام قائمة الظهيرة، وعلي عليه السلام يقول لأصحابه حتى متى نخلي بين هذين الحيين، قد فنيا وأنتم وقوف تنظرون، تخافون مقت الله، ثم استقبل القبلة، ورفع يديه إلى الله عزّ وجل، ثم نادى: يا الله، يا رحمن يا رحيم،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٨/٦.

يا واحد يا أحد، يا صمد يا الله، يا إله محمد، اللهم إليك نقلت الأقدام، وأفضت القلوب، ورفعت الأيدي، ومدت الأعناق، وشخصت الأبصار، وطلبت الحوايج، اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا، وكثرة عدونا، وتشتت أهوائنا، ربنا أفتح بيننا و بين قومنا بالحق، وأنت خير الفاتحين، سيروا على بركة الله، ثم نادى لا إله إلاّ الله، والله أكبر، وكلمة التقوى.

قال: فلا والذي بعث محمداً بالحق نبياً ما سمعنا رئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب بيده في يوم أحد ما أصاب أنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب، يخرج بسيفه منحنياً فيقول معذرة إلى الله وإليكم من هذا، لقد هممت أن أفلقه، ولكن يحجزني عنه أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ علي، وأنا أقاتل به دونه صلى الله عليه وآله، فكنا نأخذه ونقومه، ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصف، فلا والله ما لبث بأشد نكاية في عدوه عليه السلام.[١]

وقال: وروى عبد الله بن عمر الثقفي، قال: حدثنا ابن أبي سقيف، قال: قال ابن العامر بن عبدا لله بن الزبير لولده: لا تذكر يا بني علياً إلاّ بخير، فإن بني أمية لعنوه على منابرهم ثمانين سنة، فلم يزده الله بذلك إلاّ رفعة، وإن الدنيا لم تبن شيئاً قط إلاّ رجعت على ما بنت فهدمته، وإن الدين لم يبن شيئاً قط فهدمه.[٢]

---

[١] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٠/٢، وقعة صفين/٢٣١.

[٢] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢١/١٣.

وقال: وروى ابن أبي شيبة، عن عبد الله بن موسى، عن فطر بن خليفة، عن أبي عبد الله الجدلي، قال: دخلت على أم سلمة ﴿رحمها الله﴾ فقالت لي: أيسب رسول الله فيكم وأنتم أحياء! قلت: وأنى يكون هذا، قالت: أليس يسب علي عليه السلام ومن يحبه.[١]

وقال: لما سألت عايشة من كان أحب الناس إلى رسول الله؟ فقالت: أما من الرجال فعلي، وأما من النساء ففاطمة.[٢]

وقال: وإذا فسرنا الأفضلية بزيادة المناقب والخصايص، وكثرة النصوص الدالة على التعظيم، فملعوم أن أحداً من الناس لا يقارب علياً عليه السلام في ذلك، لاجعفر ولا حمزة ولا غيرهما، ثم وقع بيدي بعد ذلك كتاب لشيخنا أبي جعفرالاسكافي ذكر فيه أن مذهب بشر بن المعتمر، وأبي موسى، وجعفر بن مبشر، وساير قدماء البغداديين أن أفضل المسلمين علي أبي طالب، ثم إبنه الحسن، ثم إبنه الحسين، ثم حمزة عبد المطلب، ثم جعفر بن أبي طالب عليه السلام، ثم أبي بكر بن أبي قحافة، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان.

قال: والمراد بالأفضل أكرمهم عند الله، وأكثرهم ثواباً، وأرفعهم في دار الجزاء منزلة، ثم وقفت بعد ذلك على كتاب لشيخنا أبي عبد الله البصري يذكر فيه هذه المقالة، وينسبها إلى البغداديين.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٢/١٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٢/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٩/١١.

وقال: إن الشيخ أبا القاسم البلخي كان يقول بها، وقبله الشيخ أبو الحسين الخياط، وهو شيخ المتأخرين من البغدايين، قالوا كلهم بها فأعجبني هذا المذهب، وسررت بأن ذهب الكثير من شيوخنا إليه، ونظمته في الأرجوزة التي شرحت فيها عقيدة المعتزلة، فقلت:

وخير خلق الله بعد المصطفى ... أعظم يوم الفخار شرفا
السيد المعظم الوصي ... بعل البتول المرتضى علي
وابناه ثم حمزة وجعفر ... ثم عتيق بعده لاينكر
المخلص الصديق ثم عمر ... فاروق دين الله ذاك القسور
وبعده عثمان ذو النورين ... هذا هو الحق بغير مين[1]

قال: وجمع قيس بن سعد الأنصار، ثم قام فيهم خطيباً فقال: إن معاوية قال ما بلغكم، وأجابه عنكم صاحباكم، ولعمري إن عظمتم معاوية اليوم لقد عظمتموه أمس، وإن وترتموه في الإسلام، لقد وترتموه في الشرك، وما لكم إليه من ذنب أعظم من نصر هذا الدين، فجدوا اليوم جداً تنسونه به ما كان اليوم، فأنتم مع هذا اللواء الذي كان يقاتل عن يمينه جبرئيل، وعن يساره ميكائل، والقوم مع لواء أبي جهل.[2]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٠/١١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٥/٨

وقال: ومن كلام له عليه السلام في ذم أهل العراق: أما بعد: يا أهل العراق، فإنما أنتم كالمرأة الحامل حملت، فلما أتمت امصلت، ومات قيمها، وطال تأيمها، وورثها أبعدها، أما والله ما أتيتكم اختياراً، ولكن جئت إليكم سوقاً، ولقد بلغني أنكم تقولون علي يكذب، قاتلكم الله، فعلى من أكذب، أعلى الله، فانا أول من آمن به، أم على نبيه، فأنا أول من صدقه، والله ولكنها لهجة غبتم عنها، ولم تكونوا من أهلها، ويلمه كيلاً بغير ثمن، لو كان له وعاء، ولتعلمن بنبأه بعد حين.[1]

قال في الشرح: ثم أقسم أنه لم يأتهم إختياراً، ولكن المقادير ساقته سوقاً، يعني إضطراراً، وصدق عليه السلام لأنه لولا يوم الجمل، لم يحتج إلى الخروج عن المدينة إلى العراق، وإنما استنجد بأهل الكوفة على أهل البصرة إضطراراً إليهم، لأنه لم يكن جيشه الحجازي وافياً بأهل البصرة الذين اصفقوا على حربه، ونكث بيعته، ولم يكن خروجه عن المدينة، وهي دار الهجرة، ومفارقته لقبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وقبر فاطمة عليها السلام، عن إثيار ومحبة، ولكن الأحوال تحكم، وتسوق الناس إلى ما لا يختارون ابتداء.[2]

وقد روى هذا الكلام على وجه آخر: ما أتيتكم اختياراً، ولا جئت إليكم شوقاً - بالشين المعجمة- ثم قال عليه السلام بلغني أنكم تقولون يكذب، وكان عليه السلام كثيراً ما يخبر الملاحم والكاينات، ويوميء إلى أمور أخبره بها

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٧/٦، نهج البلاغة ١١٩/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٨/٦.

رسول الله ﷺ، فيقول المنافقون من أصحابه كذب، كما كان المنافقون الأولون في حياة رسول الله ﷺ يقولون عنه يكذب.[١]

وقال: وروى صاحب كتاب الغارات، عن الاعمش، عن رجاله قال: خطب علي عليه السلام فقال: والله لو أمرتكم فجمعت من خياركم ماية، ثم لو شئت لحدثتكم من غدوة إلى أن تغيب الشمس لا أحدثكم إلاّ حقاً، ثم لتخرجنّ فلتزعمن أني أصدق الناس وأبرهم، ولو أمرتكم فجمعت من خياركم مائة، ثم شيت لحدثتكم من غدوة حتى تغيب الشمس لا أحدثكم إلاّ حقاً، ثم لتخرجن فلتزعمن أني أكذب الناس وأفجرهم.[٢]

وقد ذكر صاحب الكتاب وغيره من الرواة عنه عليه السلام أنه قال: إن أمرنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلاّ ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان.

وهذا الكلام منه عليه السلام كلام عارف عالم بأن في الناس من لا يصدقه فيما يقول، وهذا مركوز في الجبلة البشرية، هو استبعاد الأمور الغريبة، وتكذيب الإخبار بها، وإذا تأملت أحواله في خلافته عليه السلام كلها وجدتها مختصرة من أحوال رسول الله ﷺ في حياته، كأنها نسخة منتسخة منها في حربه وسلمه، وسيرته وأخلاقه، كثرة شكواه من المنافقين من أصحابه

---

[١] ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢٨/٦.

[٢] ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢٨/٦.

والمخالفين، وإذا أردنا أن نعلم علماً واضحاً، فأقرأ سورة براءة ففيها الجم الغفير من المعنى الذي أشرنا إليه.[١]

وقال: قال أبو جعفر الطبري: والله ما أدركنا الفضل في الدنيا إلاّ بمحمد، ولا نرجو ما نرجو من الآخرة وثوابها إلاّ بمحمد، فهو شرفنا، وقومه أشرف العرب، ثم الأقرب منه فالأقرب، وما بيننا وبين أن نلقاه ثم لا نفارقه إلى آدم إلاّ آباء يسيرة، والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال، وجئنا بغير عمل فإنهم أولى بمحمد ﷺ منا يوم القيامة، فلا ينظرن رجل إلى قرابته، وليعمل بما عند الله، فإن من قصر به عمله، لم يسرع به نسبه.[٢]

وروى الزبير بن بكار قال: خطب عمر أم كلثوم إلى علي عليه السلام فقال له: إنها صغيرة، فقال: زوجنيها يا أبا الحسن فإني أرصدك كرامتها ما لا يرصده أحد، فقال: أنا أبعثها إليك فإن رضيتها زوجتكها، فبعثها إليه ببرد، وقال لها قولي هذا البرد الذي ذكرته لك، فقالت له ذلك، فقال: قولي له قد رضيته رضي الله عنك، ووضع يده على ساقها، فقالت: أتفعل هذا، لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت انفك، ثم جاءت أباها فأخبرته الخبر وقالت: بعثتني إلى شيخ سوء، قال: مهلاً يا بنية إنه زوجك، فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين في الروضة، وكان يجلس فيه المهاجرون الأولون، فقال: رقيتوني رقيتوني، قالوا: بماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: تزوجت أم كلتوم بنت علي بن أبي طالب، سمعت

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢٨/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩٥/١٢.

رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلاّ سببي و نسبي وصهري.[١]

وقال: وروى الطبري إن عمر دفع إلى أم كلثوم بنت امير المؤمنين عليه السلام صداقها يوم تزوجها أربعين ألف درهم.[٢]

وقال: وروى ابن ديزيل في كتاب صفين، عن سيف الضبي، قال: سمعت ابن حكيم بن شريك بن نملة المحاربي يروي عن أبيه، عن جده شريك قال: كان الناس من أهل العراق وأهل الشام يقتتلون أيام صفين ويتزايلون، فلا يستطيع الرجل أن يرجع إلى مكانه حتى يسفر الغبار، فتزايلوا يوماً وأسفر الغبار، فإذا علي عليه السلام تحت رايتنا يعني بني محارب، فقال: هل من ماء فأتيته بإداوة فخنثتها له ليشرب، فقال: لا، إنا نهينا أن نشرب من أفواه الأسقية، ثم علق سيفه، وإنه لمختضب بالدم من ضبته إلى قائمه، فصببت على يديه فغسلها حتى انتقاهما، ثم شرب في يده حتى إذا روى رفع رأسه، ثم قال: أين مضر؟ فقلنا أنت فيهم يا أمير المؤمنين، من أنتم بارك الله فيكم، فقلنا نحن محارب، فعرف موقفه، ثم رجع إلى موضعه.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢/١٠٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢/٢٢٧.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥/٢٥٤.

قلت: خنثت الإداوة إذا أثنيت فاها إلى خارج، وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن اختناث الأسقية، لأن رجلاً اختنث سقاء فشرب، فدخل إلى جوفه حية كانت في السقاء.[١]

قال: قال الحسن البصري: علي عليه السلام رباني هذه الأمة، وذو فضلها، وتسميه الفلاسفة إمام الأمة وحكيمها.

وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ادعو لي سيد العرب علياً، فقالت عايشة: ألست سيّد العرب؟ فقال: أنا سيد البشر، وعلي سيد العرب. احتج به الجمهور على قولهم.[٢]

وقال في جواب مكاتبه لمعاوية: وأما تخويفك لي من قتل أهل البغي، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني بقتالهم وقتلهم، وقال لأصحابه إن فيكم من يقاتل على تاويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله، وأشار إليّ، وأنا أول من أتبع أمره.[٣]

وقال: وروى عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير الناس حمزة وجعفر وعلي عليه السلام.[٤]

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٤/٥.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٦/١١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٣/١٤.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٢/١٥.

وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: وليك وليي، ووليي ولي الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، وتمامه مشهور.[١]

وقال: قال حذيفة: لو قسمت فضيلة علي بقتل عمرو يوم الخندق بين أمة محمد صلى الله عليه وآله بأجمعهم لوسعتهم.[٢]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله حين بارز علي عمرو بن ود: برز الإيمان كله للكفر كله.[٣]

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٠/١٥.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٤/١٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦١/١٣.

الباب
الثاني والخمسون
في مواساته عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وثباته في الحروب وفرار غيره ممن بايعه على الموت

ابن أبي الحديد قال: روى أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد اللغوي، غلام ثعلب، ورواه أيضاً محمد بن حبيب في أماليه أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما فر معظم أصحابه عنه يوم أحد كثرت عليه كتائب المشركين، وقصدته كتيبة من بني كنانة، من بني عبد مناة بن كنانة، فيها بنو سفيان بن عويف، وهم خالد بن سفيان، وأبو الشعثاء بن سفيان، وأبو الحمراء بن سفيان، وعزاب بن سفيان، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي اكفني هذه الكتيبة، فحمل عليها، وإنها لتقارب خمسين فارساً، وهو عليه السلام راجل، فما زال يضربها بالسيف فتتفرق عنه، ثم تجتمع عليه، هكذا مراراً حتى قتل بني سفيان بن عويف الأربعة، وتمام العشرة منها ممن لا يعرف اسماهم، قال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا محمد إن هذه المواساة، لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وما يمنعه وهو مني، وأنا منه، فقال جبرئل: وأنا منكما، قال: وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء لا يرى شخص الصارح به ينادي:

لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ علي، فسئل رسول الله ﷺ عنه، فقال: هذا جبرئيل.[١]

قلت: وروى هذا الخبر جماعة من المحدثين، وهو من الأخبار المشهورة، ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن إسحاق، ورأيت بعضها خالية عنه، وسألت شيخي عبد الوهاب بن سكينة عن هذا الخبر، فقال: خبر صحيح، فقلت له: ما بال الصحاح لم تشتمل عليه؟ قال: أو كلما كان صحيحاً تشتمل عليه كتب الصحاح، كم قد أهمل جامع الصحاح من الأخبار الصحيحة.[٢]

وقال: قوله عليه السلام في خطبة له ولقد واسيته بنفسي يعني رسول الله ﷺ.[٣]

قال في الشرح: واسيته، وبالهمز أفصح، وهذا مما اختص عليه السلام بفضيلته، غير مدافع، ثبت معه يوم أحد، وفر الناس، وثبت معه يوم حنين، وفر الناس، وثبت تحت رايته يوم خيبر حتى فتحها، وفر من كان بعث بها من قبله.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٠/١٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥١/١٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٩/١٠.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨١/١٠.

وروى المحدثون أن رسول الله ﷺ لما ارتث يوم أحد ونادى الناس قتل محمد، رأته كتيبة من المشركين، وهو صريع بين القتلى إلاّ أنه حي، فصمدت له، فقال لعلي: اكفني هذه، فحمل عليها فهزمها وقتل رئيسها، ثم صمدت له كتيبة أخرى، فقال: يا علي أكفني هذه، فحمل عليه فهزمها وقتل رئيسها، ثم صمدت له كتيبة أخرى ثالثة، فلذلك كان رسول الله ﷺ يقول قال لي جبرئيل حينئذ: يا محمد إن هذه المواساة، فقلت: وما يمنعه وهو مني وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما.[١]

وروى المحدثون أيضاً أن المسلمين سمعوا ذلك اليوم صائحاً من جهة السماء ينادي لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ علي، فقال رسول الله ﷺ لمن حضره: ألا تسمعون هذا صوت جبرئيل.[٢]

وأما يوم حنين فثبت معه نفر يسير من بني هاشم بعد أن ولى المسلمون الأدبار، وحامى عنه وقتل قوماً من هوازن بين يديه حتى ثابت إليه الأنصار، وأنهزمت هوازن، وغنمت أموالها، وأما خبر فقصته مشهورة، ثم ذكر قوله نجدة مني اكرمني الله بها، النجدة والشجاعة.[٣]

وقال: قال الواقدي: حدثني موسى بن يعقوب، عن عمته، عن أمها، عن المقداد قال: لما تصاف القوم للقتال يوم أحد، جلس رسول الله ﷺ تحت

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٢/١٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٢/١٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨٢/١٠.

راية مصعب بن عمير، فلما قتل أصحاب اللواء، هزم المشركون الهزيمة الأولى، وأغار المسلمون على معسكرهم ينهبونه، ثم كر المشركون على المسلمين فأتوهم من خلفهم، فتفرق الناس، ونادى رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحاب اللواء، فقتل مصعب بن عمير حامل رايته صلى الله عليه وآله، وأخذ راية الخزرج سعد بن عبادة، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله تحتها، وأصحابه محدقون، ودفع لواء المهاجرين إلى أبي الردم أحد بني عبد الدار آخر نهار ذلك اليوم، ونظرت إلى لواء الأوس مع أسيد بن خضير، فتناوشوا المشركين ساعة، اقتتلوا على اختلاط من الصفوف، ونادى المسلمون، ونادى المشركون بشعارهم يا للعزى يا لهبل، فأرجفوا والله فينا قتلاً ذريعاً، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وآله ما نالوا، والذي بعثه بالحق ما زال شبراً واحداً، إنه لفي وجه العدو، وتثوب إليه طائفة من أصحابه مرة، وتتفرق عنه مرة، فربما رأيته قائماً يرمي عن قوسه، ويرمي بالحجر حتى تجازوا، وكانت العصابة التي ثبتت مع رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة عشر رجلاً، سبعة من المهاجرين، وسبعة من الأنصار، فأما المهاجرون فعلي عليه السلام وأبو بكر، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة بن الجراح، والزبير بن العوام، وأما الأنصار فالحباب بن المنذر، وأبو دجانة، وعاصم بن ثابت، و الافلح، والحارث بن الصمة، وسهل بن حنيف، وسعد بن معاذ، وأسيد بن خضير.[١]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩/١٥.

قال الواقدي: وقد روى أن سعد بن عبادة، ومحمد بن مسلمة ثبتا يومئذ ولم يفرا، ومن روى ذلك جعلهما مكان سعد بن معاذ، وأسيد بن خضير.[١]

قال الواقدي: وقد بايعه يومئذ على الموت ثمانية، ثلاثة من المهاجرين، وخمسة من الأنصار، فأما المهاجرين، فعلي، وطلحة، والزبير، وأما الأنصار فابو دجانة، والحارث بن الصمة، والحباب بن المنذر، وعاصم بن ثابت، وسهل بن حنيف.[٢]

قال: ولم يقتل منهم ذلك اليوم أحد، وأما باقي المسلمين ففروا ورسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ يدعوهم في أخراهم حتى انتهى من انتهى منهم إلى قريب من المهراس.[٣]

قال الواقدي: وحدثني عتبة بن جبير، عن يعقوب بن عمير بن قتادة، قال: ثبت يومئذ بين يديه ثلاثون رجلاً كلهم يقول وجهي دون وجهك، ونفسي دون نفسك، وعليك سلام مودع.[٤]

قلت: قد اختلف في عمر بن الخطاب هل ثبت يومئذ أم لا مع اتفاق الرواة كافة على أن عثمان لم يثبت.[٥]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠/١٥.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠/١٥.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠/١٥.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠/١٥.

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠/١٥.

قالوا: فالواقدي ذكر أنه لم يثبت، وأما محمد ابن إسحاق والبلاذري فجعلاه مع من ثبت ولم يفر، وأتفقوا كلهم على ضرار بن الخطاب الفهري قرع رأسه بالرمح، وقال: إنها نعمة مشكورة يا ابن الخطاب، إني آليت أن لا اقتل رجلاً من قريش.[١]

وروى ذلك محمد بن إسحاق وغيره، ولم يختلفوا هل قرعه بالرمح وهو فار هارب أم مقدم ثابت، والذي رووا أنه قرعه بالرمح وهو هارب لم يقل أحد منهم أنه هرب حين هرب عثمان، ولا إلى الجهة التي فر إليها عثمان، وإنما هرب معتصماً بالجبل، وهذا ليس عيب ولا ذنب، لأن المسلمين الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله اعتصموا بالجبل، وأصعدوا فيه، ولكن يبقى الفرق بين من صعد فيه والحرب لم تضع أوزارها، فكان عمر أصعد فيه آخر الأمر، فكل المسلمين هكذا صنعوا حتى رسول الله، وإن كان ذلك والحرب قايمة بعد فقد فروا.[٢]

أما رواة الشيعة فإنهم يروون أنه لم يثبت إلاّ علي، وطلحة، والزبير، وأبو دجانة، وسهل بن حنيف، وعاصم بن ثابت، ومنهم من روى أنه ثبت معه أربعة عشر رجلاً من المهاجرين و الأنصار، ولا يعدون أبا بكر وعمر منهم،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠/١٥.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠/١٥.

وروى كثير من أصحاب الحديث أن عثمان جاء بعد ثلاثة إلى رسول الله ﷺ فسأله أين انتهيت؟ فقال إلى الأحوص، فقال: لقد ذهبت بها عريضة.[١]

وأحتج من روى أن عمر فر يوم أحد بما روي أنه جاءته في أيام خلافته إمرأة تطلب برداً من برود كانت بين يديه، وجاءت معها بنت عمر تطلب برداً فأعطى المرأة ورد ابنته، فقيل له في ذلك، فقال: إن أبا هذه ثبت يوم أحد، وإن أبا هذه فر يوم أحد، ولم يقروا بأن أبا هذه فر يوم أحد.[٢]

وقال: وروى الواقدي قال: حدثني ابن أبي سبرة، عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي جهم، وإسم أبي جهم عبيد، قال: كان خالد بن الوليد يحدث وهو بالشام فيقول: الحمد لله الذي هدانا للإسلام، لقد رأيتني ورأيت عمر بن الخطاب حين جال المسلمون وانهزموا يوم أحد، وما معه أحد، وإني لفي كتيبة خشناء، فما عرفه أحد منهم غيري، وخشيت إن أغريت به من معي أن يصمدوا له، فنظرت إليه و هو متوجه إلى الشعب.

قلت: يجوز أن ذلك كان في آخر الأمر لما يئس المسلمون من النصرة، فكلهم توجه نحو الشعب حنيئذ، وأيضاً فإن خالد متهم في حق عمر لما كان بينه وبينه من الشحناء والشنآن، فليس من قبل الأم، فإن أم عمر حنتمة

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١/١٥.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢/١٥.

بنت هاشم بن المغيرة، وخالد هو بن الوليد بن المغيرة، فأم عمر إبنة عم خالد لحا، والرحم تعطف.[1]

وقال: وحضرت عند محمد بن معد العلوي الموسوي الفقيه على رأي الشيعة الإمامية رحمه الله في داره بدرب الدواب ببغداد في سنة ثمان وستمائة وقاريء يقرأ عنده مغازي الواقدي، فقرأ حدثنا الواقدي، قال: حدثني ابن أبي سبرة، عن خالد ابن رياح، عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد، قال: سمعت محمد بن مسلمة يقول: سمعت أذناي، وأبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم أحد وقد انكشف الناس إلى الجبل وهو يدعوهم وهم لا يلوون عليه، سمعته يقول: اليّ يا فلان، اليّ يا فلان، أنا رسول الله، فما عرج عليه واحد منهما، ومضيا، فأشار ابن معد اليّ اسمع، فقلت: وما في هذا؟ قال: هذه كناية عنهما، فقلت: ويجوز أن لا تكون عنهما، لعله عن غيرهما، قال: ليس في الصحابة من يحتشم ويستحيي من ذكره من الفرار، وما شابه من العيب، فيضطر القائل إلى الكناية إلاّ هما.[2]

قلت له: هذا وهم، فقال: دعنا من جدلك ومنعك، ثم حلف إنه ما عنى الواقدي غيرهما، وأنه لوكان غيرهما لذكره صريحاً، وبان في وجهه التنكر من مخالفتي له.

---

[1] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢/١٥.

[2] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣/١٥.

وقال: وأحتج أيضاً من قال بفرار عمر بما رواه الواقدي في كتاب المغازي في قصة الحديبية، قال: قال عمر يومئذ: يا رسول الله ألم تكن حدثتنا أنك ستدخل المسجد، وتأخذ مفتاح الكعبة، وتعرف مع المعرفين، وهدينا لم يصل إلى البيت ولا نحر، فقال رسول الله ﷺ: أقلت لكم في سفركم هذا؟ قال عمر: لا، قال: أما إنكم ستدخلون، وآخذ مفتاح الكعبة وأحلق رأسي ورؤسكم ببطن مكة، وأعرف مع المعرفين، ثم أقبل على عمر وقال: أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أخراكم، أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤكم من فوقكم، ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، أنسيتم يوم كذا، وجعل يذكرهم أموراً، أنسيتم يوم كذا، فقال المسلمون: صدق الله ورسوله، أنت يا رسول الله أعلم بالله منا.[١]

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣/١٥.

فلما رحل عام القضية وحلق رأسه قال: هذا الذي كنت وعدتكم به، فلما كان يوم الفتح وأخذ مفتاح الكعبة، قال: ادعو لي عمر بن الخطاب، فجاء فقال: هذا الذي كنت قلت لكم.[١]

قالوا: فلو لم يكن فرّ يوم أُحد لما قال له أنسيتم يوم أُحد إِذ تصعدون ولا تلوون على أُحد.[٢]

قال: قال الواقدي: وكان ممن ولّى عمر، وعثمان، والحارث بن حاطب، وثعلبة بن حاطب، وسواد بن غزية، وسعد بن عثمان، وقبة بن عثمان، وخارجة بن عمر، بلغ ملل، وأوس بن قيظي في نفر من بني حارثة بلغوا الشقرة ولقيتهم أُمّ أيمن تحثي في وجوههم التراب، وتقول لبعضهم هاك المغزل فاغزل به، وهلم سيفك.[٣]

قلت: سألت ابن النجار المحدث عن هذا الموضع، فقلت له تأمّل قصّة أُحد تدل على أن المسلمين كانت الدولة لهم باديء الحال، ثم صارت عليهم، وصاح الشيطان قتل محمد فأنهزم أكثرهم، ثم ثاب أكثر المنهزمين إلى النبي ﷺ، فحاربوا دونه حرباً كثيرة طالت مدتها حتى صار آخر النهار، ثم صعدوا في الجبل معتصمين به، وصعد رسول الله ﷺ معهم، فتحاجز الفريقان حينئذ، وهذا هو الذي يدل عليه قصّة أُحد إلاّ أن بعض الروايات التي ذكرها الواقدي

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥/١٥.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥/١٥.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤/١٥.

يقتضي غير ذلك نحو روايته في هذا الباب أن رسول الله ﷺ لما صاح الشيطان أن محمداً قد قتل كان ينادي المسلمون فلا يعرجون عليه، وإنما يصعدون في الجبل، وإنه وجه نحو الجبل فأنتهى إليهم وهم أوزاع يتذاكرون بقتل من قتل منهم، وهذه الرواية تدل على أنه أصعد ﷺ في الجبل من أول الحرب حيث صاح الشيطان، وصياح الشيطان كان حال كرور خالد بن الوليد بالخيل من وراء المسلمين لما غشيهم، وهم مشتغلون بالنهب، واختلط الناس فكيف هذا؟

فقال: إن الشيطان صاح قتل محمد دفعتين، دفعة في أول الحرب، ودفعة في آخر الحرب، لما تصرم النهار، وغشيت الكتائب رسوله ﷺ، وقد قتل ناصروه، وأكلتهم الحرب، فلم يبق معه إلاّ نفر يسير لا يبلغون عشرة، وهذه كانت أصعب من الأُولى، وفيها اعتصم بالجبل، ولم يعتصم في صرخة الشيطان الأُولى بالجبل، بل ثبت وحامى عنه أصحابه، ولقد لقي في الأُولى مشقّة عظيمة من ابن قميئة، وعتبة بن أبي وقاص وغيرهما، ولكنه لم يفارق عرصة الحرب، وإنما فارق هنا، وعلم أنه لم يبق له وجه مقام في الصرخة الثانية.

فقلت له: فكان القوم مختلطين في الصرخة الثانية حتى يصرخ الشيطان قتل محمد؟ قال: نعم، كان المشركون قد أحاطوا بالنبي ﷺ وبمن بقي معه من أصحابه، فاختلط المسلمون بهم، وصاروا مغمورين بينهم لقلتهم بالنسبة إليهم، وظن قوم من المشركين أنهم قد قتلوا النبي ﷺ، لأنهم فقدوا وجهه

وصورته، فنادى الشيطان قتل محمد، ولم يكن يقتل ﷺ، ولكن اشتبهت صورته عليهم وظنّوه غيره، وأكثر من حامى عنه تلك الحال علي عليه السلام، وأبو دجانة، وسهل بن حنيف، وحامى هو عن نفسه، وجرح قوماً بيده تارة بالسهام وتارة بالسيف، ولكن لم يعلموا بأعيانهم لإختلاط القوم، وثوران النقع، وكانت قريش تظنّه واحداً من المسلمين، ولو عرفوه بعينه في تلك الحال لكان الأمر صعباً جداً، ولكن الله تعالى عصمه منهم، بأن أزاغ أبصارهم عنه، فلم يزل هؤلاء الثلاثة يجالدون دونه، وهو يقرب من الجبل، حتى صار في أعلى الجبل، أصعد من فم الشعب إلى تدريج هناك في الجبل، ورقي في ذلك التدريج صاعداً حتى صار في أعلى الجبل، وتبعه النفر الثلاثة، فلحقوا به.

قلت له: فما بال القوم الذين صعدوا في الجبل من المشركين، وكيف كان اصعادهم وعودهم؟

قال: اصعدوا لحرب المسلمين لا لطلب رسول الله ﷺ، لأنهم ظنّوا أنه قد قتل، وهذا هو كان السبب في عودهم من الجبل، لأنهم قالوا قد بلغنا الغرض الأصلي، وقتلنا محمداً، فما لنا والتصميم على الأوس والخزرج وغيرهم من أصحابه مع ما في ذلك من عظم الخطر بالانفس.[1]

قلت له: فإذا كان هذا قد خطر لهم، فلماذا صعدوا الجبل؟

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨/١٥.

قال: يخطر لك خاطر ويدعوك داع إلى بعض الحركات، فإذا شرعت فيها خطر لك خاطر آخر، يصرفك عنها فترجع ولا تتمها.[١]

قلت: فما بالهم لم يقصدوا قصد المدينة ولم ينهبوها؟

قال: كان فيها عبد الله بن أُبي في ثلاثمائة مقاتل، وفيها خلق كثير من الأوس والخزرج لم يحضروا الحرب، وهم مسلمون، وطوائف أُخر من المنافقين لم يخرجوا، وطوائف أُخر من اليهود أُولوا بأس وقوّة، ولهم بالمدينة عيال وأهل ونساء، وكل هؤلاء كانوا يحامون عن المدينة، ولم تكن قريش تأمن مع ذلك أن يأتيها رسول الله صلى الله عليه وآله من ورائها بمن نجا معه من أصحابه، فيحصلوا بين الأعداء من خلفهم ومن أمامهم، فكان الرأي الأصوب لهم العدول عن المدينة، وترك قصدها.[٢]

وقال: قال الواقدي: إن قوماً من قريش صعدوا الجبل فعلوا على المسلمين وهم في الشعب، قال: فكان رافع بن خديج يحدث فيقول أني يومئذ إلى جنب أبي مسعود الأنصاري، وهو يذكر من قتل من قومه، ويسأل عنه فيخبر برجال منهم سعد بن الربيع، وخارجة بن زهير، وهو يسترجع ويترحّم عليهم، وبعض المسلمين يسأل بعضاً عن حميمه، وذي رحمه فيهم، يخبر بعضهم، فبينا هم على ذلك ردّ الله المشركين ليذهب ذلك الحزن عنهم، فإذا عدّوهم فوقهم قد علوا، وإذا كتائب المشركين بالجبل، فنسوا ما كانوا يذكروه

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥/٣٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥/٣٠.

وندبنا رسول الله ﷺ وحضّنا على القتال، والله لكأني أنظر إلى فلان وفلان في عرض الجبل يعدوان هاربين .[١]

وقال: قال الواقدي: فكان عمر يحدّث يقول لما صاح الشيطان قتل محمداً قلت أرقى في الجبل كأني أرويه، فأنتهيت إلى النبي ﷺ وهو يقول ﴿وَمَا محمد إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِه الرُّسُلُ﴾،[٢] الآية، وأبو سفيان في سفح الجبل، فقال رسول الله ﷺ يدعو ربه اللهمّ ليس لهم أن يعلونا، فأنكشفوا له.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦/١٥.

[٢] - آل عمران/١٤٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦/١٥.

الباب
الثالث والخمسون
في أن كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله
يدلان على خلافته عليه السلام

ابن أبي الحديد قال: ومن كلام له عليه السلام في معنى الخوارج لما أنكروا تحكيم الرجال ويذمّ فيه أصحابه في التحكيم: لم نحكّم الرجال وأنما حكّمنا القرآن والقرآن أنما هو خطّ مسطور بين الدفّتين لا ينطق بلسان ولابدّ له من ترجمان وأنما ينطق عنه الرجال ولما دعانا القوم إلى أن يحكم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولّي عن كتاب الله سبحانه وقد قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ فردّه إلى الله أن يحكم بكتابه وردّه إلى الرسول أن يؤخذ بسنّته وإذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن أحقّ الناس به وإن حكم بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله فنحن أحقّ الناس وأولاهم بها وأما قولكم لِمَ جعلت بينك وبينهم أجلا في التحكيم فأنما فعلت ذلك ليتبيّن الجاهل ويثبت العالم ولعل الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأُمّة ولا يؤخذ بأكظامها فتعجّل عن تبين الحقّ، وتنقاد لأوّل الغي أن أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحقّ أحبّ إليه وإن نقصه وكثرته من الباطل وأزجر إليه

فائدة وزاده فأين يتاه بكم ومن أين أتيتم استعدّوا للمسير إلى قوم حيارى حيارى عن الحقّ لا ينصرونه وموزّعين بالجور لا يعدلون عنه جفاة عن الكتاب نكب عن الصراط ما أنتم بتوثيقه تعلّق ولا زواقر يعتصم إليها ليس حساس نار الحرب أنتم أفّ لكم لقد لقيت منكم برحاً يوماً أناديكم ويوماً أناجيكم فلا أحرار عند البلاء ولا اخوان ثقة عند النجا.[1]

قال في الشرح: دفّتا المصحف جانباه اللذان يكتنفانه، وكان الناس يعملونها قديماً من خشب، ويعملونها الآن من جلد، يقول عليه السلام لا اعتراض عليّ في التحكيم، وقول الخوارج حكّمت الرجال دعوى غير صحيحة، وإنما حكمت القرآن، ولكن القرآن لا ينطق بنفسه، ولا بد له ممن يترجم عنه، والترجمان - بفتح التاء وضم الجيم- وهو مفسّر اللغة بلسان آخر، ويجوز ضم التاء لضمة الجيم قال الراجز:

كالترجمان لقى الانباطا

ثم قال: لما دعيت إلى تحكيم الكتاب، لم يكن القوم الذين قال الله تعالى في حقّهم **﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِه لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ**

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٣/٨.

مُعْرِضُونَ﴾،[١] بل أجبنا إلى ذلك، وعملنا بقول الله تعالى: **﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾**.[٢]

قال: ومعنى ذلك أن يحكم بالكتاب والسنّة، فإذا عمل الناس بالحق في هذه الواقعة، وأطرحوا الهوى والعصبية كنا أحق بتدبير الأُمّة، وبولاية الخلافة من المنازع لنا فيها.[٣]

فإن قلت: إنه عليه السلام لم يقل هكذا، وإنما قال إذا حكم بالصدق في كتاب الله، فنحن أولى به، وإذا حكم بالسنّة فنحن أحق بها.

قلت: إنه رفع نفسه عليه السلام أن يصرح بذكر الخلافة، فكنى عنها، وقال نحن إذا حكم بالكتاب والسنّة كنا أولى بالكتاب والسنّة، ويلزم من كونه أولى بالكتاب والسنّة من جميع الناس، أن يكون أولى بالخلافة من جميع الناس، فدل على ما كنى عنه بالأمر المستلزم له.[٤]

---

[١] - النور/٤٨.

[٢] - النساء/٥٩.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٤/٨.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٥/٨.

الباب
الرابع والخمسون
في فصاحته عليه السلام

ابن أبي الحديد قال: أما الفصاحة فهو عليه السلام إمام الفصحاء، وسيد البلغاء، وعن كلامه قيل دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين، ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة.

قال عبدالحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع، ففاضت ثم فاضت.

وقال ابن نباتة: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلاّ سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب.[١]

قال محقن بن أبي محقن لمعاوية: جئتك من عند أعيى الناس، قال له: ويحك كيف يكون أعيى الناس؟ فوالله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره.[٢]

ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على أنه لا يجارى في الفصاحة، ولا يبارى في البلاغة، وحسبك أنه لم يدون لأحد من فصحاء

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠/١٥.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠/١٥.

الصحابة العشر، ولا نصف العشر ما دوّن له، وكفاه في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب البيان والتبيين، وفي غيره من كتبه.[1]

وقال: قال عليه السلام: عالم السرّ من ضمائر المضمرين، ونجوى المتخافتين وخواطر رجم الظنون، وعقد عزيمات اليقين، ومسارق اغماض الجفون، وما ضمنته أكنان القلوب وغيابات الغيوب وما أصغت لاستراقه مصايخ الأسماع، ومصائف الذر، ومشاتي الهوام، ورجع الحنين من المولهات، وهمس الأقدام ومنفسح الثمرة من ولائج غلف الأكمام، ومنقمع الوحوش من غيران الجبال وأوديها، ومختبأ البعوض بين سوق الأشجار والحيتها، ومغرز الأوراق من الأفنان، ومحطّ الأمشاج من مسارب الأصلاب وناشئة الغيوم ومتلاحمه ودرر قطر السحاب ومتراكمها وما يسفى الأعاصير بذيولها وتعفو الأمطار بسيولها، وعوم نبات الأرض في كثبان الرمال، ومستقر ذوات الأجنحة بذرى شناخيب الجبال، وتغريد ذوات المنطق في دياجير الأوكار، وما أودعته الأصداف وخضنت عليه أمواج البحار وما غشيته سدفة الليل ودرّ عليه شارق نهار وما اعتقب عليه اطباق الدياجير وسبحات النور وأثر كل خطوة وحصن كل حركة ورجع كل كلمة وتحريك كل شنعة ومستقرّ كل نسمة ومثقال كل ذّة وهماهم كل نفس هامة وما عليها من ثمر

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥/١.

شجرة أو ساقط ورقة أو قراره نطفة أو نقاعة دم ومضغة أو ناشية خلق وسلالة لم يلحقه في ذلك كلة ولا اعترضه في حفظ ما ابتدع من خلقه عارضه ولا لصورته في تنفيذ الأُمور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة بل نقدهم علمه، وأحصاهم عدده، ووسعهم عدله، وعزمهم فضله مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله .[1]

قال في الشرح: لو سمع النضر ابن كنانة هذا الكلام لقال لقائله ما قال علي بن العباس بن جريح لإسماعيل بن بلبل

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم
كلا ولـكـن لـعـمـري منه شيبان
وكم أب قد علا بإبـن ذرى شرف
كـمـا عـــلا بـرســـول الله عدنان

إذ كان يفخر به على عثمان وقحطان، بل يقر به عين أبيه إبراهيم خليل الرحمن، ويقول له إنه لم يعف ما شيّدت من معالم التوحيد، بل أخرج الله تعالى لك من ظهري ولداً ابتدع من علوم التوحيد في جاهلية العرب ما لم تبتدعه أنت في جاهلية النبط، بل لو سمع هذا الكلام ارسطوطاليس القائل بأنه تعالى لا يعلم الجزئيات لخشع قلبه ووقف شعره، واضطرب فكره، ألا ترى ما عليه من الرواء والمهابة، والعظمة والفخامة، والمتانة والجزالة، مع ما قد أشرب من الحلاوة والطلاوة، واللطف والسلاسة، لا أرى كلاماً يشبه هذا إلاّ أن

[1] ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤/١.

يكون كلام الخالق سبحانه، فإن هذا الكلام نبعة من تلك الشجرة، وجدول من ذلك البحر، وجدوة من تلك النار، وكأنه شرح قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأرض وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.[1]

قال: قال عليه السلام سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً، سلطت الأرض عليهم فيه، فأكلت من لحومهم، وشربت من دمائهم، فأصبحوا في فجوات قبورهم جماداً لا ينمون، وضماراً لا يوجدون، لا يفزعهم ورود الأهوال، ولا يحزنهم تنكّر الأحوال، ولا يحفلون بالرواجف، ولا يأذنون للقواصف، غيّباً لا ينتظرون، وشهود لا يحضرون، وإنما كانوا جميعاً فتشتتوا، وآلافاً فأفترقوا، وما عن طول عهدهم، ولا بعد محلهم عميت أخبارهم، وصمت ديارهم، ولكنّهم سقوا كأساً بدّلتهم بالنطق خرساً، وبالسمع صمماً، وبالحركات سكوناً، فكأنهم في ارتجال الصفة صرعى سبات، جيران لا يتأنسون، وأحباء لا يتزاورون، بليت بينهم عرى التعارف، وأنقطعت منهم أسباب الاخلاء، فكلهم وحيد وهم جميع، وبجانب الهجر وهم أخلاء، لا يتعارفون لليل صباحاً، ولا لنهار مساء، أي الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمداً، شاهدوا من أخطار دارهم

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣/٧، الانعام/٥٩.

أفظع مما خافوا، ورأوا من آياتها أعظم مما قدروا، فكلا الغايتين مدّت لهم إلى مباءة، فأتت مبالغ الخوف والرجاء، فلو كانوا ينطقون بها لعيوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا، ولئن عميت آثارهم، وأنقطعت أخبارهم، لقد رجعت فيهم أبصار العبر، وسمعت عنهم آذان العقول، وتكلموا من غير جهات النطق، فقالوا كلحت الوجوه النواظر، وخوت الأجسام النواعم، ولبسنا أهدام البلى، وتكائدنا ضيق المضجع، وتوارثنا الوحشة، وتهكّمت علينا الربوع الصموت، فأنمحت محاسن أجسادنا، وتنكّرت معارف صورنا، وطالت في مساكن الوحشة اقامتنا، ولم نجد من كرب فرجاً، ولا من ضيق متسعاً، فلو مثّلتهم بعقلك، أو كشف عنهم محجوب الغطاء لك، ارتسخت أسماعهم بالهوام فأستكت، وأكتحلت أبصارهم بالتراب فخسفت، وتقطّعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها، وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها، وعاث في كل جارحة منهم جديد بلى سمجها، وسهل طرق الآفة إليها، مستسلمات فلا أيد تدفع، ولا قلوب تجزع، لرأيت أشجان قلوب، وأقذاء عيون، لهم في كل فضاعة صفة حال لا تنقل، وغمرة لا تنجلي، وكم أكلت الأرض من عزيز جسد، وأنيق لون كان في الدنيا غذّى وترف، وربيب شرف يتعلّل بالسرور في ساعة حزنه، ويفزع إلى السلوة إن مصيبة نزلت به، ضناً بغضارة عيشه، وشحاحة بلهوه ولعبه، فبينا هو يضحك إلى الدنيا

وتضحك إليه في ظلّ عيش غفول، إذ وطى الدهر ب حسكه، ونقضت الأيام قواه، ونظرت إليه الحتوف من كثب، وخالطه بثّ لا يعرفه، ونجي همّ ما كان يجده، وتولّدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحّته، ففزع إلى ما كان عوده الأطباء من تسكين الحار بالقار، وتحريك البارد بالحار، فلم يطفيء ببارد إلاّ ثور حرارة، ولا حرّك بحار إلاّ هيّج بروده، ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع إلاّ أمدّ منها كل ذات داء، حتى فتر معلّله، وذهل ممرّضه، وتعايا أهله بصفة دائه، وخرسوا عن جواب السائلين عنه، وتنازعوا دونه شجى خبر يكتمونه، فقائل منهم هو لما به، وممن لهم إيّاب عافيته، ومصبّر لهم على فقده، يذكّرهم أسى الماضين من قبله، فبينا هو كذلك على جناح من فراق الدنيا، وترك الأحبّة، إذ عرض له عارض من غصصه، فتحيّرت نوافذ فطنته، ويبست رطوبة لسانه، فكم مهم من جوابه عرفه فعيي عن ردّه، ودعاء مؤلم لقلبه سمعه فتصام عنه، من كبير كان يعظمه، أو صغير كان يرحمه، وإن للموت غمرات هي أفظع من أن تستغرق بصفة، أو تعتدل على قلوب أهل الدنيا.[١]

قال في الشرح: هذا موضع المثل ملعا يا ظليم وإلاّ فالتخوية من أراد أن يعظ ويخوّف ويقرع صفات القلب، وتعرف الناس قدر الدنيا وتصرّفها

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١/١٥٠، نهج البلاغة ٢/٢١٠.

بأهلها، فليأت بمثل هذه الموعظة في مثل هذا الكلام الفصيح وإلاّ فليمسك، فإن السكوت أستر، والعي خير من منطق يفضح صاحبه، ومن تأمّل هذا الفصل علم صدق معاوية في قوله فيه، والله ما سن الفصاحة لقريش غيره، وينبغي لو أجتمع فصحاء العرب قاطبة في مجلس، وتلى عليهم أن يسجدوا له كما سجد الشعراء لقول عدي بن الرقاع:

قلم أصاب من الدواة مداداً

فلما قيل لهم في ذلك قالوا إنا نعرف مواضع السجود في الشعر، كما تعرفون مواضع السجود في القرآن، وإني لأُطيل التعجّب من رجل يخطب في الحرب بكلام على أن طبعه مناسب لطباع الأُسود والنمور، وأمثالهما من السباع الضارية، ثم يخطب في ذلك الموقف بعينه، إذا أراد موعظة بكلام يدل على أن طبعه مشاكل لطباع الرهبان، لابسي المسوح الذين لم يأكلوا لحماً، ولم يريقوا دماً، فتارة يكون في صورة بسطام بن قيس الشيباني، وعتيبة ابن الحارث اليربوعي، وعامر بن الطفيل العامري، وتارة يكون في صورة سقراط الحبر اليوناني، ويوحنا المعمدان الاسرائيلي، والمسيح ابن مريم الإلهي، فأقسم بمن تقسم الأُمم كلها به، لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة، وإلى الآن أكثر من ألف مرة ما قرأتها قط إلاّ وتحدث عندي روعة، وخوفاً، وعظة، وأثّرت في قلبي وجيباً، وفي أعصابي رعدة، ولا تأملتها إلاّ وذكرت الموتى من أهلي وأقاربي، وأرباب ودّي، وخيّلت في نفسي أني أنا ذلك الشخص الذي وصف عليه السلام حاله، وكم قد قال الواعظون والخطباء والفصحاء في مثل

هذا المعنى، وكم وقفت على ما قالوه، وتكرّر وقوفي عليه، فلم أجد لشيء منه مثل تأثير هذا الكلام في نفسي، فإما أن يكون ذلك لعقيدتي في قائله، أو كأنه نيّة القائل كانت صالحة، ويقينه كان ثابتاً، وإخلاصه كان محضاً خالصاً فكان تأثير قوله في النفوس أعظم، وسريان موعظته في القلوب أبلغ .[١]

وقال: وأعلم أني أضرب لك مثلا تتّخذه دستوراً في كلام أمير المؤمنين، وكلام الكتاب والخطباء بعده كإبن نباتة والصابي وغيرهما، أنظر نسبته شعر أبي تمام والبختري، وأبي نؤاس إلى شعر امريء القيس، والنابغة، وزهير، والأعشى، هل إذا تأمّلت أشعار هؤلاء، وأشعار هؤلاء، تجد نفسك حاكمة بتساوي القبيلتين أو بتفضيل أبي نؤاس وأصحابهم عليهم، ما أظن أن ذلك مما تقوله أنت، ولا قاله غيرك، ولا يقوله إلاّ من لا يعرف علم البيان وماهية الفصاحة، وكنه البلاغة، وفضيلة المطبوع على المصنوع، ومزية المتقدم على المتأخر، فإذا قررت من نفسك بالفرق والفضل، وعرفت فضل الفاضل، ونقص الناقص، فأعلم أن نسبة كلام أمير المؤمنين عليه السلام إلى هؤلاء هذه النسبة، بل هي أظهر، لأنك تجد في شعر امريء القيس وأصحابه من التعجرف والكلام الحوشي، واللفظ الغريب المستكره شيئاً كثيراً، ولا تجد ذلك في كلام أمير المؤمنين عليه السلام شيئاً، وأكثر فساد الكلام ونزوله، إنما هو بإستعمال ذلك، فإن شئت أن تزداد استبصاراً فأنظر إلى القرآن العزيز، وأعلم أن الناس قد اتفقوا على أنه في أعلا طبقات الفصاحَة، وتأمل تأملاً شافياً،

---
[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٢/١١.

وأنظر إلى ما خص به من مزية الفصاحة والبلاغة، والبعد عن التنفير والتعقيب، والكلام الوحشي الغريب، وأنظر كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فإنك تجده مشتقاً من ألفاظه، ومتقصّياً من معانيه ومذاهبه، ومحذواً به حذوه، ومسلوكاً به في منهاجه، فهو وإن لم يكن له نظيراً ولا نداً، يصلح أن يقال ليس بعده كلام أفصح منه، ولا أجزل ولا أعلى، ولا أفخم ولا أنبل، إلاّ أن يكون كلام ابن عمه صلى الله عليه وآله، وهذا أمر لا يعلمه إلاّ من ثبت له قدم راسخة في علم هذه الصناعة، وليس كل الناس تصلح لانتقاد الجوهر بل ولا لانتقاد الذهب، ولكل صناعة أهل، ولكل عمل رجال.[1]

وقال ابن أبي الحديد عقيب خطبة له عليه السلام في خلق الله تعالى الملائكة وصفاتهم، قال ابن أبي الحديد: من أراد أن يتعلّم الفصاحة والبلاغة، ويعرف فضل الكلام بعضه على بعض، فليتأمّل هذه الخطبة، فإن نسبتها إلى كل كلام فصيح من الكلام عدا كلام الله ورسوله، نسبهة الكواكب النيّرة إلى الحجارة المظلمة الأرضية، ثم لينظر الناظر إلى ما عليها من البهاء والجلالة، والرواء والديباجة، وما يتّحد به من الروعة والرهبة، والمخافة والخشية حتى لو تليت على زنديق ملحد، مصمم على اعتقاد في البعث والنشور لهدّت قواه، وأرعبت قلبه، وأضعفت نفسه، وزلزلت اعتقاده، فجزى الله قائلها عن الإسلام أفضل ما جزى به ولياً من أوليائه، فما أبلغ نصرته تارة بيده وسيفه، وتارة بلسانه ونطقه، وتارة بقلبه وفكره، إن قيل جهاد وحرب فهو

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٣/٢

سيد المجاهدين والمحاربين، وإن قل وعظ وتذكير، فهو أبلغ الواعظين والمذكّرين، وإن قيل فقه وتفسير، فهو رئيس الفقهاء والمفسّرين، وإن قيل عدل وتوحيد فهو إمام العدل والتوحيد، وليس على الله بمستنكر بأن يجمع العالم في واحد.[١]

وقال في خطبة له عليه السلام: فإن الغاية أمامكم، وإن وراءكم الساعة تحدوكم، تخفّفوا تلحقوا، فإنما ينتظر بأولكم آخركم.[٢]

قال في الشرح: قال الرضي أبو الحسن رحمه الله: وأقول إن هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه، وكلام رسوله صلى الله عليه وآله بكل كلام لمال به راجحاً، وبرز عليه سابقاً، فأما قوله عليه السلام تخفّفوا تلحقوا، فما سمع كلام أقلّ منه مسموعاً، ولا أكثر محصولاً، وما أبعد غورها من كلمة، وأنقع نطفتها من حكمة، وقد نبّهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها، وشرف جوهرها.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠٢/٧.

[٢] - نهج البلاغة ٥٨/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٠١/١.

الباب
الخامس والخمسون
في مقتله عليه السلام وموضع قبره عليه السلام

ابن أبي الحديد: قال عليه السلام في سحرة اليوم الذي ضرب فيه ملكتني عيني وأنا جالس، فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله، ماذا لقيت من أُمّتك من الأود واللدد، فقال: ادع عليهم، فقلت: أبدلني الله بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني.[1]

قال: قال الرضي: يعني بالأود ذا الاعوجاج، وباللدد الخصام، وهذا من أفصح الكلام.[2]

ملكتني عيني من فصيح الكلام، يريد به غلبني النوم، وقوله فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ بي، كما يسنح الظباء والطير يمرّ بك، ويعرض لك، وذا هنا بمعنى الذي كقوله تعالى: ﴿مَاذَا تَرَى﴾،[3] أي ما الذي ترى، يقول قلت له عليه السلام ما الذي لقيت من أُمّتك، وما هاهنا استفهامية، كأي، ويقال ذلك فيما يستعظم أمره، كقوله سبحانه ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾،[4] وشرّ هاهنا لا يدل على

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٢/٦، نهج البلاغة ١١٨/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٢/٦.

[3] - الصافات/١٠٢.

[4] - القارعة/١.

أن فيه شرّاً كقوله تعالى : ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾،[١] لا يدل على أن في النار خير.[٢]

ثم قال ابن أبي الحديد: ويجب أن نذكر في هذا الموضع مقتله عليه السلام قال: وأصحّ ما ورد في ذلك ما ذكره أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب مقاتل الطالبيين عليهم السلام.[٣]

قال أبو الفرج بعد أسانيد ذكرها مختلفة متفرقة تجتمع على معنى واحد: نحن ذاكروه إن نفراً من الخوارج أجتمعوا بمكة فتذاكروا أُمراء المسلمين، فعابوهم وعابوا أعمالهم عليهم، وذكروا أهل النهروان فترحموا عليهم، وقال بعضهم لبعض فلو أنا شرينا أنفسنا لله عزّ وجل فأتينا أئمّة الضلال فطلبنا غرّتهم، وأرحنا منهم العباد والبلاد، وثأرنا بإخواننا الشهداء بالنهروان، فتعاقدوا عند انقضاء الحج، فقال عبدالرحمن بن ملجم أنا أكفيكم علياً، وقال واحد أنا أكفيكم معاوية، وقال الثالث أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاقدوا وتواثقوا على الوفاء، وأن لا ينكل واحد منهم عن صاحبه الذي يتوجّه إليه، ولا عن قتله، واتّعدوا الشهر رمضان في الليلة التي قتل فيها ابن ملجم ﴿لعنه الله﴾ علياً عليه السلام.[٤]

---

[١] - الفرقان/١٥.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٢/٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٢/٦، مقاتل الطالبيين/٢٩.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٣/٦، مقاتل الطالبيين/١٧.

قال أبو الفرج: قال أبو مخنف: قال أبو زهير العبسي الرجلان الآخران البرك بن عبدالله التميمي، وهو صاحب معاوية، وعمرو بن بكر التميمي، وهو صاحب عمرو بن العاص.

قال: فأما صاحب معاوية، فإنه قصده فلما وقعت عينه عليه ضربه فوقعت الضربة في اليته، وأُخذ فجاء الطبيب إليه فنظر إلى الضربة، فقال: إن السيف مسموم، فأختر، إما أحمي لك حديدة فاجعلها على الضربة، وإما أن أسقيك دواء فتبرأ وينقطع نسلك، فقال أما النار فلا أُطيقها، وأما النسل ففي يزيد وعبد الله ما تقرّ عيني، وحسبي بهما، فسقاه الدواء فعوفي، وعالج جرحه حتى التأم، ولم يولد له بعد ذلك، وقال له البرك بن عبد الله إن لك عندي بشارة، قال: وما هي؟ فأخبره خبر صاحبه، وقال له: إن علياً قتل في هذه الليلة فأحبسني عندك، فإن قتل فأنت ولي ما تراه في أمري، وإن لم يقتل أعطيتك العهود أني أمضي إليه فأقتله، ثم أعود إليك فأضع يدي في يدك حتى تحكم فيّ ما ترى، فحبسه عنده، فلما أتاه أن علياً عليه السلام قتل في تلك الليلة خلّى سبيله، هذه رواية إسماعيل بن راشد.، وقال غيره من الرواة بل قتله من وقته.

وأما صاحب عمرو بن العاص فإنه وافاه في تلك الليلة وقد وجد علّة فأخذ دواء فأستخلف رجلاً يصلّي بالناس، يقال له خارجة بن أبي حبيبة، أحد بني عامر بن لؤي، فخرج للصلاة، وشدّ عليه عمرو بن بكر، فضربه بالسيف فأثبته، فأُخذ الرجل فأُوتي به عمرو بن العاص فقتله، ودخل من غد إلى

خارجة، وهو يجود بنفسه، فقال: أما والله يا أبا عبد الله ما أراد غيرك، قال عمرو: ولكن الله أراد خارجة.

وأما ابن ملجم فأنه قتل علياً عليه السلام تلك الليلة.[1]

قال أبو الفرج: وحدثني محمد بن الحسن الاشناندانى وغيره قالوا: أخبرنا علي بن المنذر الطرايفي، قال: حدثنا ابن فضيل، قال: حدثنا قطر، عن أبي الطفيل، قال: جمع علي عليه السلام الناس للبيعة، فجاء عبد الرحمن بن ملجم فردّه علي مرتين أو ثلاثاً، ثم مدّ إليه يده فبايعه، فقال له علي عليه السلام: ما يحبس أشقاها، فوالذي نفسي بيده، لتخضبنّ هذه من هذه، ثم أنشد شعراً:

اشدد حيازيمك للموت ... فـإن الـمـوت لاقيك

ولا تجزع مـن الموت ... إذا حـــلّ بـواديـك[2]

قال أبو الفرج: وروى لنا من طرق غير هذه أن علياً عليه السلام أعطى الناس، فلما بلغ ابن ملجم أعطاه، ثم قال له:

أريـــد حباءه ويريد قتلي ... عذيرك من خليلك من مرادي[3]

قال أبو الفرج: وحدثني أحمد بن عيسى العجلي بإسناد ذكره في الكتاب إلى أبي زهير العبسي، قال: كان ابن ملجم من مراد، وعداده في كندة، فأقبل حتى قدم الكوفة، فلقى بها أصحابه، وكتمهم أمره، وطوى عنهم ما

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٣/٦، مقاتل الطالبين/١٨.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٤/٦، مقاتل الطالبين/١٨.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٥/٦، مقاتل الطالبين/١٨.

تعاقدوا وأصحابه عليه بمكة من قتل أُمراء المسلمين، مخافة أن ينشر، وزار رجلاً من أصحابه ذات يوم من بني تيم من بني تيم الدار، فصادف عنده قطام بنت الأخضر من بني تيم الرباب، وكان علي عليه السلام قتل أباها وأخاها يوم النهروان، وكانت من أجمل نساء أهل زمانها، فلما رأها شغف بها، واشتدّ اعجابه، فخطبها، فقالت له: ما الذي تسمّي لي من الصداق؟ فقال: احتكمي، ما بدا لك، فقالت: أحتكم عليك ثلاثة آلاف درهم، ووصيفاً، وخادماً، وأن تقتل علي بن أبي طالب، فقال لها: لك جميع ما سألت، أما قتل علي بن أبي طالب فأنى بذلك؟! قالت: تلتمس غرّته، فإن أنت قتلته شفيت نفسي، وهناك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا، فقال لها: أما والله ما أقدمني هذا المصر، وقد كنت هارباً منه لا من أهله إلاّ ما سألتيني من قتل علي، قالت له: فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على هذا ويقوّيك، فبعثت إلى وردان بن مجالد أحد بني تيم الرباب، فخبرته الخبر، وسألته معاونة ابن ملجم، فتحمّل لها ذلك، وخرج ابن ملجم فأتى رجلاً من أشجع، يقال له شبيب بن بحيرة، وقال له: يا شبيب، هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: تساعدني على قتل علي، وكان شبيب على رأي الخوارج، فقال له: هبلتك الهبول، قد جئت شيئاً إدّاً، وكيف تقتله ويحك على ذلك، قال ابن ملجم: نكمن له في المسجد، فإذا خرج إلى صلاة الفجر فتكنا به وقتلته، فشفينا أنفسنا، وأدركنا ثارنا، فلم يزل به حتى أجابه، فأقبل معه حتى دخلا على قطام وهي معتكفة في المسجد الأعظم، قد ضربت عليها قبّة، فقالا لها: قد اجتمع

رأينا على قتل هذا الرجل، فقالت لهما: فإذا أردتما ذلك فالقياني في هذا الموضع، فأنصرفا من عندها، فلبثا أياماً ثم أتياها ومعهما وردان بن مجالد الذي كلفته بمساعدة ابن ملجم، وذلك في ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين.[١]

قال أبو الفرج: هذا في رواية أبي مخنف وفي حديث أبي عبدالرحمن السلمي أنها كانت ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، فقال لها ابن ملجم: هذه الليلة هي التي وعدت فيها صاحبي، وأوعداني أن يقتل كل واحد منّا صاحبه الذي يتوجّه إليه.

قلت: إنما تواعد بمكة عبد الرحمن، والبرك وعمرو على هذه الليلة بعينها، لأنهم يعتقدون أن قتل ولاة الجور قربة إلى الله تعالى، وأحرى القربات بالقبول ما تقرّب به في الأوقات الشريفة المباركة، ولما كانت ليلة الجمعة التاسعة عشرة من شهر رمضان ليلة شريفة، ترجى أن تكون ليلة القدر غيّبوها لفعل ما يعتقدونه قربة إلى الله تعالى، فيتعجّب المتعجّب من العقائد كيف تسري في القلوب، وتغلب على العقول حتى يرتكب الناس عظائم الأُمور، وأهوال الخطوب لأجلها.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٥/٦، مقاتل الطالبيين/١٨.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٦/٦، مقاتل الطالبيين/٢٠.

قال أبو الفرج: فدعت لهم بحرير فعصبت به صدورهم، وتقلّدوا سيوفهم، ومضوا فجلسوا مقابل الشدّة التي كان يخرج منها علي عليه السلام إلى الصلاة.

قال أبو الفرج وقد كان ابن ملجم قد أتى إلى الأشعث بن قيس في هذه الليلة، فخلا به في بعض نواحي المسجد، ومرّ بهما حجر بن عدي فسمع الأشعث وهو يقول لإبن ملجم: النجا النجا بحاجتك، فقد فضحك الصبح، فقال له قتلته يا أعور، وخرج مبادراً إلى علي عليه السلام وقد سبقه ابن ملجم فضربه، فأقبل حجر والناس يقولون قتل أمير المؤمنين عليه السلام.[١]

قال أبو الفرج: وللأشعث بن قيس في إنحرافه عن أمير المؤمنين أخبار يطول شرحها، منها حديث حدثنيه محمد بن الحسين الاشناندانى، قال: حدثنا إسماعيل بن موسى، قال: حدثنا علي بن مسهر، عن الأجلح، عن موسى بن أبي النعمان، قال: جاء الأشعث إلى علي عليه السلام يستأذن عليه فردّه قنبر، فأدمى الأشعث أنفه، فخرج علي عليه السلام وهو يقول: ما لي وما لك يا أشعث، أما والله لو بعبد ثقيف تمرست لأقشعرّت شعيراتك، قيل: يا أمير المؤمنين ومن عبد ثقيف؟ قال: غلام لهم لا يبقي أهل بيت من العرب إلاّ أدخلهم ذلاًّ، قيل يا أمير المؤمنين كم يلي أو كم يمكث؟ قال: عشرين إن بلغها.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٦/٦، مقاتل الطالبيين/٢٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٧/٦، مقاتل الطالبيين/٢٠.

قال أبو الفرج: وحدثني محمد بن الحسين أيضاً بإسناد ذكره أن الأشعث دخل على علي عليه السلام فكلمه فأغلظ علي عليه السلام له، فعرض له الأشعث أنه سيفتك به، فقال له علي عليه السلام أبالموت تخوّفني أو تهدّدني، فوالله ما أُبالي وقعت على الموت أو وقع الموت علي.[١]

قال أبو مخنف: فحدثني عن عبد الله بن محمد الأزدي قال: إني لأُصلي تلك الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل مصر، فأتوا يصلون في ذلك الشهر من أول الليل إلى آخره، إذ نظرت إلى رجال يصلون قريباً من السدة، قياماً وقعوداً، وركوعاً وسجوداً لا يسأمون، إذ خرج عليهم علي عليه السلام لصلاة الفجر، فأقبل ينادي الصلاة الصلاة، فرأيت بريق السيف، وسمعت قائلاً يقول الحكم لله لا لك يا علي، ثم رأيت بريق سيف آخر، وسمعت صوت علي عليه السلام يقول لا يفوتكم الرجل.[٢]

قال أبو الفرج: فأما بريق السيف الأول، فإنه كان شبيب بن بجيرة ضربه فأخطأه، ووقعت ضربته في الطاق، وأما بريق السيف الثاني، فإنه ابن ملجم ضربه فأثبت الضربة في وسط رأسه ﴿عليه الصلاة والسلام﴾، وشدّ الناس عليهما من كل ناحية حتى أخذوهما.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٧/٦، مقاتل الطالبيين/٢٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٧/٦، مقاتل الطالبيين/٢١.

قال أبو مخنف: فهمدان تذكر أن رجلا منهم يكنى أبا الحصا أخذ ابن ملجم، وقال غيره بل أخذه المغيرة بن الحرث بن عبد المطلب فطرح عليه قطيفة، ثم صرعه، وأخذ السيف من يده، وجاء به.

قال: وأما شبيب بن بحيرة، فإنه خرج هارباً، فأخذه رجل فصرعه وجلس على صدره، وأخذ السيف من يده ليقتله، فرأى الناس يقصدون نحوه فخشى أن يعجّلوا عليه، فوثب عن صدره وطرح السيف من يده، ومضى شبيب هارباً حتى دخل منزله، فدخل عليهم ابن عم له، فرآه يحل الحرير عن صدره، فقال: ما هذا لعلك قتلت أمير المؤمنين، فأراد أن يقول لا، فقال نعم، فمضى ابن عمه فأشتمل على سيفه، فدخل عليه فضربه حتى قتله.[1]

قال أبو مخنف: فحدثني أبي، عن عبد الله بن محمد الأزدي، قال: أُدخل ابن ملجم على علي عليه السلام، ودخلت عليه فيمن دخل، فسمعت علياً عليه السلام يقول: النفس بالنفس، إن أنا مت فأقتلوه كما قتلني، وإن سلمت رأيت فيه رأيي، فقال ابن ملجم: والله لقد ابتعته بألف، يعني السيف، وسمّمته بألف، فإن خانني فأبعده الله.

قال: قال: فرأته أُمّ كلثوم، فقالت: يا عدو الله، قتلت أمير المؤمنين، قال: أنما قتلت أباك، قالت: ياعدو الله، إني لأرجو أن لا يكون عليه بأس، قال: فأراك أنما تمكّني عليّ إذاً، والله لقد ضربته ضربة لو قسّمت بين أهل الأرض لأهلكتهم.

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٨/٦، مقاتل الطالبيين/٢١.

قال أبو الفرج: فأُخرج ابن ملجم من بين يديه عليه السلام وهو يقول:

ونحن ضربنا يا ابنة الخير إذ طغا أبـا حـسـن مـأمـومـة فتفطرا
ونحن حللنا ملكه من نظامـه بضربة سيف إذ عـــلا وتجبّرا
ونحن كرام في الصباح أعزّة إذا المرء بالموت ارتدا وتأزرا[1]

قال: وأنصرف الناس من صلاة الصبح، فأحدقوا بإبن ملجم ينهشون لحمه بأسنانهم، كأنهم السباع، ويقولون: يا عدو الله، ماذا صنعت، أهلكت أُمّة محمد، وقتلت خير الناس، وإنه لصامت ما ينطق.[2]

قال أبو الفرج: وروى أبو مخنف، عن أبي الطفيل أن صعصعة بن صوحان استأذن على علي عليه السلام وقد أتاه عائداً لما ضربه ابن ملجم، فلم يكن عليه إذن فقال صعصعة للآذن: قل له يرحمك الله يا أمير المؤمنين حيّاً وميتاً، فلقد كان الله في صدرك عظيماً، ولقد كنت بذات الله عليماً، فأبلغه الآذن مقالته، فقال له: قل له: وأنت يرحمك الله، لقد كنت خفيف المؤونة، كثير المعونة.[3]

قال أبو الفرج: ثم جمع له عليه السلام أطباء الكوفة، فلم يكن منهم أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هاني السكوني، وكان متطبّباً صاحب كرسي يعالج الجراحات، وكان من الأربعين غلاماً الذين كان خالد بن الوليد أصابهم

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٨/٦، مقاتل الطالبيين/٢٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٨/٦، مقاتل الطالبيين/٢٢.

[3] - مقاتل الطالبيين/٢٢.

في عين النمر فسباهم، فلما نظر أثير إلى جرح أمير المؤمنين عليه السلام دعا برية شاة حارة، فأستخرج منها عرقاً وأدخله في الجرح، ثم نفخه، ثم استخرجه، وإذا عليه بياض الدماغ، فقال: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك، قد وصلت ضربته إلى أمّ رأسك، فدعا علي عليه السلام عند ذلك بدواة وصحيفة وكتب وصيّته هذا ما أوصى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أوصى أنه يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، صلوات الله عليه وبركاته، إن صلاتي ونسكي، ومحياي ومماتي، لله ربّ العالمين، لا شريك له، وبذلك أُمرت وأنا أول المؤمنين، أُوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهل بيتي، ومن بلغه كتابي هذا، بتقوى الله ربنا وربكم، ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون، وأعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، وإن المبيرة حالقة الدين، إفساد ذات البين، ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، انظروا ذوي أرحامكم فصلوها، يهون الله عليكم الحساب، والله الله في الأيتام، فلا تغيرن أفواههم بحضرتكم، والله الله في جيرانكم، فإنها وصية رسول الله فيهم، ما زال يوصينا بهم حتى ظننا أنه سيورثهم، والله الله في القرآن، فلا يسبقكم بالعمل به غيركم، والله الله في الصلاة، فإنها عماد دينكم، والله الله في صيام شهر رمضان، فإنه جنّة من النار لكم، والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم، والله الله في زكاة أموالكم، فإنها تطفي غضب ربكم، والله الله في أهل بيت نبيكم، فلا

يظلمنّ بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم، فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين، فأشركوهم في معايشكم، والله الله فيما ملكت أيمانكم، فإنها كانت آخر وصية رسول الله ﷺ، وقال أُوصيكم بالضعيفين ما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة، لا تخافوا في الله لومة لائم، يكفكم من بغى عليكم، ومن أرادكم بسوء، قولوا لله حسناً، كما أُمركم الله به، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيتولّى ذلك غيركم، وتدعون فلا يستجاب لكم، عليكم بالتواضع والتباذل والتبار، إيّاكم والتقاطع والتفرّق والتدابر، تعاونوا على البرّ والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتّقوا الله، إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيّه ﷺ، استودعتكم الله خير مستودع، وعليكم سلام الله ورحمته.[١]

قوله عليه السلام في الأيتام فلا تغيّروا أفواههم بحضرتكم يحتمل تفسيرين:

أحدهما: لا تجيعوهم، فإن الجائع يخلف فمه، وتتغيّر نكهته.

والثاني: لا تحوجوهم إلى مذلّة السؤال والطلب، فإن السائل ينضب ريقه، وتنشف لهواته، فيتغيّر ريح فمه، وقوله عليه السلام حكاية عن الرسول ﷺ أُوصيكم بالضعيفين مما ملكت أيمانكم، يعني به الحيوان الناطق، والحيوان الأعجم.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٩/٦، مقاتل الطالبيين/٢٣.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢١/٦، مقاتل الطالبيين/٢٣.

قال أبو الفرج: وحدثني أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بإسناد ذكره في الكتاب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: قال الحسن بن علي عليه السلام: خرجت وأبي يصلّي في المسجد، فقال لي: يا بني أني بت الليلة أُوقظ أهلي، لأنها ليلة الجمعة صبيحة يوم بدر لسبع عشرة ليلة من شهر رمضان، فملكتني عيناي، فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله، ماذا لقيت من أُمّتك من الأود واللدد، فقال لي: ادع عليهم، فقلت: اللهمّ أبدلني بهم من هو خير لي منهم، وأبدلهم بي من هو شرّ لهم مني، فقال الحسن عليه السلام: وجاء ابن أبي الصباح فأذنه بالصلاة، فخرج وخرجت خلفه، فأعترضه الرجلان، فأما أحدهما فوقعت ضربته في الطاق، وأما الآخر فأثبتها في رأسه.[1]

قال أبو الفرج: وحدثني أحمد بن عيسى، قال: حدثنا الحسين بن نصر، قال: حدثني زيد بن المعدل، عن يحيى بن شعيب، عن أبي مخنف، عن فضيل بن خديج، عن الأسود الكندي، والأجلح، قال: توفى علي عليه السلام وهو ابن أربع وستين سنة في عام أربعين من الهجرة، ليلة الأحد لإحدى وعشرين ليلة مضت من شهر رمضان، وولي غسله إبنه الحسن، وعبد الله بن العباس، وكفّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وصلّى عليه إبنه الحسن، فكبّر عليه خمس تكبيرات، ودفن بالرحبة مما يلي أبواب كندة عند صلاة الصبح، هذه رواية أبي مخنف.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢١/٦، مقاتل الطالبيين/٢٥.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢١/٦، مقاتل الطالبيين/٢٥.

قال أبو الفرج: وحدثني أحمد بن سعيد، قال: حدثنا يحيى بن الحسن العلوي، قال: حدثنا يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن الحسين بن علي الخلال، عن جدّه، قال: قلت للحسين بن علي عليه السلام: أين دفنتم أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: خرجنا به ليلاً إلى منزله حتى مررنا على منزل الأشعث حتى خرجنا به إلى الظهر بجنب الغري.[١]

قال: قلت: وهذه الرواية هي الحق، وعليها العمل، وقد قلنا فيما تقدم أن أبناء الناس أعرف بقبور آبائهم من غيرهم من الأجانب، وهذا القبر الذي بالغري هو الذي كان بنو علي عليه السلام يزورونه قديماً وحديثاً، ويقولون هذا قبر أبينا، لا يشك واحد في ذلك من الشيعة ولا من غيرهم، أعني أن بني علي عليه السلام من ظهر الحسن والحسين وغيرهما من سلالته المتقدمين منهم والمتأخرين ما زاروا ولا وقفوا إلاّ على هذا القبر بعينه.[٢]

وقد روى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي في تاريخه المعروف بالمنتظم وفاة أبي القائم محمد بن علي بن ميمون البرسي المعروف بأبي لجودة قرائته، قال: توفى أبو الغنائم هذا في سنة عشرين وخمس مائة، وكان محدثاً من أهل الكوفة، ثقة حافظاً، وكان من قوّام الليل، ومن أهل السنّة، وكان يقول بالكوفة من هو على مذهب أهل السنّة، وأصحاب الحديث غيري، وكان يقول مات بالكوفة ثلاثمائة صحابي ليس قبر واحد منهم

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٢/٦، مقاتل الطالبيين/٢٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٢/٦.

معروف إلاّ قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وهو هذا القبر الذي تزوره الناس الآن جاء جعفر بن محمد عليه السلام وأبوه محمد بن علي بن الحسين عليه السلام فزاره، ولم يكن هناك قبراً ظاهراً، وإنما كان أرضاً حتى جاء محمد بن زيد الداعي الديلمي فأظهر القبر، وسألت بعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عما ذكره الخطيب أبو بكر رحمه الله في تاريخه أن قوماً يقولون أن هذا القبر الذي تزوره الشيعة إلى جانب الغري هو قبر المغيرة بن شعبة، فقال: غلطوا في ذلك، قبر المغيرة بن شعبة، وقبر زياد بالثوية بأرض الكوفة، ونحن نعرفها، وننقل ذلك عن آبائنا وأجدادنا، وأنشد قول الشاعر في زياد وقد ذكره أبو تمام:

صلّى الإله على قبر وطهره
عند الثوية تسفي فوقه المور

زفت إليه قريش نعش سيّدها
فالحلم والجود فيه اليوم مقبور

أبا المغيرة والدنيا مفجعة
وإن من غرت الدنيا لمغرور

قد كان عندك للمعروف معرفة
وكان عندك للمنكور تنكير

وكنت تغشى وتعطي المال من سعة
فاليوم قبرك أضحى وهو مهجور

والناس بعدك قـــد خفت حلومهم

كـأنـمـا نـفـخـت فيها الأعاصير[1]

وقال: وسألت قطب الدين نقيب الطالبيين أبا عبد الله الحسين بن الاقساسي رحمه الله عن ذلك، فقال: صدق من أخبرك، نحن وأهلنا كافة نعرف مقابر ثقيف في الثوية، وهي إلى اليوم معروفة، وقبر المغيرة فيها إلاّ أنها لا تعرف بأعيانها، قد ابتلغها السبخ، وزبد الأرض وفورانها، فطمست واختلط بعضها ببعض، ثم قال: إن شبهت أن تتحقّق أن قبر المغيرة في مقابر ثقيف فأنظر إلى كتاب الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني والمقال ما قاله في ترجمة المغيرة، وأنه مدفون في مقابر ثقيف، ويكفيك قول أبي الفرج فإنه النافذ البصير، والطبيب الخبير، فتصفّحت ترجمة المغيرة في الكتاب المذكور فوجدت الأمر كما قاله النقيب رحمه الله.[2]

قال أبو الفرج: كان مصقلة بن هبيرة الشيباني قد لاحى المغيرة في شيء كان بينهما منازعه، فضرع له المغيرة، وتواضع في كلامه حتى طمع فيه مصقلة فأستعلى عليه وشتمه، وقال له: إني لأعرف شبهي في عروة إبنك، فأشهد المغيرة على قوله هذا شهوداً، ثم قدّمه إلى شريح القاضي، فأقام عليه البيّنة، فضربه شريح الحد، وآلى مصقلة أن لا يقيم ببلدة فيها المغيرة، فلم يدخل الكوفة حتى مات المغيرة، فدخلها، فتلقاه قومه وسلّموا عليه، فلما فرغ

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٢/٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٤/٦.

من السلام سألهم عن مقابر ثقيف، فأرشدوه إليها، فجعل قوم من مواليه يلتقطون الحجارة، فقال لهم: ما هذا؟ قالوا نظّن أنك تريد أن ترجم قبر المغيرة، فقال: القوا ما في أيديكم فألقوه، فأنطلق حتى وقف على قبره، ثم قال: والله لقد كنت ما علمت ناقماً لصديقك، ضاراً لعدوك، وما مثلك إلاّ كما قال مهلهل في كليب أخيه:

إن تحت الأحجار عزماً وجزماً   وخصيماً ألدّ ذا معلاق

حيّة في الوجار أربد لا   ينفع منه السليم نفثة راقي[1]

قال أبو الفرج: فأما ابن ملجم، فإن الحسن عليه السلام بعد دفنه أمير المؤمنين عليه السلام دعا به، وأمر بضرب عنقه، فقال له: إن رأيت أن تأخذ عليّ العهود أن أرجع إليك حتى أضع يدي في يدك بعد أن أمضي إلى الشام، فأنظر ما صنع صاحبي بمعاوية، فإن كان قتله وإلاّ قتلته، ثم عدت إليك حتى تحكم فيّ حكمك، فقال: هيهات، والله لا نشرب البارد حتى نلحق روحك بالنار، فضرب عنقه، واستوهبت أمّ الهيثم بنت الأسود النجفية جثته منه، فوهبها فأحرقتها بالنار، وقال ابن أبي مياس الفزاري، وهو من الخوارج، شعر:

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة

كمهر قطام من غني ومعدم

ثلاثة آلاف وعبد وقينة

وضرب علي بالحسام المصمم

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٤/٦.

فلا مهر أغلى من علي وإن غلا

ولا فتك إلاّ دون فتك ابن ملجم[1]

وقال عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب:

وهزّ علي بالعراقين لحية

مصيبتها جلّت على كل مسلم

وقال سيأتيها من الله نازل

ويخضبها أشقى البرية بالدم

فعاجله بالسيف شلّت يمينه

لشؤم قطام عند ذاك ابن ملجم

فيا ضربة من خاسر ضلّ سعيه

تبوّأ منها مقعداً في جهنّم

ففاز أمير المؤمنين بحظه

وإن طرقت إحدى الخطوب بمعظم

ألا إنما الدنيا بلاء وفتنة

حلاوتها شيبت بصاب وعلقم[2]

قال أبو الفرج: وأنشدني عمي الحسن بن محمد، قال: أنشدني محمد بن سعد لبعض بني عبد المطلب يرثي علياً عليه السلام ولم يذكر إسمه:

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٥/٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٥/٦.

يـا قبر سيدنا المجن سماحة صلـى الإله عليك يـا قـبـر
مـا ضـرّ قـبـر أنت ساكنه ألا يـحـل بـأرضـه الـقـطر
فليندين سمـاح كفّك بالثرى ولـيـورقـن بـجـنـبك الصخر
والله لو بك لـم أجـد أحداً إلاّ قـتـلـت لـفاتني الـوتـر[١]

وقال: قال الشيخ أبو القاسم، وهو أحد الصبية الذين قال فيهم أبو عقبة، وقد قدم ليضرب عنقه، من للصبية يا محمد؟ فقال: النار، اضربوا عنقه، قال: وللوليد شعر يقصد فيه الردّ على الرسول ﷺ حيث قال: وإن تولّوها علياً تجدوه هادياً مهدياً، قال: وذلك أن علياً عليه السلام لما قتل قصدوا بنوه أن يخفوا قبره خوفاً من بني أُميّة أن يحدثوا في قبره حدثاً، فأوهموا الناس في موضع قبره تلك الليلة، وهي ليلة دفنه إيهامات مختلفة، فشدّوا على جمل تابوتاً موثّقاً بالحبال يفوح منه رائحة الكافور، وأخرجوه من الكوفة في سواد الليل، صحبه ثقاتهم، يوهمون أنهم يحملونه إلى المدينة، فيدفنونه عند فاطمة عليها السلام، وأخرجوا بغلاً وعليه جنازة مغطّاة، يوهمون أنهم يدفنونه بالحيرة، وحفروا حفائر عدّة منها بالمسجد، ومنها برحبة القصر، قصر الإمارة، ومنها في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة المخزومي، ومنها في أصل دار عبد الله بن زيد القسري، بحذا باب الوارقين، ومما يلي قبلة المسجد، ومنها في الكناسة، ومنها في الثوية، فعمى على الناس موضع قبره، ولم يعلم مدفنه على الحقيقة إلاّ بنوه والخواص المخلصون من أصحابه، فإنهم خرجوا به وقت السحر من الليلة

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٦/٦.

الحادية والعشرين من شهر رمضان، فدفنوه على النجف بالموضع المعروف بالغري بوصاة منه عليه السلام في ذلك، وعهد كان عهد به إليهم، وعمي موضع قبره على الناس، وأختلفت الأراجيف في صبيحة ذلك اليوم اختلافاً شديداً، وافترقت الأقوال في موضع قبره الشريف وتشعبت، وأدعى قوم أن جماعة من طي وقعوا على جمل في تلك الليلة، وقد أضلّه أصحابه ببلادهم وعليه صندوق، فظنّوا فيه مالاً، فلما رأوا ما فيه خافوا أن يطلبوا به، فدفنوا الصندوق بما فيه، ونحروا البعير وأكلوه، وشاع ذلك في بني أُميّة وشيعتهم وأعتقدوه حقاً، فقال الوليد بن عقبة من أبيات يذكره عليه السلام فيها:

فإن يك قد ضلّ البعير بحمله فلم يك مهدياً ولم يك هاديا

وقد مضى حديث في موضع قبره، وأنه في الغري في الفصل الثالث من مقدمة الكتاب، باب نسبه عليه السلام.[1]

وحدثني يحيى بن سعيد بن علي الحنبلي المعروف بإبن غالية من ساكني قطفتا بالجانب الغربي من بغداد، وأحد الشهود المعدلين بها، قال: كنت حاضراً عند الفخر إسماعيل بن علي الحنبلي الفقيه المعروف بغلام ابن المنى، وكان الفخر إسماعيل هذا مقدم الحنابلة ببغداد في الفقه والخلاف، ويشتغل بشيء في علم المنطق، وكان حلو العبارة، وقد رأيته أنا، وحضرت عنده، وسمعت كلامه، وتوفى سنة عشرة وستمائة، قال ابن غالية ونحن عنده نتحدّث إذ دخل عليه شخص من الحنابلة، قد كان له دَين على بعض أهل

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨١/٤

الكوفة، فأنحدر إليه يطالبه، وأتفق أن حضرت زيارة يوم الغدير، والحنبلي المذكور بالكوفة، وهذه الزيارة هي اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة، ويجتمع بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام من الخلائق جموع عظيمة، تتجاوز حدّ الإحصاء، قال ابن غالية: فجعل اليوم الفخر يسأل ذلك الشخص ما فعلت؟ ما رأيت؟ هل وصل مالك إليك؟ هل بقي لك منه بقية عند غريمك؟ وذلك الشخص يجاوبه حتى قال له: يا سيدي لو شاهدت يوم الزيارة، يوم الغدير لرأيت ما يجري عند قبر علي بن أبي طالب من الفضائح، والأقوال الشنيعة، وسب الصحابة جهاراً بأصوات مرتفعة من غير مراقبة ولا خفية، فقال إسماعيل: وأي ذنب لهم، والله ما أجرأهم على ذلك، ولا فتح لهم هذا الباب إلاّ صاحب ذلك القبر، فقال ذلك الشخص: ومن هو صاحب القبر؟ قال: علي بن أبي طالب، قال: يا سيدي هو الذي سنّ لهم ذلك، وعلّمهم إياه، وطرقهم إليه؟ قال: نعم، والله، قال: يا سيدي، فإن كان محقّاً، فما لنا نتولّى فلاناً وفلاناً؟ وإن كان مبطلاً فما لنا نتولاّه ينبغي أن نبرأ منه ومنهما؟ قال ابن غالية: فقام إسماعيل مسرعاً، فلبس نعله، وقال: لعن الله إسماعيل الفاعل ابن الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسألة، ودخل دار حرمه، وقمنا نحن وانصرفنا.

وقال: وروى المحدثون أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: أتدري من أشقى الأولين؟ قال: نعم، عاقر ناقة صالح، قال: أفتدري من أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: من يضربك على هذه حتى تخضب هذه.[1]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠٧/٩.

الباب
السادس والخمسون
في فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام

ابن أبي الحديد: في سبب بغض عائشة لأمير المؤمنين علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام قال: أعلم أن هذا الكلام يحتاج إلى شرح، وقد كنت قرأته على الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعاني رحمه الله أيام اشتغالي عليه بعلم الكلام، وسألته عما فيه عنده، فأجابني بجواب طويل، أنا أذكر محصول بعضه بلفظه رحمه الله، وبعضه بلفظي، فقد شذّ عني لفظه كله بعينه، قال: أول بدو الضغن كان بينها وبين فاطمة، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله تزوجها عقيب موت خديجة، فأقامها مقامها، وفاطمة هي إبنة خديجة، ومن المعلوم أن إبنة الرجل إذا ماتت أُمّها، وتزوّج أبوها إمرأة أُخرى، كان بين الإبنة وبين المرأة كدر وشقاق، وهذا لا بد منه، لأن الزوجة تنفس عليها ميل الأب، والبنت تكره ميل أبيها إلى امرأة غريبة كالضرّة لأُمها، بل هي ضرّة على الحقيقة، وإن كانت الأُم ميتة، ولأنا لو قدرنا الأُم حيّة لكانت العداوة مضطرمة متسعرة، فإذا قد كانت ماتت ورثت ابنتها تلك العداوة، وفي المثل عداوة الحماة والكنة، وقال الراجز:

إن الحماة أولعت بالكنّة   وأولعت كنّتها بالظـنـة[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٢/٩.

ثم اتفق أن رسول الله ﷺ مال إليها وأحبّها، فأزداد ما عند فاطمة بحسب زيادة ميله، وأكرم رسول الله ﷺ فاطمة إكراماً عظيماً أكثر مما كان الناس يظنونه، وأكثر من إكرام الرجال لنسائهم حتى خرج بها عن حد حب الآباء للأولاد، فقال بمحضر الخاص والعام مراراً لا مرة واحدة، وفي مقامات مختلفة لا في مقام واحد، أنها سيدة نساء العالمين، وإنها عديلة مريم بنت عمران، وإنها إذا مرّت في الموقف نادى مناد من جهة العرش يا أهل الموقف غضّوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد، وهذا من الأحاديث الصحيحة، وليس من الأخبار المستضعفة، وإن انكاحه علياً إياها ما كان إلاّ بعد أن أنكحه الله تعالى إياها في السماء، بشهادة الملائكة، وكم قال مرة يؤذيني ما يؤذيها، ويغضبني ما يغضبها، وإنها بضعة مني، يريبني ما رابها، والحديث طويل، تقدم بطوله في الباب الحادي عشر.[١]

وقال: ويجب أن يقول إن حرمة فاطمة أعظم، ومكانها أرفع، وصيانتها لأجل رسول الله ﷺ أولى، فإنها بضعة منه، وجزء من دمه ولحمه، وليست كالزوجة الأجنبية التي لا نسب بينهما وبين الزوج، وإنها لهي صلة مستعارة وعقد يجري مجرى إجارة المنفعة، وكما يملك رق الأمة بالبيع والشرى، ولهذا قال الفرضيون أسباب التوارث ثلاثة، سبب، ونسب، وولاء، فالنسب القرابة، والسبب النكاح، والولاء ولاء العتق، فجعلوا النكاح خارجاً عن النسب، ولو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين، وكيف تكون

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٣/٩.

عائشة وغيرها في منزلة فاطمة، وقد أجمع المسلمون كلهم من يحبها ومن لا يحبها منهم أنها سيّدة نساء العالمين.[١]

وقال: روى محمد بن زكريا الغلابي، عن شيوخه، عن أبي المقدام، عن عمر بن عبدالعزيز، قال: حدثني محمد بن عمر بن حزم، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة مني، يسخطني ما يسخطها، ويرضيني ما أرضاها.

وقال: عائشة أفضل منها فاطمة عند أصحابنا، لقوله ﷺ فاطمة سيدة نساء العالمين.[٢]

وقال: قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري: حدثني أبو زيد، قال: حدثني محمد بن عباد، قال: حدثني ابني سعيد بن عبادة، عن الليث بن سعد، عن رجاله، عن أبي بكر الصديق ﴿رضي الله عنه﴾ أنه قال: ليتني لم أكشف بيت فاطمة ولو أُغلق على الحرب.[٣]

وقال: قال أبو بكر: وأخبرني أبو بكر الباهلي، عن إسماعيل بن مجالد، عن الشعبي، قال: قال أبو بكر: يا عمر أين خالد بن الوليد، فقال: هاهو ذا، قال: انطلقا إليهما، يعني علياً والزبير، فأتياني بهما، فأنطلقا فدخل عمر، ووقف خالد على الباب من خارج، فقال عمر للزبير: ما هذا السيف؟ قال: أعددته لأُبايع علياً

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧/٢٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٨/١٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥١/٦.

عليه السلام قال: وكان في البيت أُناس كثير، منهم المقداد بن عمرو، وجمهور الهاشميين، فأخترط عمر السيف، فضرب به صخرة في البيت فكسره، ثم أخذ بيد الزبير فأقامه، ثم دفعه فأخرجه، وقالل: ياخالد، دونك هذا، فأمسكه خالد، وكان خارج البيت مع خالد جمع كثير من الناس أرسلهم أبو بكر ردءاً لهما، ثم دخل عمر فقال لعلي: قم فبايع، فتلكأ واحتبس، فأخذ بيده، وقال: قم فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير حتى أمسكه خالد، وساقهما عمر ومن معه سوقاً عنيفاً، وأجتمع الناس ينظرون، وامتلأت شوارع المدينة بالرجال، ورأت فاطمة ما صنع عمر، فصرخت وولولت، وأجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهنّ، فخرجت إلى باب حجرتها، ونادت يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، والله لا أُكلم عمر حتى ألقى الله، قال: فلما بايع علي والزبير، وهدأت تلك الفورة، مشى إليها أبو بكر بعد ذلك فشفع لعمر، وطلب إليها، فرضيت عنه.[١]

وقال: قال أبو بكر: وحدثني المؤمّل بن جعفر، قال: حدثني محمد بن ميمون، قال: حدثني داود بن المبارك، قال: أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ونحن راجعون من الحج في جماعة، فسألناه عن مسائل، وكنت أحد من سأله، فسألته عن أبي بكر وعمر، فقال: أُجيبك بما أجاب به جدي عبد الله بن الحسن، فإنه سئل عنهما، فقال:

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٨/٦.

كانت أُمّنا صدّيقة بنت نبي مرسل، وماتت وهي غضبى على قوم، فنحن غضاب لغضبها.

وقال: قلت: قد أخذ هذا المعنى بعض شعراء الطالبيين من أهل الحجاز، وأنشدنيه النقيب جلال الدين عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد العلوي، قال: أنشدني هذا الشاعر لنفسه، وذهب عني أنا إسمه:

يا أبا حفص الهوينا ومـا كنت مـلـيـاً بـذاك لـولا الحمام

أتموت البتول غضبى ونرضى ما كذا تصنع البنون الـكـرام

يخاطب عمر ويقول له مهلاً ورويداً يا عمر، أي أرفق وايتئد، ولا تعنف بنا، وما كنت ملياً، أي وما كنت أهلاً، لأن تخاطب بهذا وتستعطف، ولا كنت قادراً على ولوج دار فاطمة عليها السلام على ذلك الوجه الذي ولجتها عليه، لولا أن أباها الذي كان بيتها يحترم، ويصان لأجله، مات فطمع فيها من لم يكن يطمع، ثم قال: تموت أُمّنا وهي غضبى ونرضى نحن، إذاً لسنا بكرام، فإن الولد الكريم يرضى لرضى أبيه وأُمّه، ويغضب لغضبهما.[1]

ثم قال ابن أبي الحديد عقيب هذا الكلام: والصحيح أنها ماتت عليها السلام وهي واجدة على أبي بكر وعمر، وأنها أوصت أن لا يصليّا عليها، وذلك عند أصحابنا من الأُمور المغفورة لهما، وكان الأولى بهما إكرامها، واحترام منزلتها، لولا أنهما خافا الفرقة، وأشفقا من الفتنة، ففعلا ما هو الأصلح بحسب ظنّهما، وكانا من الدين وقوّة اليقين بمكان مكين، لا يشك في ذلك، والأُمور

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٩/٦.

الماضية يتعذّر الوقوف على عللها وأسبابها، ولا يعلم حقائقها إلاّ من شاهدها ولابسها، بل لعل الحاضرين المشاهدين لهما لا يعلمون باطن الأُمور، فلا يجوز العدول عن حسن الاعتقاد فيهما بما جرى، والله ولي المغفرة والعفو، فإن هذا لو ثبت أنه خطأ لم يكن كبيرة، بل كان من باب الصغائر التي لا تقتضي التبرّي، ولا توجب زوال التولّي.[١]

أقول: يطول التعجّب من ردّ ابن أبي الحديد النصوص من رسول الله ﷺ مع اعترافه بصحّتها، وتأويلاتها بتأويلات باردة، واحتمالات كاسدة، وتخيلات فاسدة، مثل تأويل هذا النصّ من أن غضبها وسخطها وإيذائها، غضب رسول الله ﷺ وسخطه وإيذائه، فهل كان غضب رسول الله ﷺ وسخطه وإيذائه من الصغائر، وقد قال الله تعالى: ﴿أن الَّذينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالأخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهيناً وَالَّذينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾،[٢] وما هذا من ابن أبي الحديد إلاّ تعصب وحب لمذهب الاعتزال، حشره الله تعالى مع محبيه، وجعل إمامه أبا بكر وعمر، وأوردهم النار، وبئس الورد المورود.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٠/٦.

[٢] - الاحزاب/٥٨.

قال: لما سئلت عائشة من كان أحب الناس إلى رسول الله؟ فقالت: أما من الرجال فعلي، وأما من النساء ففاطمة.[١]

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٣/١٣.

الباب
السابع والخمسون
في أخذ فدك من فاطمة عليها السلام وما جرى في ذلك

ابن أبي الحديد قال: قال عليه السلام: بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلّته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم الله، وما أصنع بفدك وغير فدك، والنفس مظانها في غد جدث، ينقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها، وأُوسعت يد حافرها، لأضغطها الحجر والمدر، وسدّ فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفس أُروضها بالتقوى.[1]

وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الاكبر، وتثبت على جوانب المزلق.

يقول: لا مال لي، ولا أقتنيت فيما مضى مالاً، وإنما كانت في أيدينا فدك، فشحّت عليها نفوس قوم، أي بخلت، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، أي سامحت وأغضت، وليس يعني ها هنا بالسخاء إلاّ هذا، لا السخاء الحقيقي، لأنه عليه السلام وأهله لم يسمحوا بفدك إلاّ غصباً وقهراً، وقد قال هذه

[1] - نهج البلاغة ٧١/٣.

الألفاظ في موضع آخر فيما تقدم، وهو يعني الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ قال: ونعم الحكم الله، الحاكم، وهذا الكلام كلام شاك متظلّم.[1]

قال في الشرح: إنا نتكلم في شرح هذه الكلمات بثلاثة فصول:

الفصل الأول: فيما ورد في الحديث والسير في أمر فدك.

الفصل الثاني: هل النبي يورث أم لا؟

الفصل الثالث: في أن فدك هل صح كونها نحلة من رسول الله ﷺ أم لا؟

الفصل الأول

فيما ورد في الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم لا من كتب الشيعة ورجالهم، فإنا مشترطون على أنفسنا أن لا نحفل بذلك، وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة وفدك، وما وقع من الاختلاف والاضطراب عقيب وفاة رسول الله ﷺ، وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدث، كثير الأدب، ثقة، ورع، أثنى عليه المحدثون، ورووا عنه مصنفاته وغير مصنفاته.[2]

قال أبو بكر: حدثني أبو زيد عمر بن شبه، قال: حدثني حيان بن بشر، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: أخبرنا ابن أبي زايدة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، قال: بقيت بقية من أهل خيبر تحصّنوا، فسألوا رسول الله ﷺ أن

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠٨/١٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٠/١٦، ترجمة الجوهري

يحقن دماءهم ويسيرهم ففعل ذلك، فسمع ذلك أهل فدك، فنزلوا على مثل ذلك، فكانت للنبي صلى الله عليه وآله خاصة، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.[1]

قال أبو بكر: وروى محمد بن إسحاق أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما فرغ من خيبر، قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يصالحونه على النصف من فدك، فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطريق أو بعد ما قدم المدينة، فقبل ذلك منهم، فكانت فدك لرسول الله صلى الله عليه وآله خالصة له، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.[2]

قال: وروى أنه صالحهم عليها كلها، والله أعلم أي الأمرين كان.

قال: وكان مالك بن أنس يحدث عن عبد الله بن أبي بكر بن عمر بن جرم أنه صالحهم على النصف، فلم يزل الأمر كذلك حتى أخرجهم عمر بن الخطاب وأجلاهم بعد أن عوضهم عن النصف الذي كان لهم عوضاً من إبل وغيرها، وقال غير مالك بن أنس لما أجلاهم عمر بعث إليهم من يقوّم الأموال، بعث أبا الهيثم بن التيهان، وفروة بن عمر، وحباب بن صخر، وزيد بن ثابت، فقوّموا أرض فدك ونخلها، فأخذها عمر ودفع إليهم قيمة النصف الذي لهم، فكان بلغ ذلك خمسين الف درهم، أعطاهم إياها من مال كان له بالعراق، وأجلاهم إلى الشام.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١٠/١٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١٠/١٦.

[3] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢١٠/١٦.

قال أبو بكر: فحدثني محمد بن زكريا، قال: حدثني جعفر بن محمد بن عمارة الكندي، قال: حدثني أبي، عن الحسن، عن صالح، قال: حدثني رجالات من بني هاشم، عن زينب بنت علي بن أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾، قال جعفر بن محمد بن عمارة: وحدثني أبي، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه.[1]

قال أبو بكر: وحدثني عثمان بن عمران الجعفي، عن زايل بن نجيح، عن عمر بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، قال أبو بكر: وحدثني أحمد بن محمد بن يزيد، عن عبد الله بن محمد بن سلمان، عن أبيه، عن عبد الله بن حسن بن الحسن، قالوا جميعاً: لما بلغ فاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ إجماع أبي بكر وعمر على منعها فدك، لاثت خمارها، وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ في ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على أبي بكر، وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار، فضرب بينها وبينهم ريطة بيضاء، وقال بعضهم قبطية - بالضمّ والكسر- ثم أنت أنة أجهش لها القوم بالبكاء، ثم أمهلت طويلاً حتى سكتوا من فورتهم، ثم قالت:

ابتدء بحمد من أولى بالحمد والطول والمجد، الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم، وذكروا خطبة طويلة جداً، قالت في آخرها: اتّقوا الله حق تقاته، وأطيعوه فيما أمركم به، فأنما يخشى الله من عباده

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١١/١٦.

العلماء، وأحمدوا الله بعظمته ونوره، يبتغي من في السموات والأرض إليه الوسيلة، ونحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصّته، ومحل قدسه، ونحن حجّته في غيبه، ونحن ورثة أنبياءه، ثم قالت: أنا فاطمة بنت محمد، أقول عوداً على بدء، وما أقول ذلك سرفاً ولا شططاً، فأسمعوا بإسماع واعية، وقلوب راعية، قالت: لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تعزوه تجدوه أبي دون آبائكم.

ثم ذكر كلاماً طويلاً سنذكره فيما بعد في الفصل الثاني.

تقول في آخره: **ثم أنتم الآن تزعمون لا ارث لي، أفحكم الجاهلية تبغون، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون، إيهاً معاشر المسلمة ابتزّ ارث أبي، أبى الله أن ترث يا ابن أبي قحافة أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً، فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولكل نبأ مستقر، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحلّ عليه عذاب مقيم.**

قال: ثم التفتت إلى قبر أبيها فتمثلت بقول هند بنت أثاثة:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

أبدت رجال لنا فحوى صدورهم لما قضيت وحالت دونك الترب

تـهـجـمتـنـا رجال واستـخف بنا إذ غبت عنّا فنحن اليوم نـغتصب [1]

قال: فلم تر الناس أكثر باكياً وباكية منهم يومئذ، ثم عدلت إلى مسجد الأنصار فقالت:

يا معشر البقية، وأعضاد الملّة، وحضنة الإسلام، ما هذه الفترة عن نصرتي، والونية عن معونتي، والغمزة في حقي، والسنة عن ظلامتي، أما قال رسول الله صلى الله عليه وآله المرء يحفظ في ولده، سرعان ما أخدثتم، وعجلان ما أتيتم، ألإن مات رسول الله صلى الله عليه وآله أمتم دينه، ها أن موته لعمري خطب جليل استوسع وهنه، واستبهم فتقه، وفقد راتقه، واظلمّت الأرض له، وخشعت الجبال، وأكدت الآمال، أضيع بعده الحريم، وهتكت الحرمة، وأُذيلت المصونة، وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته، وأنبأكم بها قبل وفاته، فقال: ﴿وَمَا محمد إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ إيهاً بني قيلة، اهتضم تراث أبي وأنتم بمرأى ومسمع، تبلغكم الدعوى، ويشملكم الصوت، وفيكم العدة والعدد، ولكم الدار والجنن، وأنتم نخبة الله التي انتخب، وخيرته التي اختار، باديتم العرب، وبادهتم الأُمور، وكافحتم البهم حتى دارت بكم رحى الإسلام، ودرّ حلبه،

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٢/١٦.

وخبت نيران الحراب، وسكنت فورة الشرك، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، أفتأخّرتم بعد الإقدام، ونكصتم بعد الشدة، وجبنتم بعد الشجاعة، عن قوم نكثوا أيمانهم بعد عهدهم، وطعنوا في دينكم، فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم، لعلهم ينتهون، ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة، فجحدتم الذي وعيتم، وسغتم الذي سوّغتم، وإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله غني حميد، ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، وخور القناة، وضعف اليقين، فكدنكموها فأحتقبوها مدبرة الظهر، ناقبة الخف، باقية العار، موسومة الشنار، موصولة بنار الله الموصدة التي تطّلع على الأفئدة، فبعين الله ما تعملون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.[1]

قال أبو بكر: وحدثني محمد بن زكريا، قال: حدثنا محمد بن الضحاك، قال: حدثنا هشام بن محمد، عن عوانة بن الحكم، قال: لما علمت فاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ أبا بكر بما كلمته، حمد الله أبو بكر، وأثنى عليه، وصلّى على رسوله، ثم قال: يا خيرة النساء، وابنة خيرة الآباء، والله ما عدوت رأي رسول ﷺ، ولا عملت إلاّ بأمره، وإن الرائد لا يكذب أهله، وقد قلت فأبلغت، وأغلظت وأهجرت، فغفر الله لنا ولك، أما بعد: فقد دفعت آلة رسول

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١١/١٦.

الله ﷺ ودابته وحذاه إلى علي، وأما ما سوى ذلك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة، ولا أرضاً ولا عقاراً، ولا داراً، ولكنّا نورث الإيمان والحكمة، والعلم والسنّة، فقد عملت بما أمرني، ونصحت له، وما توفيقي إلاّ بالله، عليه توكلت وإليه أُنيب.[١]

وقال أبو بكر: وروى هشام بن محمد، عن أبيه، قال: قالت فاطمة لأبي بكر: أن أُم أيمن تشهد لي أن رسول الله أعطاني فدك، فقال لها: يا ابنة رسول الله، والله ما خلق الله خلقاً أحب إليّ من رسول الله أبيك، لوددت أن السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك، والله لئن تفتقر عائشة أحب إليّ من أن تفتقري، أتراني أعطي الأسود والأحمر حقه، وأظلمك وحقك، وأنت بنت رسول الله، إن هذا المال لم يكن للنبي ﷺ، أنما كان مالاً من أموال المسلمين، يحمل به النبي الرجال، وينفقه في سبيل الله، فلما توفى رسول الله ﷺ وليته كما كان يليه، قالت: والله لا كلمتك أبداً، قال: والله لا هجرتك أبداً، قالت: والله لأدعونّ عليك، قال: والله لأدعونّ الله لك، فلما حضرتها الوفاة أوصت أن لا يصلّي عليها، فدفنت ليلاً، وصلّى عليها العباس بن عبد المطلب، وكان بين وفاتها ﴿رضي الله عنها﴾ ووفاة أبيها اثنان وسبعين ليلة.[٢]

وقال: قال أبو بكر: وحدثني محمد بن زكريا، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة بالإسناد الأول، قال: فلما سمع أبو بكر خطبتها شق عليه

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٣/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٤/١٦.

مقالتها، صعد المنبر فقال: أيها الناس ما هذه الرعة إلى كل قالة، أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله، ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، إنما هو ثعالة شهيده ذنبه، مرب لكل فتنة، هو الذي يقول كروها جذعة بعدما هرمت، يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء، كأم طحال أحب أهلها إليها البغي، ألا أني لو أشاء أقول لقلت، ولو قلت لبحت، إني ساكت ما تركت، ثم التفت إلى الأنصار فقال: بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم، وأحق من لزم عهد رسول الله أنتم، فقد جاءكم فآويتم ونصرتم، ألا فإني لست باسطاً يداً، ولا لساناً على من لم يستحق ذلك منا، ثم نزل، فأنصرفت فاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ إلى منزلها.[1]

وقال: قلت: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي جعفر يحيى بن أبي زيد البصري، وقلت له: بمن يعرض؟ فقال: بل يصرح، قلت: لو صرح لم أسألك، فضحك، وقال: بعلي بن أبي طالب.

قلت: هذا الكلام كله لعلي يقول؟! قال: نعم، إنه الملك يا بني، قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر علي، فخاف من اضطراب الأمر عليه، فسألته عن غريبة، فقال: ما هذه الرعة – بالتخفيف- أي الاستماع والاصغاء، والقالة القول، وثعالة إسم الثعلب، علم غير منصرف، مثل ذوالة للذئب، وشهيدة ذنبه، أي لا شاهد له على ما يدعي إلاّ بعضه أو جزء منه، وأصله مثل، قالوا: إن الثعلب أراد أن يغري الأسد بالذئب، فقال له: إنه أكل الشاة التي

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٤/١٦.

أعددتها لنفسك، وكنت حاضراً، قال: فمن يشهد ذلك بذلك، فرفع ذنبه وعليه دم وكان الأسد قد افتقد الشاة، فقبل شهادته، وقتل الذئب، ومرب ملازم، أرب بالمكان، وكروهاً جذعه أعيدوها إلى الحال الأُولى، بمعنى الفتنة والهرج، وأُمّ الطحال إمرأة بغيّة في الجاهلية، يضرب بها المثل، يقال: أزنى من أُمّ الطحال.[١]

وقال: وقال أبو بكر: وحدثني محمد بن زكريا، قال: حدثنا ابن عائشة قال: حدثني أبي، عن عمه، قال: لما كلمت فاطمة أبا بكر بكى، ثم قال: يا ابنة رسول الله ما ورث أباك ديناراً ولا درهماً، وإنه قال: الأنبياء لا يورثون، فقالت: إن فدك وهبها لي رسول الله ﷺ، قال: فمن يشهد بذلك، فجاء علي بن أبي طالب فشهد، وجاءت أُمّ أيمن فشهدت أيضاً، فجاء عمر بن الخطاب وعبدالرحمن بن عوف فشهدا، إن رسول الله ﷺ كان يقسمها، فقال أبو بكر: صدقت يا ابنة رسول الله، وصدق علي، وصدقت أُمّ أيمن، وصدق عمر، وصدق عبد الرحمن بن عوف، وذلك أن مالك لأبيك كان رسول الله ﷺ يأخذ من فدك قوتكم، ويقسّم الباقي، ويحمل منه في سبيل الله، فما تصنعين بها؟ قالت: أصنع بها كما كان يصنع بها أبي، قال: فلك عليّ أن أصنع فيها ما كان يصنع أبوك، قالت: الله لتفعلنّ، قال: الله لأفعلنّ، قال: اللهم اشهد، قال: وكان أبو بكر يأخذ غلّتها فيدفع إليهم منها ما يكفيهم، ويقسّم الباقي، ثم كان عمر كذلك، ثم كان علي كذلك، فلما ولي الأمر معاوية بن أبي سفيان أقطع

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٥/١٦.

مروان بن الحكم ثلثها، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها، وذلك بعد موت الحسن بن علي ﴿رضي الله عنه﴾، فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلها لمروان بن الحكم أيام خلافته، فوهبها لعبدالعزيز ابنه، فوهبها عبد العزيز لإبنه عمر بن عبد العزيز، فلما ولي عمر الخلافة كانت أول ظلامة ردّها، دعى حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقيل بل دعى علي بن الحسين بن علي ﴿رضي الله عنه﴾ فدفعها إليه، فكانت بيد أولاد فاطمة مدة ولاية عمر بن عبد العزيز، فلما ولي يزيد بن عاتكة قبضها منهم، فصارت في يدي بني مروان كما كانت يتداولونها منهم حتى انتقلت الخلافة عنهم، فلما ولي أبو عبد العباس السفاح ردها على عبد الله بن الحسن بن الحسن ثم قبضها أبو جعفر لما حدث من بني حسن ما حدث، ثم ردها المهدي ابنه على ولد فاطمة، ثم قبضها موسى بن المهدي وهارون أخوه، فلم تزل في أيديهم حتى ولي المأمون فردها على الفاطميين.[١]

قال أبو بكر: حدثني محمد بن زكريا، قال: حدثني مهدي بن سابق، قال: جلس المأمون للمظالم، فأول رقعة وقعت في يده نظر فيها وبكى، وقال للذي على رأسه: ناد أين وكيل فاطمة؟ فقام شيخ عليه دراعة وعمامة وخفّ تعزى، فتقدم فجعل يناظره في فدك، والمأمون يحتج عليه، وهو يحتج على المأمون، ثم أمر أن يسجل لهم بها، فكتب السجل وقريء عليه، فأنفذه، فقام دعبل إلى المأمون فأنشده الأبيات التي أولها:

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٦/١٦.

أصبح وجه الزمان قد ضحكا بـــــردّ مأمون هاشـــم فدكا

فلم تزل في أيديهم حتى كان في أيام المتوكل، فأقطعها عبد الله بن عمر البازيار، وكان فيها إحدى عشرة نخلة، غرسها رسول الله صلى الله عليه وآله بيده، فكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها، فإذا قدم الحاج أنفذوا إليهم من ذلك التمر فيصلونهم، فيصير إليهم من ذلك مال جزيل، فصرم عبد الله بن عمر البازيار ذلك التمر، ووجّه رجلاً يقال له نشران بن أبي أُميّة الثقفي إلى المدينة فصرمه، ثم عاد إلى البصرة ففلج.[1]

قال أبو بكر: أخبرنا زيد عمر بن شبه، قال: حدثنا سويد بن سعيد، والحسن بن عثمان، قالا: حدثنا الوليد بن محمد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أن فاطمة عليها السلام أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي حينئذ تطلب ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ما نورث ما تركناه صدقة، أنما يأكل آل محمد من هذا المال، وإني والله لا أُغيّر شيئاً من صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله عن حاله التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولأعملنّ فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة من ذلك على أبي بكر، فهجرته فلم تكلمه حتى

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٧/١٦.

توفيت، وعاشت بعد أبيها ستّة أشهر، فلما توفيت دفنها علي ﴿رضي الله عنه﴾ ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر.[1]

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا إسحاق بن إدريس، قال: حدثنا محمد بن أحمد، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة ﴿رضي الله عنه﴾ أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما يطلبان أرضه بفدك، وسهمه بخيبر، فقال لهما أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول لا نورث ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال، وإني والله لا أُغيّر أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه إلاّ صنعته، قال: فهجرته فاطمة، فلم تكلمه حتى ماتت.[2]

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا عمر بن عاصم، وموسى بن إسماعيل، قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن أُمّ هاني أن فاطمة قالت لأبي بكر: من يرثك إذا مت؟ قال: ولدي وأهلي، قالت: فما بالك ترث رسول الله ﷺ دوننا؟ قال: يا ابنة رسول الله ما ورث أباك داراً ولا مالاً، ولا ذهباً، ولا فضة، قالت: بل سهم الله الذي جعله لنا، وصافيتنا التي بيدك، فقال لها: سمعت رسول الله ﷺ يقول إنما هي طعمة أطعمناها الله، فإذا مت كانت بين المسلمين.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٧/١٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٨/١٦.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٨/١٦.

قال أبو بكر: أخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا محمد بن الفضل، عن الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل، قال: أرسلت فاطمة إلى أبي بكر، أنت ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله أم أهله؟ قال: بل أهله، قالت: فما بال سهم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن الله أطعم نبيّاً ثم قبضه، وجعله للذي يقوم بعده، فوليت أنا بعده على أن أرده على المسلمين، قالت: أنت وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم.[1]

قال: قلت: في هذا الحديث عجب، لأنها قالت له أنت ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله أم أهله؟ فقال: بل أهله، وهذا تصريح بأنه صلى الله عليه وآله مورث يرثه أهله، وهو خلاف قوله لا يورث، وأيضاً فإنه يدل على أن أبي بكر استنبط من قول رسول الله صلى الله عليه وآله أن الله أطعم نبياً طعمة أن يجري رسول الله صلى الله عليه وآله عند وفاته مجرى ذلك النبي أو يكون قد فهم أنه عنى بذلك النبي المنكر لفظاً نفسه، فما فهمه من قوله في خطبته أن عبداً خيّره الله بين الدنيا وما عند ربه فأختار ما عند ربه، فقال أبو بكر: بل نفديك بأنفسنا.[2]

قال أبو بكر: فأخبرنا أبو زيد، قال: أخبرنا القعنبي، قال: حدثنا عبدالعزيز بن محمد، عن محمد بن عمر، عن أبي سلمة، أن فاطمة طلبت فدك من أبي بكر، فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إن النبي لا يورث من

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٨/١٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد٢١٩/١٦.

كان النبي ﷺ يعوله فأنا أعوله، ومن كان ينفق عليه، فأنا أنفق عليه، فقالت: يا أبا بكر يرثك بناتك، ولا يرث رسول الله ﷺبناته؟ قال: هو ذاك.

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير، قال: حدثنا فضيل بن مرزوق، قال: حدثني البختري ابن حسان، قال: قلت لزيد بن علي ﴿رضي الله عنه﴾ وأنا أُريد أن أهجن أمر أبي بكر، إن أبا بكر انتزع فدك من فاطمة، قال: إن أبا بكر كان رجلاً حليماً، وكان يكره أن يغيّر شيئاً فعله رسول الله ﷺ، قالت فاطمة: إن رسول الله أعطاني فدك، فقال لها: هل لك على ذلك بيّنة؟ فجاءت بعلي فشهد لها، ثم جاءت أُمّ أيمن، فقالت: ألستما تشهدان أني من أهل الجنة؟ قالا: بلى، قال أبو زيد يعني أنها قالت ذلك لأبي بكر وعمر، قالت: فأنا أشهد أن رسول الله ﷺ أعطاها فدك، فقال أبو بكر: فرجل آخر وإمرأة أُخرى لتستحقّي بها القضية، ثم قال أبو زيد: وأيم الله لو رجع الأمر إليّ لقضيت فيها بقضاء أبي بكر.[١]

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا محمد بن الصباح، قال: حدثنا يحيى بن المتوكّل أبو عقيل، عن كثير النواء، قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي ﴿رضي الله عنه﴾: جعلني الله فداك، أرأيت أبا بكر وعمر ﴿رضي الله عنه﴾ هل ظلماكم من حقّكم شيئاً أو قال ذهبا من حقّكم بشيء؟ قال: لا والذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً، ما ظلمانا من حقّنا مثقال حبّة من خردل، قلت: جعلت فداك، أفأتولاهما؟ قال: نعم، ويحك

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١٩/١٦.

تولاهما في الدنيا والآخرة، فما أصابك ففي عنقي، ثم قال: فعل الله بالمغيرة وبنان، فإنهما كذبا علينا أهل البيت.[١]

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا أبو عبد الله بن نافع، والقعنبي، عن مالك، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة ﴿رضي الله عنه﴾ أن أزواج رسول الله ﷺ أردن لما توفى أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهنّ أو قال ثمنهنّ، قالت: فقلت لهن: أليس قد قال النبي لا نورث ما تركناه صدقة.[٢]

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا عبد الله بن نافع القعنبي، وبشر بن عمر، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: لا يقسم ورثتي ديناراً ولا درهماً، ما تركت بعد نفقة نسائي، ومؤونة عاملي، فهو صدقة.

قال: قلت: هذا حديث غريب، لأن المشهور أنه لم يرو حديث انتفاء الارث إلاّ أبو بكر وحده.[٣]

قال أبو بكر: وحدثنا أبو زيد، عن الحرامي، عن أبي وهب، عن يونس، عن أبي شهاب، عن عبد الرحمن الأعرج، أنه سمع أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: والذي نفسي بيده لا يقسم ورثتي شيئاً، ما

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٠/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٠/١٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٠/١٦.

تركته صدقة، قال: فكانت هذه الصدقة بيد علي ﴿رضي الله عنه﴾ غلب عليها العباس ﴿رضي الله عنه﴾، وكانت هاهنا خصومتهما فأبى عمر أن يقسّمها بينهما حتى أعرض عنها العباس، وغلب عليها علي، ثم كانت بيد حسن وحسين ابني علي عليه السلام، ثم كانت بيد الحسين بن علي عليه السلام، والحسن بن الحسن، كلاهما يتداولانها، ثم كانت بيد زيد بن علي عليه السلام.[1]

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا عثمان بن عمر بن فارس، قال: حدثنا يونس، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان أن عمر بن الخطاب رحمه الله دعاه يوماً بعد ما أرتفع النهار، قال: فدخلت وهو جالس على سرير رمال، ليس بينه وبين الرمال فراش على وسادة أدم، فقال: يا مالك إنه قد قدم من قومك أهل بيت حضروا المدينة، وقد أمرت لهم برضخ فأقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين مر بذلك غيري، قال: أقسم أيها المرء، قال: فبينما نحن على ذلك إذ دخل يرفأ، فقال: هل لك في عثمان، وسعد، وعبد الرحمن، والزبير، يستأذنون عليك؟ قال: نعم، فأذن لهم، قال: ثم لبث قليلاً، ثم جاء فقال: هل لك في علي والعباس يستأذنان عليك؟ قال: ائذن لهما، فلما دخلا قال عباس: يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا، يعني علياً، وهما يختصمان في الصوافي التي أفاء الله على رسوله من أموال بني النضير، قال: فأستب علي والعباس عند عمر، فقال عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين، اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر، فقال عمر: أُنشدكم الله الذي بإذنه تقوم السموات والأرض

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٠/١٦.

هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركناه صدقة، يعني نفسه؟ قالوا: قد قال ذلك، فأقبل على العباس وعلي، فقال: أُنشدكما الله هل تعلمان ذلك؟ قالا: نعم، فإني أُحدثكم من هذا الأمر، إن الله تبارك وتعالى خص رسوله بهذا الفيء بشيء لم يعطه غيره، قال الله تعالى ﴿**ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلّط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير**﴾ فكانت هذه خاصّة لرسول الله ﷺ، فما اختارها دونكم، ولا استأثرها عليكم، لقد أعطاكموها، وبثها فيكم حتى يفيء منها هذا المال، فكان ينفق على أهله سنتهم، ثم يأخذه، فيجعله فيما يجعل مال الله عزّ وجل، فعل ذلك في حياته، ثم توفى، فقال أبو بكر لما ولي رسول الله ﷺ فقبضه الله، وقد عمل فيها بما عمل بها رسول الله ﷺ، وأنتما حينئذ والتفت إلى علي والعباس تزعمان أن أبا بكر فيها ظالم فاجر، والله يعلم أنه فيها لصادق بار راشد، تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فقلت أنا أولى الناس بأبي بكر ورسول الله ﷺ، فقبضها سنتين أو قال سنين من أمارتي أعمل فيها مثل ما عمل رسول الله وأبو بكر، ثم قال: وأنتما وقد أقبل على العباس وعلي تزعمان أني فيها ظالم فاجر، والله يعلم إني لصادق وبار، راشد تابع للحق، ثم جئتموني وكلمتكما واحدة، وأمركما جمع، فجئتني يعني العباس تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا يعني علياً يسألني نصيب إمرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركناه صدقة، فلما بدا لي لن أدفعها إليكما دفعتها على أن عليكما عهد الله وميثاقه

لتعملان فيها بما عمل رسول الله ﷺ وأبو بكر وبما عملت به فيها وإلاّ فلا تكلماني، فقلتما ادفعها إلينا بذلك، فدفعتها إليكما بذلك، فتلتمسان مني قضاء غير ذلك، والله الذي بإذنه تقوم السموات والأرض لا أقضي بينكما بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها، فأدفعاها إلي، فأنا أكفيكماها.[1]

قال أبو بكر: وحدثني أبو زيد، قال: حدثني إسحاق بن إدريس، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، قال: حدثنا يونس، عن الزهري، قال: حدثني مالك بن أوس بن الحدثان بنحوه، قال: فذكرت ذلك لعروة، فقال: صدق مالك بن أوس، إنما سمعت عائشة تقول أرسل أزواج النبي ﷺ عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسأل لهنّ ميراثهنّ من رسول الله ﷺ ما أفاء الله حتى كنت أردهنّ عن ذلك، فقلت لهنّ: ألا تتّقين الله، ألا تعلمن أن رسول الله ﷺ كان يقول لا نورث، ما تركناه صدقة، يريد بذلك نفسه، إنما يأكل آل محمد من هذا المال، فأنتهى أزواج النبي إلى ما أمرتهنّ.

قال: قلت: هذا مشكل، لأن الحديث الأول يتضمّن أن عمر قسم على جماعة فيهم عثمان أنشدتكم ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركناه صدقة، يعني نفسه، فقالوا: نعم، ومن جملتهم عثمان، فكيف يعلم ذلك، ويكون مرسلاً لأزواج النبي ﷺ إلى أبي بكر يسأله لهنّ أن يعطيهنّ الميراث، اللهم إلاّ أن يكون عثمان وسعد وعبد الرحمن والزبير صدقوا على

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢١/١٦.

سبيل التقليد لأبي بكر فيما رواه، وحسن الظن، وسمعوا ذلك علماً، لأنه قد يطلق على الظن اسم العلم.

فإن قال قائل: فهلا حسن ظن عثمان برواية أبي بكر في هذا الأمر، فلم يكون رسولاً لزوجات النبي ﷺ في طلب الميراث.

قيل: إنه يجوز أن يكون في مبدأ الأمر شاكّاً، ثم يغلب على ظنّه صدقة لإمارات اقتضت تصديقه، وكل الناس يقع لهم مثل ذلك.[١]

وها هنا إشكال آخر، وهو أن عمر رضي الله عنه ناشد علياً والعباس، هل تعلمان ذلك؟ فقالا: نعم، فإذا كانا يعلمانه، فكيف جاء العباس وفاطمة إلى أبي بكر يطلبان الميراث على ما ذكره في خبر سابق على هذا الخبر، وقد أوردناه، وهل يجوز أن يقال كان العباس يعلم ذلك ويطلب الارث الذي لا يستحقّه، وهل يجوز أن يقال إن علياً كان يعلم ذلك، ويمكّن زوجته أن تطلب ما لا تستحقّه، وهل خرجت من دارها إلى المسجد، ونازعت أبا بكر وكلمته به إلاّ بقوله وإذنه ورأيه، وأيضاً فإنه إذا كان ﷺ لا يورث، قدأشكل دفع آلته ودابته وخاتمه إلى علي ﴿رضي الله عنه﴾، لأنه غير وارث في الأصل، وإن كان أعطاه ذلك لأن زوجته معرضة أن ترث لولا الخبر، فهو أيضاً غير جائز، لأن الخبر قد منع أن يرث أحد منه شيئاً قليلاً كان أو كثيراً.

فإن قال قائل: إنما قال نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة، ولا أرضاً ولا عقاراً ولا داراً.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٣/١٦.

قيل: هذا الكلام يفهم من مضمونه أنهم لا يورثون شيئاً أصلاً، لأن عادت العرب جارية بمثل ذلك، وليس يقصدون نفي ميراث هذه الأجناس المعدودة دون غيرها، بل يجعلون ذلك كالتصريح بنفي أن يورثوا أشياء ما على الاطلاق، وأيضاً فإنه جاء في غير خبر الدابة والآلة والحذاء أنه روى عن النبي ﷺ لا نورث ما تركناه صدقة، ولم يقل لا نورث كذا وكذا، وذلك يقتضي عموم انتفاء الارث عن كل شيء، وأما الخبر الثاني، وهو الذي رواه هشام بن محمد الكلبي، عن أبيه، ففيه إشكال أيضاً لأنه قال إنها طلبت فدك وقالت إن أبي أعطانيها، وإن أُم أيمن تشهد لي بذلك، فقال لها أبو بكر في الجواب إن هذا المال لم يكن لرسول الله، وإنما كان مالاً من أموال المسلمين، يحمل به الرجال، وينفقه في سبيل الله.[1]

فلقائل أن يقول له: أيجوز للنبي ﷺ أن يملك ابنته وغير ابنته من أفياء الناس ضيعة مخصوصة أو عقاراً مخصوصاً من مال المسلمين لوحي أوحاه الله تعالى إليه أو اجتهاد رآه على قول من أجاز له أن يحكم بالاجتهاد، ولا يجوز للنبي ﷺ ذلك، فإن قال ما لا يوافقه العقل ولا المسلمون عليه، وإن قال يجوز له ذلك قيل له فإن المرأة ما اقتصرت على الدعوى، بل قالت أُمّ أيمن تشهد لي، فكان ينبغي أن يقول لها في الجواب شهادة أُمّ أيمن وحدها غير مقبولة، ولم يتضمّن هذا الخبر ذلك، بل قال لها لما ادّعت، وذكرت من

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢٤/١٦.

يشهد لها، قال هذا مال من مال الله، لم يكن لرسول الله، وهذا ليس بجواب صحيح.

وأما الخبر الذي رواه محمد بن زكريا، عن ابن عائشة ففيه من الإشكال ما في هذا الخبر، لأنه إذا شهد لها علي وأُمّ أيمن أن رسول الله وهب لها فدك، لم يصح اجتماع صدقهما وصدق عبد الرحمن وعمر، ولا ما تكلفه أبو بكر من تأويل ذلك بمستقيم، لأن كونها هبة من رسول الله لها يمنع من قوله كان يأخذه منها قوتكم، ويقسّم الباقي، ويحمل منه في سبيل الله، لأن هذا ينافي كونها هبة لها، لأن معنى كونها لها انتقالها إلى ملكيتها، وأن تتصرف فيها خاصة دون كل أحد من الناس، وما هذه صفته لا يقسم، ويحمل منه في سبيل الله.[١]

فإن قال قائل: هو ﷺ أبوها، وحكمه في ماله وفي بيت مال المسلمين، فلعله كان بحكم الأُبوّة يفعل ذلك.

قيل له: فإذا كان قد ينصرف فيها تصرّف الأب في مال ولده، ولا يخرجه ذلك عن كونه مال ولده، فإذا مات الأب لم يجز لأحد أن يتصرّف في مال ذلك الولد، لأنه ليس بأب له، فيتصرّف في ماله تصرّف الآباء في أموال أولادهم على أن الفقهاء ومعظمهم لا يجوزون للأب أن يتصرف في مال الابن.

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢٥/١٦.

وهاهنا إشكال آخر وهو قول عمر لعلي والعباس وأنتما حينئذ تزعمان أن أبا بكر فيها ظالم فاجر، فإذا كان ذلك، فكيف يجتمع هذا الزعم مع كونهما يعلمان أن رسول الله ﷺ قال لا أورث، إن هذا لمن أعجب العجائب، ولو أن هذا الحديث، أعني حديث خصومة العباس وعلي عند عمر مذكور في الصحاح المجمع عليها، لما أطلت التعجب من مضمونه، إذ لو كان غير مذكور في الصحاح لكان بعض ما ذكرناه يطعن في صحته، وإنما الحديث في الصحاح لا ريب في ذلك.[1]

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا ابن أبي شبه، قال: حدثنا ابن علية، عن عكرمة، عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: جاء العباس وعلي إلى عمر، فقال العباس: أقض بيني وبين هذا الكذا وكذا، يشتمه، فقال الناس أفصل بينهما، فقال: لا أفصل بينهما، قد علما أن رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركناه صدقة.[2]

قلت: وهذا أيضاً مشكل، لأنهما حضرا يتنازعان لا في الميراث، بل في ولاية صدقة رسول الله ﷺ أيهما يتولاها ولاية لا إرثاً، وعلى هذا كانت الخصومة، فهل يكون جواب ذلك قد علمنا أن رسول الله ﷺ قال لا نورث.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢٦/١٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢٦/١٦.

[3] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢٦/١٦.

وقال: قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، قال: حدثني يحيى بن كثير أبو غسان، قال: حدثنا شعبة، عن عمر بن مرة، عن أبي البختري، قال: جاء العباس وعلي إلى عمر وهما يختصمان، فقال عمر لطلحة والزبير، وعبد الرحمن وسعد: أنشدكم الله، أسمعتم رسول الله يقول كل مال نبي فهو صدقة إلاّ ما أطعمه أهله، إنا لا نورث، فقالوا: نعم، قال: فكان رسول الله ﷺ يتصدق به، ويقسّم فضله، ثم توفى، فوليه أبو بكر سنتين يصنع فيه ما كان يصنع رسول الله ﷺ، وأنتما تقولان إنه كان بذلك خاطئاً، وكان بذلك ظالماً، وما كان بذلك إلاّ راشداً، ثم وليته بعد أبي بكر، فقلت لكما إن شئتما قبلتماه على عمل رسول الله ﷺ وعهده الذي عهد فيه، فقلتما نعم، وجئتماني الآن تختصمان يقول هذا أُريد نصيبي من ابن أخي، وهذا يقول أُريد نصيبي من إمرأتي، والله لا أقضي بينكما إلاّ بذلك.[1]

قال: قلت: وهذا أيضاً مشكل، لأن أكثر الروايات أنه لم يرو هذا الخبر إلاّ أبي بكر وحده، وذكر ذلك معظم المحدثين حتى أن الفقهاء في أُصول الفقه أطبقوا على ذلك أنه لم يرو هذا الخبر إلاّ أبو بكر في احتجاجهم بالخبر برواية الصحابي الواحد.[2]

وقال شيخنا أبو علي رحمه الله: لا يقبل في الرواية إلاّ رواية اثنين كالشهادة، فخالفه المتكلمون والفقهاء كلهم، واحتجوا بقبول رواية أبي بكر

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٧/١٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٧/١٦.

وحده، نحن معاشر الأنبياء حتى أن بعض أصحاب أبي علي رحمه الله تكلف لذلك جواباً، فقال: قد روى أن أبا بكر يوم حاج فاطمة عليها السلام قال: أُنشد الله إمرءاً سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا شيئاً، فروى مالك بن أوس بن الحدثان أنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا الحديث ينطق بأنه استشهد عمر وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد، فقالوا سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله، فأين كانت هذه الروايات أيام أبي بكر، ما نقل أن أحداً من هؤلاء يوم خصومة فاطمة وأبي بكر روى من هذا شيئاً.[1]

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبه، قال: حدثنا محمد بن يحيى، عن إبراهيم بن يحيى، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أن أزواج النبي صلى الله عليه وآله أرسلن عثمان إلى أبي بكر، فذكر الحديث، قال عروة: وكانت فاطمة قد سألت ميراثها أبا بكر مما تركه النبي صلى الله عليه وآله، فقال لها: بأبي أنت وأُمّي، وبأبي أبوك وأبي وأمي ونفسي، إن كنت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً أو أمرك بشيء لم أتّبع غير ما تقولين، وأعطيتك ما تبتغين، وإلاّ فإني أتّبع ما أُمرت به.[2]

قال أبو بكر: حدثنا أبو زيد، قال: حدثنا عمر بن مرزوق، عن شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن أبي البختري، قال: قال لها أبو بكر لما طلبت فدك: بأبي أنت وأُمّي، أنت عندي الصادقة الأمينة، إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليك في

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٧/١٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٨/١٦.

ذلك عهداً، ووعدك به وعداً، صدّقتك وسلّمته إليك، فقالت: لم يعهد إليّ في ذلك بشيء ولكن الله يقول: ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾، فقال: أشهد لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث.[1]

قال: قلت: وفي هذا من الإشكال ما هو ظاهر، لأنها قد ادّعت أنه عهد إليها رسول الله ﷺ في ذلك أعظم العهد، وهو النحلة، فكيف سكتت عن ذكر هذا لما سألها أبو بكر، وهذا أعجب من العجب.[2]

قال أبو بكر: وحدثنا أبو زيد، قال: حدثنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عبد الله الأنصاري، عن ابن شهاب، عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: سمعت عمر وهو يقول للعباس وعلي وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة والزبير: أنشدكم الله هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال لا نورث معاشر الأنبياء ما تركناه صدقة؟ قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان يدخل قوته أهله السنة من السنة من صدقاته، ثم يجعل ما بقي في بيت المال؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فلما توفى رسول الله ﷺ قبضها أبو بكر، فجئت يا عباس تطلب ميراثك من ابن أخيك، وجئت يا علي تطلب ميراث زوجتك من أبيها، وزعمتما أن أبا بكر كان فيها خائناً فاجراً، والله لقد كان آمراً مطيعاً، تابعاً للحق، ثم توفى أبو بكر فقبضها، فجئتماني تطلبان ميراثكما، أما أنت يا عباس تطلب ميراثك من ابن

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٨/١٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٨/١٦.

أخيك، وأما علي فيطلب ميراث زوجته من أبيها، وزعمهما أني فيها خائن فاجر، والله إني فيها مطيع، تابع للحق، فأصلحا أمركما وإلاّ والله لم ترجع إليكما، فقاما و تركا الخصومة، وأمضيت الصدقة.[١]

قال أبو زيد: قال ابو غسان: فحدثنا عبدالرزاق الصنعاني، عن عمر بن شهاب، عن مالك بنحوه في آخره، فغلب علي عباساً عليها، فكانت بيد علي ثم كانت بيد الحسن، ثم كانت بيد الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم الحسن بن الحسن، ثم زيد بن الحسن.[٢]

قال: قلت: وهذا الحديث يدل صريحاً على أنهما جاءا يطلبان الميراث لا الولاية، وهذا من المشكلات، لأن أبا بكر حسم المادة أولاً، وقرر عند علي والعباس وغيرهما أن النبي ﷺ لا يورث، وكان عمر من المساعدين له على ذلك، فكيف يعود العباس وعلي بعد وفاة أبي بكر يحاولان أمراً قد فرغ منه، ويئس من حصوله، اللهمّ إلاّ أن يكونا ظنّا أن عمر ينقض قضاء أبي بكر في هذه المسألة، وهذا بعيد، لأن علياً والعباس كانا في هذا الواقعة يتهمان عمر ممالاة أبي بكر على ذلك، ألا تراه يقول نسبتماني ونسبتما أبا بكر إلى الظلم والخيانة، فكيف يظنان أنه ينقض قضاء أبي بكر ويورثهما.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٩/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٩/١٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢٩/١٦.

وأعلم أن الناس يظنون أن نزاع فاطمة أبا بكر كان في أمرين في الميراث والنحلة، وقد وجدت في الحديث أنها نازعت في أمر ثالث، ومنعها أبو بكر إياه وهو سهم ذي القربى.[١]

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري: أخبرني أبو زيد عمر بن شبه، قال أيضاً قال: حدثني هارون بن عمر، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثني صدقة أبو معاوية، عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن زيد الرواس، عن أنس بن مالك أن فاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ أتت أبا بكر فقالت: قد علمت أن الذي ظلمتنا عنه أهل البيت من الصدقات وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذي القربى، ثم قرأت عليه قوله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أنمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْء فَأن لله خُمُسَهُ وَللرَسُولِ وَلِذي الْقُرْبَى﴾، الآية، فقال لها أبو بكر: بأبي أنت وأمّي، ووالد ولدك، السمع والطاعة لكتاب الله، وبحق رسوله، وحق قرابته، وأنا أقرأ كتاب الله الذي تقرأين، ولم يبلغ علمي منه أن هذا السهم من الخمس مسلم إليكم كاملاً، قالت: أفلك هو ولأقربائك؟ قال: لا، بل أنفق عليكم منه، وأصرف الباقي في مصالح المسلمين، قالت: ليس هذا بحكم الله تعالى، قال: هذا حكم الله، فإن كان رسول الله ﷺ عهد إليك في هذا عهداً أوجبه لك حقّاً صدّقتك، وسلّمته كله إليك وإلى أهلك، قالت: إن رسول الله ﷺ لم يعهد إليّ في ذلك بشيء إلاّ أني سمعته يقول لما أُنزلت هذه الآية: أبشروا آل محمد، فقد

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٠/١٦.

جاءكم الغنى، قال أبو بكر: لم يبلغ من هذه الآية أن أُسلّم إليكم هذا السهم كله كاملاً، ولكن لكم الغنى الذي يغنيكم، ويفضل عنكم، وهذا عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجرّاح وغيرهما فأسأليهم عن ذلك، فأنظري هل يوافقك على ما طلبت أحد منهم، فأنصرفت إلى عمر فقالت له مثل ما قالت لأبي بكر، فقال لها مثل ما قاله أبو بكر، فعجبت فاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ وظنّت أنهما قد كانا تذاكرا ذلك، واجتمعا عليه.[1]

قال: قال أبو بكر: وحدثنا أبو زيد، قال: حدثنا هارون بن عمر، قال: حدثنا الوليد، عن أبي لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، قال: أرادت فاطمة أبا بكر على فدك، وسهم ذي القربى، فأبى عليها، وجعلهما في مال الله تعالى.[2]

وقال: قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا أحمد بن معاوية، عن هيثم، عن جويبر، عن أبي الضحّاك، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب رحمه الله أن أبا بكر منع فاطمة وبني هاشم سهم ذي القربى، وجعله في سبيل الله في السلاح والكراع.[3]

وقال: قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا حيّان بن هلال، عن محمد بن يزيد بن ذريع، عن محمد بن إسحاق، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي ﴿رضي الله عنه﴾ قال: قلت: أرأيت علي عليه السلام حين ولي العراق وما

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٠/١٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣١/١٦.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣١/١٦.

ولي من أمر الناس، كيف صنع في سهم ذي القربى؟ قال: سلك بهم طريق أبي بكر وعمر، قلت: كيف ولم وأنتم تقولون ما تقولون؟ قال: أما والله ما كان أهله يصدرون إلاّ عن رأيه، فقلت: فما منعه؟ قال: يكره أن يدّعي عليه مخالفة أبي بكر وعمر.[١]

وقال: قال أبو بكر: وحدثني المؤمّل بن جعفر، قال: حدثني محمد بن ميمون، عن داود بن المبارك، قال: أتينا عبد الله بن موسى بن عبيد الله بن الحسن بن الحسن ونحن راجعون من الحج في جماعة فسألناه عن مسائل، وكنت أحد من سأله، فسألته عن أبي بكر وعمر، فقال: سئل جدي عبد الله بن الحسن بن الحسن عن هذه المسألة، فقال: كانت أُمّي صديقة بنت نبي مرسل، وكانت وهي غضبى على إنسان، فنحن غضاب لغضبها، فإذا رضيت رضينا.[٢]

وقال: قال أبو بكر: وحدثني أبو جعفر محمد بن القاسم، قال: حدثنا علي بن الصباح، قال: أنشدنا أبو الحسن رواية المفضل للكميت:

أهـــوى علياً أمير المؤمنين ولا ... أرضى بشتم أبي بكر ولا عمرا

ولا أقــول وإن لم يعطيا فدكاً ... بنت النـبـي ولا ميـراثه كـفرا

الله أعـلـم مــاذا يحضران بـه ... يوم القيامة من عذر إذا حضرا

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣١/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٢/١٦.

قال ابن الصباح: فقال لي أبو الحسين الرواية أنقول إنه قد كفرهما في هذا الشعر؟ قلت: نعم، قال: كذلك هو.[١]

وقال: قال: حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أبو زيد، عن هارون بن عمر، عن الوليد بن مسلم، عن إسماعيل بن عباس، عن محمد بن الشايب، عن أبي صالح مولى أُم هاني، قال: دخلت فاطمة على أبي بكر بعدما استخلف، فسألته ميراثها من أبيها، فمنعها، فقالت له: إن مت اليوم من كان يرثك؟ قال: ولدي وأهلي، قالت: فلِمَ ورثت أنت رسول الله دون ولده وأهله؟ قال: ما فعلت يا بنت رسول الله، قالت: بلى أنت عهدت إلى فدك، وكانت صافية رسول الله ﷺ فأخذتها، وعهدت إلى ما أنزله الله من السماء فرفعت عنّا، قال: يا بنت رسول الله، لم أفعل، قال: حدثني رسول الله إن الله أطعم لنبي الطعمة ما كان حياً، فإذا قبضه الله رفعت، فقالت: أنت ورسول الله أعلم، ما أنا سائلتك به بعد مجلسي، فأنصرفت.[٢]

وقال: قال أبو بكر: وحدثنا محمد بن زكريا، قال: حدثنا محمد بن عبدالرحمن المهدي، عن عبد الله بن حماد بن سليمان، عن أبيه، عن عبد الله بن حسن بن حسن، عن أُمّه فاطمة بنت الحسين، قال: لما اشتدّ بفاطمة بنت رسول الله ﷺ الوجع وثقلت في علّتها، اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين والأنصار، وقلن لها كيف أصبحت يا بنت رسول الله؟ قالت:

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٢/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٢/١٦.

أصبحت والله عائفة لدنياكم، قالية لرجالكم، لفظتهم بعد أن عجمتهم، وشنئتهم بعد أن سبرتهم، فقبحاً لفلول الحد، وخور القناة، وخطل الرأي، وبئسما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم، وفي العذاب هم خالدون، لا جرم قد قلدتهم ربقتها، وشنت عليهم غارتها، فجدعاً وعقراً، وسحقاً للقوم الظالمين، ويحهم أين زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوّة، ومهبط الروح الأمين، والطيبين بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما الذي نقموا من أبي حسن، نقموا والله نكير سيفه، وشدّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله، وتالله لو تكافؤوا عن زمام نبذه إليه رسول الله لأعتلقه، ولسار بهم سيراً سجحاً، لا يكلم خشاشه، ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً، يطفح ضفتاه، ولأصدرهم بطاناً قد تحير بهم الرأي، غير متحل بطائل إلاّ بغمر الناهل، وردعة سورة الساغب، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، هلم فأستمع، وما عشت أراك الدهر عجباً، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث،إلى أي لجأ استندوا، وبأي عروة تمسّكوا، لبئس المولى، ولبئس العشير، ولبئس للظالمين بدلاً، استبدلوا والله الذنابا بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً المعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ويحهم أفمن يهدي إلى الحق أحقّ أن يتّبع أم لا يهدي إلاّ أن يهدى، فما لكم كيف تحكمون، أما لعمر الله لقد لحقت، فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوها طلاع القعب دم عبيطاً، وذعافاً ممقراً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ ما

سنّ الأولون، ثم طيبوا عن أنفسكم نفساً، واطمأنوا للفتنة جأشاً، وابشروا بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرة عليكم، أنى لكم وقد عمت عليكم، أنلزموكموها وأنتم لها كارهون، والحمد لله رب العالمين، وصلاته على محمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين.[١]

قال: قلت: هذا الكلام وإن لم يكن فيه ذكر فدك والميراث إلاّ أنه من تتمة ذلك، وفيه إيضاح لما كان عندنا، وبيان شدة غيضها وغضبها، فإنه سيأتي فيما ذكر ما تناقض به قاضي القضاة والمرتضى في أنها هل كانت غضبى أم لا، ونحن لا ننصر مذهباً بعينه، وإنما نذكر ما قيل، وإذا جرى بحث نظري قلنا ما يقوى في أنفسنا منه، وأعلم أنه إنما ذكرنا في هذا الفصل ما رواه رجال الحديث وثقاتهم، وما أودعه أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتابه، وهو من الثقات الأُمناء عند أصحاب الحديث، فأما ما يرويه رجال الشيعة والأخباريون منهم في كتبهم من قولهم أنها أهاناها، وأسمعاها كلاماً غليظاً، وأن أبا بكر رق لها حيث لم يكن عمر حاضراً فكتب لها بفدك كتاباً، فلما خرجت به، وجدها عمر فمد يده إليه ليأخذه مغالبة، فمنعته فدفع بيده في صدرها، وأخذ الصحيفة فخرقها بعد أن تفل فيها، فمحاها، وإنها دعت عليه فقالت: بقر الله بطنك كما بقرت صحيفتي، فشيء لا يرويه أصحاب الحديث، ولا ينقلونه، وقدر الصحابة قد يجل عنه، وكان عمر أتقى لله وأعرف بحقوق

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٢/١٦.

الله من ذلك، وقد نظمت الشيعة بعض هذه الواقعة التي يذكرونها شعراً أبياتاً أولها لمهيار الديلمي بن مرزويه الشاعر من قصيدته التي أولها:

يا ابنة القوم تراك   بالغ قتلي رضاك

وقد ذيل عليها بعض الشيعة وأتمها، والأبيات:

يا ابنة الطاهر كم   تقرع بالظلم عصاك
غضب الله لخطب   ليلة الطف عراك
ورعى النار غداً   قط رعى أمس حماك
ثم لم يعطفه شكواك   ولا استحيى بكاك
واقتدى الناس به بعد   فأردى ولداك
يا ابنة الراقي الى السدرة   في لوح السكاك
لهف نفسي   وعلى مثلك فلتبك البواكي
كيف لم تقطع يد   مد اليك ابن صهاك
فرحوا يوم اهانوك   بما ساء أباك
ولقد أخبرهم   أن رضاه في رضاك
دفعا المنص على إرثك   لما دفعاك
وتعرّضت لقذر تافه   فانتهراك
وادّعيت النحلة المشهود   فيها بالصكاك
فأستشاطا ثم ما   أن كذبا أن كذّباك
فزوى الله عن الرحمة   زنديقاً زواك

ونـفـي عـن بابه الواسع شـيـطـانـاً نـفـاك[1]

فأنظر إلى هذه البلية التي صبّت من هؤلاء على سادات المسلمين، وأعلام المهاجرين، وليس ذلك بقادح في علوّ شأنهم، وجلالة مكانهم، كما أن مبغضي الأنبياء وحسدتهم، ومصنّفي الكتب في إلحاق العيب بهم والتهجين بشرائعهم، ولم يزد الأنبياء إلاّ رفعة، ولا زادت شرائعهم إلاّ انتشاراً في الأرض، وقبولاً في الأنفس، وبهجة ونوراً عند ذوي الألباب والعقول.

قال لي علوي من أهل الحلّة يعرف بعلي بن مهنا، ذكي، ذو فضائل، ما تظن قصد أبي بكر وعمر بمنع فاطمة فدك؟ فقلت: ما قصدا؟ قال: أراد أن لا يظهرا لعلي، وقد أغتصباه الخلافة رقة وليناً، وخذلاناً، ولا يروي عندهما خوراً، فأتّبعا القرع بالقرع.

قال: وقلت لمتكلم من متكلمي الإمامية يعرف بعلي بن نقي من بلدة النيل، وهل كانت فدك إلاّ نخلاً يسيراً، وعقاراً ليس بذلك الخطير، فقال: الأمر ليس كذلك، بل كانت جليلة جداً، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة من النخل، وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ إلاّ أن يتقوى علي بحاصلها، ونخلتها على المنازعة في الخلافة، ولهذا اتّبعا بمنع فاطمة وعلي سائر بني هاشم وبني المطلب حقهم في الخمس، فإن الفقير الذي لا مال له تضعف همّته، ويتصاغر عنده نفسه، ويكون مشغولاً بالإحتراف والإكتساب عن طلب الملك والرئاسة.

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٤/١٦.

فأنظر إلى ما قد وقر في صدور هؤلاء، وهو داء لا دواء له، وإنما أكثر ما يزول الأخلاق والشيم، فأما العقول الراسخة، فلا سبيل إلى زوالها.[1]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٦/١٦.

الفصل الثاني

في النظر في أن النبي صلى الله عليه وآله هل يورث أم لا

نذكر في هذا الموضع ما حكاه المرتضى رحمه الله في الشافي عن قاضي القضاة في هذا المعنى، وما اعترض به، وإن استضعفنا شيئاً من ذلك قلنا ما عندنا فيه وإلاّ تركناه على حاله.

قال المرتضى: أول ما ابتدأ به قاضي القضاة حكايته عن السيد الأعلى أنه صلى الله عليه وآله موروث بقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمْ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾.[1]

وهذا الخطاب عام يدخل فيه النبي صلى الله عليه وآله وغيره.

ثم أجاب قاضي القضاة عن ذلك، فقال: إن الخبر الذي احتج به أبو بكر، يعني قوله نحن معاشر الأنبياء لا نورث، لم يقتصر على روايته هو وحده حتى استشهد عليه عمر وعثمان، وطلحة والزبير، وسعد وعبد الرحمن، فشهدوا به، وكان لا يحل لأبي بكر، وقد صار الأمر إليه أن يقسّم التركة ميراثاً، وقد خبّر الرسول صلى الله عليه وآله بأنها صدقة، وليست بميراث، وأقلّ ما في هذا الباب أن يكون الخبر من أخبار الآحاد، فلو أن شاهدين شهدا في التركة حقاً، أليس كان يجب أن يصرفه ذلك عن الارث، فعلمه بما قال الرسول صلى الله عليه وآله مع شهادة غيره، ولسنا نجعله مدّعياً، لأنه لم يدّع ذلك لنفسه، وإنما بيّن أنه ليس بميراث، وأنه صدقة، ولا يمتنع تخصيص القرآن بذلك، كما يخص في العبد والقاتل

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٧/١٦.

وغيرهما، وليس ذلك بنقص في الأنبياء، بل إجلال لهم، رفع به قدرهم عن أن يورثوا المال، وصار ذلك من أوكد الدواعي أن لا يتشاغلوا بجمعه، لأن إحدى الدواعي القوية إلى ذلك تركه على الأولاد والأهلين، ولما سمعت فاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ ذلك من أبي بكر كفّت عن الطلب فيما ثبت من الأخبار الصحيحة، فلا يمتنع أن يكون غير عارفة بذلك، فطلبت الارث، فلما روي لها ما روى كفّت، فأصابت أولاً، وأصابت ثانياً، وليس لأحد أن يقول كيف يجوز أن يبيّن النبي ﷺ ذلك للقوم، ولا حقّ لهم في الارث، ويدع أن يبيّن ذلك لمن له حق في الارث، مع أن التكليف يصل به، وذلك لأن التكليف في ذلك يتعلّق بالإمام، فإذا بيّن له جاز أن لا يبيّن لغيره، ويصير البيان له بياناً لغيره، وإن لم يسمعه من الرسول ﷺ، لأن هذا الجنس من البيان يجب أن يكون بحسب المصلحة.

قال: ثم حكى عن أبي علي أنه قال أتعلمون كذب أبي بكر في هذه الرواية، أم تجوّزون أن يكون صادقاً؟ قال: وقد علم أنه لا شيء يقطع على كذبه، فلا بد من تجويز كونه صادقاً، وإذا صح ذلك، قيل لهم فهل كان يحل لهم مخالفته لرسول ﷺ.

فإن قالوا: لو كان صادقاً لظهر وأشتهر.

قيل لهم: إن ذلك من باب العمل، فلا يمتنع أن ينفرد بروايته جماعة يسيرة، بل الواحد والاثنان، بل سائر الأحكام، ومثل الشهادات.

فإن قالوا: نعلم أنه لا يصح لقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُودَ﴾.

قيل لهم: ومن أين علمتم أنه ورثه الأموال إلاّ مع تجويز أن يكون ورثة العلم والحكمة.

فإن قالوا: اطلاق الميراث لا يكون إلاّ في الأموال.

قيل لهم: إن كتاب الله تعالى يبطل قولكم، لأنه قال: ﴿ثم أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ والكتاب ليس بمال، ويقال في اللغة ما ورثنا الأبناء عن الآباء، أفضل من أدب حسن، وقالوا العلماء ورثة الأنبياء، وإنما ورثوا منهم العلم دون المال، على أن في آخر الآية ما يدل على ما قلناه، وهو قوله تعالى حاكياً عنه: ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كل شَيْءٍ أن هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ فنبّه على أن الذي ورث هذا هو العلم، وهذا الفضل وإلاّ لم يكن لهذا القول تعلّق بالأول.

فإن قالوا: فقد قال تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ وذلك يبطل الخبر.

قيل لهم: في ذلك بيان المال أيضاً، وفي الآية ما يدل على أن المراد العلم والنبوة، لأن زكريا خاف على العلم أن يندرس، وقوله: ﴿أني خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ يدل على ذلك، لأن الأنبياء لا تحرص على الأموال حرصاً يتعلّق خوفها بها، وإنما أراد خوفه على العلم أن يضيع، فسأل الله تعالى ولياً يقيم بالدين مقامه، وقوله ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ يدل على أن المراد العلم والحكمة، لأنه لا يرث أموال يعقوب على الحقيقة، وإنما يرث ذلك غيره.

قال: فأما من يقول إن المراد إنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة، أي ما جعلناه صدقة في حال حياتنا لا نورثه فركيك من القول، لأن إجماع الصحابة بخلافه، لأن أحداً لم يتأوله على هذا الوجه، ولأنه لا يكون في ذلك تخصيص الأنبياء، ولا مزيّة لهم، ولأن قوله ما تركناه صدقة، أي ما جعلناه صدقة جملة من الكلام مستقلة بنفسها، كأنه عليه السلام مع بيانه أنهم لا يورثون المال بيّن أنه صدقة، لأنه قد كان يجوز أن لا يكون ميراثاً، ويصرف إلى وجه آخر غير الصدقة.

قال: فأما خبر السيف والبغلة والعمامة وغير ذلك، فقد قال أبو علي أنه لم يثبت أن أبا بكر دفع إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام على جهة الارث، كيف يجوز ذلك مع الخبر الذي رواه، وكيف يجوز لو كان وارثاً أن يخصّه بذلك، ولا إرث له مع العم، لأنه عصبة، فإن كان وصل إلى فاطمة، فقد كان ينبغي أن يكون العباس شريكاً في ذلك، وأزواج الرسول عليه السلام، ويوجب أن يكون ذلك ظاهراً مشهوراً، يعرف أنهم أخذوا نصيبهم من ذلك أو بدله، ولا يجب إذا لم يدفع أبو بكر ذلك إليه على جهة الارث أن لا يحصل ذلك في يده، لأنه قد يجوز أن يكون النبي صلى الله عليه وآله نحله ذلك، ويجوز أيضاً أن يكون أبو بكر رأى الصلاح في ذلك أن يكون بيده من تقوية الدين، ويصدق ببذله من التقويم، لأن للإمام أن يفعل ذلك.

قال: وحكى عن أبي علي في البردة والقصيب، أنه لا يمتنع أن يكون جعله عدة في سبيل الله، وتقوية على المشركين، فتداولته الآية لما فيه من

التقوية، ورأى أن ذلك أولى من أن يتصدّق به، أن يثبت أنه عليه السلام قد نحله غيره في حياته، ثم عارضه نفسه بطلب أزواج النبي صلى الله عليه وآله الميراث، وتنازع أمير المؤمنين عليه السلام والعباس رحمه الله فيه بعد موت فاطمة عليها السلام، وأجاب عن ذلك بأن قال يجوز أن يكونوا لم يعرفوا رواية أبي بكر وغيره للخبر، وقد روي أن عائشة لما عرفتهنّ الخبر أمسكن، وقد بيّنا أنه لا يمتنع في مثل ذلك أن يخفى على من يستحق الارث ويعرفه من يتقلد الأمر، كما يعرف العلماء والحكماء من أحكام المواريث ما لا يعلمه أرباب الارث، وقد بيّنا أن رواية أبي بكر مع الجماعة أقوى من شاهدين لو شهدا أن بعض تركته عليه السلام دين، وهو أقوى من رواية سلمان وابن مسعود لو رويا ذلك.

قال: ومتى تعلّقوا بعموم القرآن أريناهم جواز التخصيص بهذا الخبر، كما أن عموم القرآن يقتضي كون الصدقات للفقراء، وقد ثبت أن آل محمد عليهم السلام لا تحل لهم الصدقة، هذا آخر ما حكاه المرتضى من كلام قاضي القضاة.[1]

ثم قال: نحن نبيّن أولاً ما يدل على أنه عليه السلام يورث المال، ونرتب الكلام في ذلك الترتيب الصحيح، ثم نعطف على ما أوردناه ونتكلم عليه.

قال: والذي يدل على ما ذكرنا قوله تعالى مخبر عن زكريا عليه السلام: **﴿وَأني خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائي وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾** فخبر أنه

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣٧/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٥٧/٤.

خاف من بني عمه، لأن الموالي هاهنا بنو العم بلا شبهة، وإنما خافهم أن يرثوا ماله فينفقوه في الفساد، لأنه كان يعرف ذلك من خلائقهم وطرائقهم، فسأل ربه، ولذا يكون أحق بميراثهم، والذي يدل على أن المراد بالميراث المذكور في الآية ميراث المال دون العلم والنبوة على ما يقولون أن لفظة الميراث في اللغة والشريعة جميعاً لا يفيد اطلاقها إلاّ ما يجوز أن ينتقل على الحقيقة من الموروث إلى الوارث كالأموال، وما في معناها ولا يستعمل في غير المال إلاّ تجوزاً واتساعاً، ولهذا يفهم من قول القائل لا وارث لفلان إلاّ فلان، وفلان يرث مع فلان بالظاهر والاطلاق إلاّ ميراث الأموال والأعراض دون العلوم وغيرها، وليس لنا أن نعدل عن ظاهر الكلام وحقيقته إلى مجازه بغير دلالة، وأيضاً فإنه تعالى خبر عن نبيه أنه اشترط في إرثه أن يكون رضياً، ومتى لم يحمل الميراث في الآية على ما دون العلم والنبوة، لم يكن للإشتراط معنى، وكان لغواً وعبثاً، لأنه إذا كان لنا سأله من يقوم مقامه، ويرث مكانه فقد دخل الرضا، وما هو أعظم من الرضا في جملة كلامه وسؤاله، فلا معنى لإشتراطه، ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول اللهم ابعث إلينا نبياً فأجعله عاقلاً ومكلفاً، فإذا ثبت هذه الجملة ثبت وصح أن زكريا موروث ماله، وصح أيضاً لحصتها أن نبينا صلى الله عليه وآله ممن يورث المال، لأن الإجماع واقع على أن حال نبينا عليه السلام لا يخالف حال الأنبياء المتقدّمين في ميراث المال، فمن أثبت للأمرين، وناف للأمرين.[١]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤١/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٦٢/٤.

قال: قلت: إن شيخنا أبا الحسين قال في كتاب الغرر صورة الخبر الوارد في هذا الباب، وهو الذي رواه أبو بكر ﴿رضي الله عنه﴾ لا نورث نحن، ولم يقل نحن معاشر الأنبياء لا نورث، فلا يلزم من كون زكريا مورث الطعن في الخبر، وتصفّحت أنا كتب الصحاح في الحديث، فوجدت صيغة الخبر كما قاله أبو الحسين، فإن كان رسول الله ﷺ عنى نفسه خاصة بذلك فقد أسقط احتجاج الشيعة بقصة زكريا وغيره من الأنبياء إلاّ أنه يبعد عندي أن يكون أراد نفسه خاصة، لأنه لم تجر عادته أن يقول عن نفسه شيئاً بالنون.[١]

قال: فإن قلت: لم يصح عن المرتضى أن يوافق على أن صورة الخبر هكذا، ثم يحتج بقصة زكريا بأن يقول إذا ثبت أن زكريا موروث ثبت أن رسول الله ﷺ يجوز أن يكون موروثاً لإجماع الأُمّة على أن لا فرق بين الأنبياء كلهم في هذا الحكم.[٢]

قلت: إن ثبت له هذا الإجماع صح احتجاجه ولكن ثبوته بعيد، لأن من نفى كون زكريا موروثاً من الآية، إنما نفاه لإعتقاده أن رسول الله ﷺ قال نحن معاشر الأنبياء، فإذا لم يقل هكذا لم يقل أن زكريا غير موروث.[٣]

قال المرتضى: ومما يقوى ما قدمنا أن زكريا خاف بني عمه، فطلب وارثاً لا لأجل خوفه، ولا يليق خوفه منهم إلاّ بالمال دون العلم والنبوة، لأنه

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٢/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٢/١٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٢/١٦.

عليه السلام كان أعلم بالله من أن يخاف أن يبعث نبياً ليس بأهل النبوة، وأن يورث علمه وحلمه من ليس أهلاً لها، ولأنه إنما بعث لإذاعة العلم ونشره في الناس، فلا يجوز أن يخاف من الأمر الذي هو الغرض في البعثة.

قال: قيل: هذا يرجع عليكم في الخوف، لأن ذلك غاية الضن والبخل.

قلنا: معاذ الله أن يستوي الحال، لأن المال قد يصح أن يرزقه الله المؤمن والكافر، والعدو والولي، ولا يصح ذلك في النبوة وعلومها، وليس من الضن أن يأسى على بني عمه، وهم من أهل الفساد أن يظفروا بماله فينفقوه على المعاصي، ويصرفوه في غير وجوهه المحبوبة، بل ذلك هو غاية الحكمة وحسن التدبير في الدين، لأن الدين يحظر تقوية الفسّاق وامدادهم بما يغنيهم على طرائقهم المذمومة، وما يعد ذلك شحاً ولا بخلا إلاّ من لا تأمل له.[1]

فإن قيل: أفلا جاز أن يكون خاف من بني عمه أن يرثوا علمه، وهم من أهل الفساد على ما ادعيتم فيستفسدوا به الناس، ويموهوا به عليهم.

قلنا: لا يخلو هو الذي أشرتم إليه من أن يكون هو كتب علمه وصحف حكمته، لأن ذلك قد يسمى علماً على طريق المجاز، وأن يكون هو العلم الذي يحل في القلب، فإن كان الأول فهو يرجع إلى معنى المال، ويصحح أن الانبياء عليهم السلام يورثون أموالهم وما في معناها، وإن كان الثاني لم يخل هذا العلم، إما أن يكون هو العلم الذي بعث النبي عليه السلام لنشره واذائه، أو أن يكون علماً مخصوصاً لا يتعلق بالشريعة، ولا يجب اطلاع جميع الأُمة عليه،

---

[1] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٣/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٦٤/٤.

كعلم العواقب وما يجري في مستقبل الأوقات، وما جرى مجرى ذلك، والقسم الأول لا يجوز على النبي ﷺ أن يخاف من وصوله إلى بني عمه، وهو من جملة أُمّته الذين بعث لإطلاعهم على ذلك وتأديته إليهم، وكأنه على هذا الوجه يخاف مما هو الغرض من بعثه، والقسم الثاني فاسد أيضاً، لأن هذا العلم المخصوص إنما يستفاد من جهته، وتوقف عليه بإطلاعه وإعلامه، وليس هو مما يجب نشره في جميع الناس، فقد كان يجب إذا خاف من إلقائه إلى بعض الناس فساداً، أن لا يلقيه إليه، فإن ذلك في يده، ولا يحتاج إلى أكثر من ذلك.[1]

قال: قلت: لعاكس أن يعكس هذا على المرتضى رحمه الله ويقول له وقد كان يجب إذا خاف من أن يرث بنو عمه أمواله فينفقوها في الفساد، وأن يتصدق بها على الفقراء والمساكين، فإن ذلك في يده، فيحصل له ثواب الصدقة، ويحصل غرضه من حرمان أُولئك المفسدين ميراثه.[2]

قال المرتضى رحمه الله: ومما يدل على أن الأنبياء يورثون قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾، والظاهر من اطلاق لفظه الميراث تقتضي الأموال وما في معناها على ما دللنا به من قبل.[3]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٣/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٦٤/٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٣/١٦.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٤/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٦٥/٤.

قال: ويدل أيضاً عليه قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمْ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ الآية، وقد أجمعت الأُمة على عموم هذه اللفظة إلاّ من أخرجه الدليل، فيجب أن يتمسك بعمومها لمكان هذه الدلالة، ولا يخرج عن كمها إلاّ من أخرجه دليل قاطع.[1]

قال: قلت: أما قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ دَاوُودَ﴾، فظاهرها تقتضي وراثة النبوة والملك والعلم الذي قال في أول الآية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا دَاوُودَ وَسُلَيْمانَ عِلْماً﴾، لأنه معنى لذكر ميراث سليمان المال، فإن غيره من أولاد داوود قد ورث أيضاً أباه داود، وفي كتب اليهود والنصارى أن بني داود تسعة عشر، وقد قال بعض المسلمين أيضاً ذلك، فأي معنى في تخصيص سليمان بالذكر، إذ كان إرث المال.

وأما ﴿يُوصِيكُمْ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ﴾ فالبحث في تخصيص ذلك بالخبر فرع من فروع مسألة خبر الواحد، هل هو حجة في الشرعيات أم لا؟

فإن قلت: مذهب المرتضى في كونه ليس بحجة، فكلامه هاهنا جيد، وإن لم يثبت فلا مانع من تخصيص العموم بالخبر، فإن الصحابة قد خصّصت عمومات الكتاب بالأخبار في مواضع كثيرة.[2]

قال المرتضى رحمه الله: وأما تعلّق صاحب الكتاب بالخبر الذي رواه أبو بكر، وادعى به أنه استشهد هؤلاء النفر لما تنازع أمير المؤمنين عليه السلام والعباس

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٤٤/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٦٥/٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٤٤/١٦.

في الميراث، فشهدوا بالخبر المتضمن لنفي الميراث، وإنما يعوّل مخالفينا في صحة الخبر الذي رواه أبو بكر عند مطالبة فاطمة بالارث على إمساك الأُمة على النكير عليه، والردّ لقضيته.[١]

قال: قلت: صدق المرتضى رحمه الله فيما قال أما عقيب وفاة النبي صلى الله عليه وآله ومطالبته فاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ بالارث فلم يرو الخبر إلاّ أبو بكر وحده، وقيل إنه رواه مالك بن أوس بن الحدثان، وأما المهاجرون الذين نكرهم قاضي القضاة، فإنما شهدوا الخبر في خلافة عمر، وقد تقدم ذكر ذلك.[٢]

قال المرتضى: ثم لو سلمنا استشهاد من ذكر على الخبر، لم يكن فيه حجة، لأن الخبر على كل حال لا يخرج من أن يكون موجباً للعلم، وهو في حكم أخبار الآحاد، وليس يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن بما يجري هذا المجرى، لأن المعلوم لا يختص إلاّ بمعلوم، وإذا كانت دلالة الظاهر معلومة، لم يجز أن يرجع عنها بأمر مظنون.

قال: وهذا الكلام مبني على أن التخصيص للكتاب والسنة المقطوع بها، لا يقع بأخبار الآحاد، وهو المذهب الصحيح، وقد أشرنا إلى ما يمكن أن يعتمد في الدلالة عليه من أن الظن لا يقابل العلم، ولا يرجع عن المعلوم إلى المظنون.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٥/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٦٥/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٥/١٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٤/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٦٦/٤.

قال: وليس لهم أن يقولو إن التخصيص بأخبار الآحاد مستنداً أيضاً إلى علم، وإن كان الطريق مظنوناً، ويشيروا إلى ما يدعونه من الدلالة على وجوب العمل بخبر الواحد في الشريعة، وأنه حجة لأن ذلك مبني من قولهم على ما لا نسلمه، وقد دل الدليل على فساده، أعني قولهم خبر الواحد حجة في الشرع على أنه لو سلم لهم ذلك لأحتاجوا إلى دليل مستأنف على أنه يقبل في تخصيص القرآن، لأن ما دل على العمل به في الجملة لا يتناول هذا الموضع كما يتناول جواز النسخ به.[١]

قلنا: أما قول المرتضى لو سلمنا أن هؤلاء السنة رووه لما خرج عن كونه خبر واحد، ولما جاز أن يرجع عن عموم الكتاب به، لأنه معلوم المهاجرين والخبر مظنون.[٢]

ولقائل أن يقول: ليته حصل في كل واحدة من آيات القرآن رواية مثل هذه الستة حيث جمع القرآن على عهد عثمان ومن قبله من الخلفاء، فإنهم بدون هذا العدد كانوا يقبلون في إثبات الآية في المصحف، بل كانوا يحلّفون من أتاهم بالآية، ومن نظر في كتب التواريخ عرف ذلك، فإن كان هذا العدد إنما يفيد الظن، فالقول في آيات الكتاب كذلك وإن كانت آيات الكتاب أثبتت على علم مستفاد من رواية هذا العدد، ونحوه فالخبر مثل ذلك.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٦/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٦٦/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٦/١٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٦/١٦.

فأما مذهب المرتضى في خبر الواحد، فإنه قول أنفرد به عن سائر الشيعة، لأن من قبله من فقهائهم ما عولوا في الفقه إلاّ على أخبار الآحاد، كزرارة، ويونس، وأبي بصير، وابن بابويه، والحلبي، وأبي جعفر القمي وغيرهم، ثم من كان في عصر المرتضى منهم كأبي جعفر الطوسي وغيره، وقد تكلمت في اعتبار الذريعة على ما أعتمد عليه في هذه المسألة.[١]

وأما في تخصيصه الكتاب بخبر الواحد، فالظاهر أنه إذا صح كون خبر الواحد حجة في الشرع، جاز تخصيص الكتاب به، وهذا من فن أُصول الفقه، فلا معنى لذكره ها هنا.[٢]

قال المرتضى رحمه الله: وهذا يسقط قول صاحب الكتاب أن شاهدين لو شهدا أن في التركة حقاً، لكان يجب أن ينصرف عن الارث، وذلك لأن الشهادة وإن كانت معنونة، فالعمل بها يستند إلى علم، لأن الشريعة قد قررت العمل بالشهادة، ولم تقدر العمل بخبر الواحد، وليس له أن يقيس خبر الواحد على الشهادة من حيث اجتمعا في غلبة الظن، لأنا لم نعمل على الشهادة من حيث غلبة الظن دون ما ذكرناه من تقرير الشريعة العمل بها، ألا ترى أنا قد نظن صدق الفاسق والمرأة والصبي، وكثير مما لا يجوز العمل بقوله، فبان أن المعول في هذا على المصلحة التي يستفيدها على طريق الجملة من دليل الشرع.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٦/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٧/١٦.

قال: وأبو بكر في حكم المدّعي لنفسه، والجار إليها، بخلاف ما ظنه صاحب الكتاب، وكذلك من شهد له إن كانت هناك شهادة، وذلك أن أبا بكر وسائر المسلمين سوى أهل بيت الرسول ﷺ، يحل لهم الصدقة، ويجوز أن يصيبوا منها، وهذه تهمة في الحكم والشهادة.

قال: وليس له أن يقول، فهذا يقتضي أن لا يقبل شهادة شاهدين في تركه فيها صدقة لمثل ما ذكرتم.[١]

ثم قال: وذلك لأن الشاهدين إذا شهدا في الصدقة فحظّهما منه كحظّ صاحب الميراث، بل سائر المسلمين، وليس كذلك حال تركة الرسول ﷺ، لأن كونها صدقة يحرّمها على ورثته، ويبيحها لسائر المسلمين.[٢]

قلت: هذا فرق غير مؤثّر، اللهم أن يعني به أن تهمة أبي بكر والشهود الستة في جرّ النفع إلى أنفسهم، ويكون أكثر من تهمتهم لو شهدوا على أبي هريرة مثلاً أن ما تركه صدقة، لأن أهل أبي هريرة يشاركون الشهود في القسمة، وأهل النبي ﷺ لا يشاركون فيما يصيبهم، إذ هم لا تحل الصدقة لهم، فتكون حصة أبي بكر والشهود مما تركه رسول الله ﷺ أكثر من حصتهم مما يتركه أبو هريرة، فيكون تطرق التهمة على أبي بكر والشهود أكثر حسب زيادة حصتهم، وما وقف المرتضى على شيء أطرف من هذا، لأن رسول الله ﷺ كان مات، والمسلمون أكثر من خمسين الف إنسان، لأنه

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٧/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٦٧/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٨/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٦٨/٤.

قاد في غزاة تبوك عشرين الفاً، ثم وفدت إليه الوفود كلها بعد ذلك، فليت شعري كم مقدار ما يتوفر على أبي بكر وستة نفر معه، وهم من جملة خمسين الفاً بين ما إذا كان بنو هاشم وبنو المطلب، وهم حينئذ عشرة نفر لا يأخذون حصة، وبين ما إذا كانوا يأخذون، أترى يكون التوفر على أبي بكر وشهوده من التركة عشر عشر درهم، وما أظن أنه يبلغ ذلك، وكم مقدار ما يقل حصص الشهود على أبي هريرة إذا شركهم أهله في التركة، لتكون هذه العلّة موجبة رفع التهمة، وتلك الزيادة والكثرة موجبة حصول التهمة، وهذا الكلام لا أرتضيه للمرتضى.[1]

[أقول:] كلام المرتضى رحمه الله أخذنا القاعدة الشرعية أن الشهود والحاكم إذا كانوا يجرّون نفعاً لهم، لا يقبل شهادة الشهود، ولا حكم الحاكم سواء كان النفع قليلاً أو كثيراً، كما هو معلوم من الشريعة لكلام السيد المرتضى، ليس بمخالف للقاعدة الشرعية، بل موافق لها، ألا ترى لو تصدق زيد على مائة رجل بدرهم، فأقام المائة شاهد منهم أو حاكماً منهم على إثبات الدرهم لهم، لم يقبل شهادة الشهود، ولا حكم الحاكم منهم، لأنهم يجرّون النفع لهم وإن قلّ، ولا يراعي غنى المدّعي، ولا حاجته حتى ترتفع التهمة مع الغني عن الحصة وقلتها، وإن علّل في الأصل بأن في ذلك تهمته من جرّ النفع المنع، وعدم القبول للشهادة والحكم، لأن علل الشريعة لا يجب إطرادها كالتقصير والافطار في السفر، وجواز ذلك فيه، لأنه مظنّة المشقة،

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٨/١٦.

فوجب اطراد الحكم الشرعي من التقصير في الصلاة والافطار في الصوم، وإن لم يكن هناك مشقّة في السفر في اتهام الصلاة والصوم في هذا، نظير ما ذكره هنا السيد المرتضى، وذلك واضح بيّن، ولا أرضى لابن أبي الحديد أن يفصل بين الأمرين.

ثم قال ابن أبي الحديد: قال المرتضى رَحِمَهُ اللهُ: فأما قوله يخص القرآن بالخبر كما خصّصناه في العبد والقاتل، فليس شيء، لأنا إنما خصّصنا من ذكر بدليل مقطوع عليه معلوم، وليس هذا موجود في الخبر الذي ادّعاه.[1]

فأما قوله وليس ذلك بنقص للأنبياء، بل هو إجلال لهم، فمن الذي قال له أن فيه نقصاً، وكما أنه لا نقص فيه، هو لا إجلال ولا فضيلة فيه، لأن الدواعي وإن كانت قد تقوى على جمع المال، ليخلف على الورثة، فقد يقوّيه أيضاً إرادة صرفه في وجوه الخير والبر، وكلا الأمرين يكون داعياً إلى تحصيل المال، بل الدواعي الذي ذكرناه أقوى فيما يتعلق بالدين.[2]

قال: فأما قوله أن فاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ لما سمعت ذلك كفت عن الطلب، فأصابت أولاً، وأصابت ثانياً، ولعمري أنها كفت عن المنازعة والمشاحة، لكنها أنصرفت مغضبة متظلّمة متألمة، والأمر في غضبها وسخطها أظهر من أن يخفى على منصف، فقد روى أكثر الرواة الذين لا يتّهمون بتشيع

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٨/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٦٨/٤.
[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٨/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٦٨/٤.

ولا عصبية فيه من كلامها في تلك الحال، وبعد انصرافها عن مقام المنازعة والمطالبة، ما يدل على ما ذكرناه من سخطها وغضبها.[١]

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، قال: حدثني محمد بن أحمد الكاتب، قال: حدثنا السري بن القطامي، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثنا صالح بن كيسان، عن عروة، عن عائشة، قالت: لما بلغ فاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ إجماع أبي بكر على منعها فدك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمّة من حفدتها.[٢]

قال المرتضى: وأخبرنا المرزباني، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد المكي، قال: حدثنا أبو العينا محمد بن القاسم اليمامي، قال: حدثنا ابن عائشة قال: **لما قبض رسول الله ﷺ أقبلت فاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ في لمّة من حفدتها، ثم اجتمعت الروايتان من هاهنا، ونساء قومها تطأ ذيولها ما يخرم مشيتها، مشية رسول الله ﷺ حتى دخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، ثم أنّت أنة أجهش لها القوم بالبكاء، وارتجّ المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم، افتتحت كلامها بالحمد لله عز وجل، والثناء عليه والصلاة على رسوله، ثم قالت: لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف**

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٩/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٦٨/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٩/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٦٩/٤.

رحيم، فإن تعزوه تجدوه أبي دون آبائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، فبلغ الرسالة، صادعاً بالتذكرة، مائلاً عن سنن المشركين، ضارباً ثبجهم، يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، آخذاً بأكظام المشركين، يهشم الأصنام، ويفلق الهام حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، وحتى تفرى عن صحبه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وتمّت كلمة الإخلاص، وكنتم على شفا حفرة من النار، نهزة الطامع، ومذقة الشارب، وقبسة العجلان، وموطيء الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القدّ أذلّة خاسئين، يتخطّفكم الناس من حولكم حتى أنقذكم الله برسوله ﷺ، بعد اللتيا واللتي، وبعد أن مني ببهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله، أو نجم قرن الشيطان، أو فغرت فاغرة، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفي حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويطفأ عادية لهبها بسيفه، أو قالت يخمد لهبها بجدّه، مكدوداً في ذات الله، وأنتم في رفاهية، فكهون آمنون وادعون.[١]

إلى هاهنا انتهى خبر أبي العيناء عن ابن عائشة.

وأما عروة عن عائشة فزاد بعد هذا: **حتى اختار الله لنبيّه دار أنبيائه، ظهرت حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ**

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٤٩/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٧٠/٤.

خامل الافكين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه، صارخاً بكم، فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين، ولقربه متلاحظين، ثم استنهضكم، فوجدكم خفافاً، وأحمسكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، إنما زعمتم ذلك خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا، وأن جهنم لمحيطة بالكافرين، فهيهات، وأنى بكم، وأنى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، زواجره بينة، وشواهده لائحة، وأوامره واضحة، أرغبة عنه تريدون، أم لغيره تحكمون، بئس للظالمين بدلاً، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين، ثم لم تلبثوا إلاّ ريثما تسكن نفرتها، تسرون حسواً في ارتغاء، ونحن نصبر منكم على مثل حزّ المدى، وأنتم الآن تزعمون أن لا أرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون، يا ابن أبي قحافة، أترث أباك، ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً، فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ثم انكفأت إلى قبر أبيها فقالت:

قــــد كـــان بـعـدك أنباء وهنبثة

لو كنت شاهدها لـم تكثر الخطب

أنـــا فـقـدناك فقد الأرض وابلها

واختلّ قـومك فأشهدهم ولا تغب

وروى حرمي بن العلا مع هذين البيتين بيتاً ثالثاً:

فليت بعدك كان الموت صـادفنا   لما قضيت وحالت دونك الكثب[١]

قال: فحمد أبو بكر الله، وأثنى عليه، وصلى على رسوله، ثم قال: يا خيرة النساء، وإبنة خير الآباء، والله ما عدوت رأي رسول الله ﷺ، ولا عملت إلاّ باذنه، وأن الرائد لا يكذب أهله، وإني أشهد بالله، وكفى به شهيداً، أني سمعت رسول الله يقول: أنا معاشر الأنبياء، لا نورث ذهباً ولا فضة، ولا داراً ولا عقاراً، وإنما نورث الكتاب والحكمة، والعلم والنبوة.

قال: فلما وصل الأمر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام كلم في ردّ فدك، فقال: إني لأستحيي من الله أن أردّ شيئاً منع منه أبو بكر، وأمضاه عمر.[٢]

قال المرتضى رحمه الله: وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني، قال: حدثني علي بن هارون، قال: أخبرني عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر، عن أبيه قال: ذكرت لأبي الحسين بن يزيد بن علي بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام كلام فاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ عند منع أبي بكر إيّاها فدك، وقلت له: إن هؤلاء يزعمون أنه مصنوع، وأنه من كلام أبي العيناء، لأن الكلام منسوق البلاغة، فقال لي: رأيت مشائخات أبي طالب يروونه عن

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥١/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٧٣/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥١/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٧٦/٤.

آبائهم، ويعلمونه أولادهم، وقد حدثني أبي عن جدي يبلغ به فاطمة على هذه الحكاية، وقد رواه مشايخ الشيعة وتدارسوه قبل أن يوجد جد أبي العيناء، وقد حدث الحسين بن علوان، عن عطية العوفي أنه سمع عبد الله بن الحسن يذكر عن أبيه هذا الكلام، ثم قال أبو الحسين زيد رحمه الله: وكيف تنكرون هذا من كلام فاطمة، وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة ويحققونه، لولا عداوتهم لنا أهل البيت، تم الحديث بطوله على نسقه وزاد في الأبيات بعد البيتين الأولين:

ضاقت عليّ بـلادي بعدما رحـبـت
وسيم سبطاك خسفاً فيه لي نـصـب
تهجمتنا رجـال وأستـخـفّ بـنـا
مذ غبت عنا وكل الارث قد غصبوا
فـلـيـت قبلك كان الموت صادفنا
قـوم تـمـنّـوا فأعطوا كل ما طلبوا

قال: فما رأينا أكثر باكياً وباكية من ذلك اليوم.[1]

قال المرتضى رحمه الله: وقد روى هذا الكلام على هذا الوجه من طرق مختلفة، ووجوه كثيرة، فمن أراد أخذها من مواضعها، فكيف يدّعي أنها عليها السلام كفت راضية، وأمسكت قانعة، لولا البهت، وقلة الحياء.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٢/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٧٦/٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٣/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٧٨/.

قال: قلت: ليس في الخبر ما يدل على فساد ما ادّعاه قاضي القضاة، لأنه ادّعى أنها نازعت وخاصمت، ثم كفت لما سمعت الرواية، وأنصرفت تاركة للنزاع، راضية بموجب الخبر المروي، وما ذكره المرتضى من هذا الكلام لا يدل إلاّ على سخطها حال حضورها، ولا يدل على أنها بعد رواية الخبر، وبعد أن أقسم لها أبو بكر بالله تعالى أنه ما روى عن رسول الله ﷺ إلاّ ما سمعه منه، أنصرفت ساخطة، ولا في الحديث المذكور، والكلام المروي على ذلك، ولست أعتقد أنها انصرفت راضية، كما قال قاضي القضاة، بل أعلم أنها انصرفت ساخطة، وماتت وهي على أبي بكر واجدة، ولكن لا من هذا الخبر، بل أخبار أُخر، كان الأولى بالمرتضى أن يحتج بها على ما يرويه من انصرافها ساخطة، وموتها على ذلك السخط، فأما هذا الخبر، وهذا الكلام فلا يدل على هذا المطلوب.[1]

قال المرتضى رحمه الله: فأما قوله أنه يجوز أن يبيّن عليه السلام أنه لا حق في ميراثه لورثته، لغير الورثة، ولا يمنع أن يرد من جهة الآحاد، لأنه من باب العمل، فكان هذا منه بناء على أُصوله الفاسدة في أن الخبر الواحد حجة في الشرع، وأن العمل به واجب، ودون صحة ذلك خرط القتاد، وإنما يجوز أن يبيّن من جهة أُخرى إذا تساويا في الحجة، ووقوع العلم، فأما مع بيانها، فلا يجوز التخيير فيهما، وإذا كان ورثة النبي متعبدين بأن لا يرثوه فلا بد من

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٣/١٦.

إزاحة علتهم في هذه العبادة بأن يوقفهم على ما يحكم بعينه ويشافههم به، أو يلقيه إلى من يقوم الحجة عليهم بنقله، وكل ذلك لم يكن.

فأما قوله أتجوّزون صدقه في الرواية أم لا يجوّزون ذلك.

فالجواب: أنا لا نجوّزه، لأن كتاب الله تعالى أصدق منه، وهو يدفع روايته ويبطلها، فأما اعتراضه على قولنا أن اطلاق الميراث لا يكون إلاّ في الأموال بقوله تعالى: ﴿ثم أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وقولهم ما ورثت الأبناء من الآباء شيئاً أفضل من أدب حسن، وقولهم العلماء ورثة الأنبياء، فعجيب، لأن كل ما ذكر مقيّد كان غير مطلق، وإنما قلنا أن مطلق لفظ الميراث من غير قرينة، ولا تقييد يفيد بظاهره ميراث الأموال فيفسد ما ذكره وعارض به، لا يخفى على متأمل، فأما استدلاله على أن سليمان ورث داود علمه دون ماله بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كل شَيْء ان هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ وأن المراد أنه ورث العلم والفضل وإلاّ لم يكن لهذا القول تعلّق بالأول، فليس بشيء يعول عليه أنه لا يمتنع أنه يريد وارث المال بالظاهر، والعلم بهذا المعنى من الاستدلال، فليس بشيء يجب إذا دلّت الدلالة في بعض الألفاظ على معنى المجاز أن يقتصر بها عليه، بل يجب أن يحملها على الحقيقة التي هي الأصل إذا لم يمنع من ذلك مانع، على أنه لا يمتنع أن يريد ميراث المال خاصة، ثم بل نقول إنا مع ذلك علمنا بمنطق الطير، ويشير بالفضل العظيم إلى العلم والمال جميعاً، فله بالأمرين جميعاً فضل على من لم يكن عليهما، وقوله ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كل شَيْء﴾

يحتمل المال كما يحتمل العلم، فليس بخالص لما ظنّه، فأما قوله في قصة زكريا أنه خاف على العلم أن يندرس، لأن الأنبياء وإن كانوا لا يحرصون على الأموال، وإنما خاف أن يضيع العلم، فسأل الله ولياً يقوم بالدين مقامه، فقد بيّنا أن الأنبياء وإن كانوا لا يحرصون على الأموال ولا يبخلون بها فإنهم يجتهدون في منع المفسدين من الاستعانة على الفساد، ولا يعد ذلك حرصاً ولا بخلاً، بل فضلاً وديناً، فليس يجوز من زكريا أن يخاف على العلم من الإندراس والضياع، لأنه يعلم أن حكمة الله تقتضي حفظ العلم الذي هو الحجة على العباد، وبه تنزاح عللهم في مصالحهم، فكيف يخاف ما لا يخاف من مثله.

فإن قيل: فهبوا أن الأمر كما ذكرتم من أن زكريا كان لا يأمن على العلم أن يندرس، أليس لا بد أن يكون مجوّزاً أن يحفظه الله تعالى بمن هو من أهله وأقاربه، كما يجوز حفظه بغريب أجنبي، فما أنكرتم أن يكون خوفه إنما كان من بني عمه أن لا يتعلّموا العلم، ولا يقوموا فيه مقامهم، فسأل الله ولداً يجمع فيه هذه العلوم حتى لا يخرج العلم عن بيته، ويتعدى إلى غير قومه، فيلحقه بذلك وصمة.[1]

قلنا: أما إذا رتّب السؤال هذا الترتيب، والجواب عنه ما أجبنا به صاحب الكتاب، وهو أن الجواب الذي أشاروا إليه ليس من ضرر ديني، وإنما هو دنياوي، والأنبياء عليهم السلام إنما بعثوا لتحمل المضار الدنياوية، ومنازلهم في

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٥٤/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٧٨/٤.

الثواب إنما زادت على كل المنازل لهذا الوجه، ومن كانت حاله هذه الحال فالظاهر من خوفه إذا لم يعلم وجهه بعينه، أن يكون محمولاً على مضار الدين، لأنها هي جهة خوفهم، والغرض في بعثهم تحمل ما سواها من المضار، فإذا قال النبي أنا خائف، ولم يعلم جهة خوفه على التفصيل، يجب أن يصرف خوفه بالظاهر إلى مضار الدين دون الدنيا، لأن أحوالهم وبعثهم يقتضي ذلك، فإذا كنّا لو اعتدنا من بعضنا الزهد في الدنيا وأسبابها، والتعفّف عن منافعها، والرغبة في الآخرة، والتعوّذ بالعمل لحالنا، نحمل ما يظهر لنا من خوفه الذي لا يعلم وجهه بعينه على ما هو أشبه وأليق بحاله، ونضيفه إلى الآخرة دون الدنيا، وإذا كان هذا واجباً فيما ذكرناه، فهو في الأنبياء عليهم السلام أوجب.[١]

قلت: ينبغي أن لا يقول المعترض فيلحقه بذلك وصمة فيجعل الخوف من هذه الوصمة، بل يقول إنه يخاف أن لا يفلح بنو عمه، ولا يتعلّمون العلم لما رأى من الإمارات الدالة على ذلك، فالخوف على هذا الترتيب متعلق بأمر ديني لا دنيوي، فسأل الله تعالى أن يرزقه ولداً يرث عنه علمه، أي يكون عالماً بالدينيات، كما أنا عالم بها، وهذا السؤال أيضاً متعلق بأمر ديني، وعلى هذا لا يندفع ما ذكره المرتضى، على أنه لا يجوز اطلاق القول، فإن الأنبياء بعثوا لتحمل المضار الدنياوية، ولا الغرض في بعثتهم تحمل ما سوى المضار الدينية من المضار، فإنهم بعثوا لذلك، ولا الغرض في بعثتهم لذلك، وإنما بعثوا لأمر آخر، وقد يحصل المضار في أداء الشرع ضمناً وتبعاً، لا على أنها الغرض، ولا

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٦/١٦.

داخلة في الغرض، وعلى أن قول المرتضى رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يجوز أن يخاف زكريا من تبديل الدين وتغييره، لأنه محفوظ من الله، فكيف يخاف ما لا يخاف من مثله غير مستمر على أُصوله، لأن المكلفين الآن قد حرموا بغيبة الإمام عنده ألطافاً كثيرة الوصلة بالشرعيات، كالحدود، وصلاة الجمعة، والأعياد، وهو وأصحابه يقولون في ذلك أن اللوم على المكلفين، لأنهم حرموا أنفسهم اللطف، فهلاّ جاز أن يخاف زكريا من تبديل الدين وتغييره، وفساد الأحكام الشرعية، لأنه إنما يجب على الله تعالى التبليغ بالرسول إلى المكلفين، فإذا أفسدوا هم الأديان وبدلوها، لم يجب عليه أن يحفظها عليهم، لأنهم هم الذين حرموا أنفسهم اللطف، وأعلم أنه قريء ﴿وَانِي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ قيل: إنها قراءة زين العابدين، وإبنه محمد بن علي الباقر، وعثمان بن عفان، وفسروه على وجهين:

أحدهما: أن يكون ورائي بمعنى خلفي وبعدي، أي قلت الموالي، وعجزوا عن إقامة أمر الدين، تقول قد خف بنو فلان، أي قلّ عددهم، فسأل زكريا ربه تقويتهم ومظاهرتهم بوّي يرزقه.

وثانيها: أن يكون ورائي بمعنى قدامي، أي خف الموالي وأنا حي، ودرجوا وانقرضوا ولم يبق منهم من به اعتقاد، وعلى هذه القراءة لا يبقى متعلق بلفظة الخوف، وقد فسر قوم قوله ﴿وإني خفت الموالي﴾ أي خفت الذين يلون الأمر من بعدي، لأن الموالي يستعمل في الوالي، وجمعه موال، أي خفت أن يلي بعد موتى أُمراء ورؤساء يفسدون شيئاً من الدين، فأرزقني ولداً

تنعم عليه بالنبوة والعلم، كما أنعمت عليّ، واجعل الدين محفوظاً به، وهذا التأويل غير منكر، وفيه أيضاً دفع لكلام المرتضى رحمه الله.[١]

قال المرتضى: فأما تعلّق صاحب الكتاب في أن الميراث محمول على العلم بقوله ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ لأنه لا يرث أموال آل يعققوب في الحقيقة، وإنما يرث ذلك غيره، فبعيد من الصواب، لأن ولد زكريا يرث بالقرابة من آل يعقوب أموالهم على أنه لم يرث من آل يعقوب، بل قال يرث من آل يعقوب، منبّهاً بذلك على أنه يورث من كان أحق بميراثه بالقرابة، فأما طعنه على من تأول الخبر بأنه عليه السلام لا يورث ما تركه للصدقة بقوله إن أحداً من الصحابة لم يتأوله على هذا الوجه، فهذا التأويل الذي ذكرناه أحد ما قاله أصحابنا في هذا الخبر، فمن أين له إجماع الصحابة على خلافه، وإن أحداً لم يتأوله على هذا الوجه.

فإن قال: لو كان ذلك لظهر وأشتهر، ولوقف أبو بكر عليه، فقد مضى من الكلام ما يمنع من الموافقة على هذا المعنى ما فيه كفاية.[٢]

قال: قلت: لم يكن ذلك اليوم أعني يوم حضور فاطمة عليها السلام وقولها لأبي بكر ما قالت يوم تقية وخوف، وكيف يكون تقية، وهي تقول له وهو الخليفة يا ابن أبي قحافة أترث أباك ولا أرث أبي، وتقول له أيضاً لقد جئت شيئاً فريّاً، فكان ينبغي إذا لم يؤثر أمير المؤمنين عليه السلام أن يفسّر لأبي بكر معنى الخبر أن

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٦/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٨/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٨٠/٤

يعلم فاطمة عليها السلام تفسيره، فتقول لأبي بكر أنت غالط فيما ظننت، إنما قال أبي ما تركناه صدقة، فإنه لا يورث.[١]

وأعلم أن هذا التأويل كاد يكون مدفوعاً بالضرورة، لأن من نظر في الأحاديث التي ذكرناها، وما جرت عليه الحال، يعلم بطلانه علماً قطعياً.[٢]

قال المرتضى رحمه الله: وقوله أنه لا يكون ذلك تخصيص للأنبياء، ولا مزية، ليس بصحيح.

وقد قيل في الجواب عن هذا أن النبي صلى الله عليه وآله يجوز أن يريد ما ينوي فيه الصدقة، ويفرده لها من غير أن يخرجه من أيدينا لا تناله ورثتنا، وهذا تخصيص للأنبياء، ومزية ظاهرة.[٣]

قال: قلت: هذه مخالفة لظاهر الكلام، وإحالة اللفظ عن وضعه، وبين قوله ما نتوي فيه الصدقة، وهو بعد في ملكنا، ليس بموروث، وقوله ما نخلفه صدقة ليس بموروث، فرق عظيم، فلا يجوز أن يراد أحد المعنيين باللفظ المفسد للمعنى الآخر، لأنه إلباس وتعمية، وأيضاً فإن العلماء ذكروا خصائص الرسول عليه السلام في الشرعيات عن أُمّته وعدّدوها نحو جعل الزيادة في النكاح على أربع، ونحو النكاح بلفظ الهبة على قول فرقة من المسلمين، ونحو تحريم أكل البصل والثوم عليه، وإباحة شرب دمه، وغير ذلك، ولم يذكروا في

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٨/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٩/١٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٩/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٨٠/٤

خصائصه أنه إذا كان قد نوى أن يتصدّق بشيء فإنه لا يناله ورثته، لو قدرنا أنه يورث الأموال، ولا الشيعة قبل المرتضى ذكروا ذلك، ولا رأيناه في كتاب من كتبهم، وهو مسبوق بإجماع طائفته عليه، وإجماعهم عنده حجة.[١]

قال المرتضى: فأما قوله أن قوله عليه السلام ما تركناه صدقة جملة من الكلام مستقلّة بنفسها، وأقوى ما يمكن أن نذكره أن نقول الرواية جاءت في لفظ صدقة – بالرفع – وما تأولوه لا تكون إلاّ – منصوبة – والجواب عن ذلك نسلّم الرواية – بالرفع – ولم تجر عادة الرواية بضبط ما جرى هذا المجرى من الإعراب، والاشتباه يقع في مثله، فمن حقق منهم، وصرّح بالرواية بالرفع يجوز أن يكون أشتبه عليه قصتها مرفوعة، وهي منصوبة.[٢]

قال: وهذا أيضاً خلاف الظاهر، وفتح الباب فيه يؤدّي إلى فساد الاحتجاج على كثير من الأخبار.[٣]

قلت: أما حكايته عن أبي علي أن أبا بكر لم يدفع إلى أمير المؤمنين عليه السلام السيف والبغلة والعمامة على جهة الارث، وقوله كيف يجوز ذلك مع الخبر الذي رواه، فكيف خصصه بذلك دون العم الذي هو العصبة، فما نراه زاد على التعجب، وما عجب منه عجيباً، ولم يثبت عصمة أبي بكر، فينتفي عن أفعاله التناقض.

---

[١] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٩/١٦.

[٢] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٩/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٨١/٤.

[٣] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٠/١٦.

قلت: لا يشك أحد في أن أبا بكر كان عاقلاً، وإن شك قوم في ذلك، والعاقل في يوم واحد لا يدفع فاطمة عن الارث، ويقول إن أباك قال إنني لا أورث، ثم يورث في ذلك اليوم شخصاً آخر من مال ذلك المتوفى، حكى عنه أنه لا يورث، وليس انتفاء هذا التناقض عن أفعاله موقوفاً على العصمة، بل على العقل.[1]

قال المرتضى: وقوله يجوز أن يكون النبي ﷺ نحله إياه وتركه أبو بكر في يده لما في ذلك من تقوية الدين، وتصدّق ببدله، فكل ما ذكره جائز إلاّ أنه قد كان يجب أن يظهر أسباب النحلة، والشهادة بها، والحجة عليها، ولم يذكر من ذلك شيء فنعرفه، ومن العجائب أن تدعي فاطمة فدك نحلة وتشتشهد على قولها أمير المؤمنين عليه السلام وغيره، فلا يصغى إلى قولها، ويترك السيف والبغلة والعمامة في يد أمير المؤمنين عليه السلام على سبيل النحلة بغير بيّنة ظهرت، ولا شهادة قامت.[2]

قلت: هل أبا بكر ﴿رضي الله عنه﴾ سمع الرسول ﷺ وهو ينحل ذلك علياً عليه السلام، فلذلك لم يحتج إلى البيّنة والشهادة، فقد روى أنه أعطاه خاتمه وسيفه في مرضه، وأبو بكر حاضر، وأما البغلة فقد كان نحله إياها في حجة الوداع على ما وردت به الرواية، وأما العمامة وسلب الميت والقميص والحجزة والحذاء، والعادة أن يأخذ ذلك ولد الميت، ولا ينازع فيه، لأنه

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٠/١٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦١/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٨٢/٤

خارج أو كالخارج عن التركة، فلما غسل عليه السلام أخذت ابنته ثيابه التي مات فيها، وهذه عادة الناس، على أنا قد ذكرنا في الفصل الأول كيف دفع إليه آلة النبي صلى الله عليه وآله وحذاءه ودابته، لمصلحة رآها، وللإمام أن يفعل ذلك.[١]

[أقول:] هذا ضلال مبين، وخروج عن الشرع القويم، وكيف يجوز للإمام أن يجتهد في أخذ أموال الناس الذي [ثبت] أنها لهم، وكيف يجوز أن يأخذها منهم من غير إذنهم ورضاهم، ويدفعها لغيرهم، وأي عذر لهم في ذلك في اغتصاب الأموال، ودفعها لغير مستحقها، لكن ابن أبي الحديد قد ذكر في هذا الشرع أن الخلفاء الثلاثة السابقين يعملون بخلاف الشرع في سيرتهم، وأنهم يعملون بما هي مصلحة ملكهم سواء وافق الشرع أو خالفه، سوى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه لا يعمل إلاّ بمقتضى الشرع، وقد قدمنا ذلك عنه في الباب الثاني والأربعون، ومثل هذا ما نقل قريباً من كلام أبي علي في ذلك، والاعتذار عن أبي بكر من قوله ولم يثبت عصمة أبي بكر، فينتفي عن أفعاله التناقض.

وأقول أيضاً: هذا الذي أوجب عصمة الإمام عند الإمامية، ليؤمن منها الزيادة والنقصان في الشرع، والعمل بخلاف الشرع، إذ ليس الإمام بشريك لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله في وضع شريعة أُخرى على ما يقتضيه مصلحة ملكه، والله سبحانه وتعالى أعلم بمصالح عباده، والأمر إليه تبارك وتعالى.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦١/١٦.

قال المرتضى رَحِمَهُ اللَّهُ: وعلى أنه كان يجب على أبي بكر أن يبيّن ذلك ويذكر وجهه بعينه، لما نازع العباس فيه، فلا وقت لذكر الوجه في ذلك أولى من ذلك الوقت.[1]

قلت: لم ينازع العباس في أيام أبي بكر لا في البغلة والعمامة ونحوهما ولا في غير ذلك، وإنما نازع علياً في أيام عمر، وقد ذكرنا كيفية المنازعة وفيماذا كانت.

قال المرتضى رَحِمَهُ اللَّهُ والقول في البرد والقضيب إن كان نحلة أو على الوجه الآخر لجرى مجرى ما ذكرناه في وجوب الظهور والاشتهار، ولسنا نرى أصحابنا - يعني المعتزلة- يطالبون أنفسهم في هذا المواضع بما يطالبوننا بمثله إذا ادّعينا وجوهاً وأسباباً وعللاً مجوّزة، لأنهم لا يقنعون منا بما يجوز ويمكن، بل يوجبون فيما ندعيه الظهور والاشتهار، وإذا كان هذا عليهم نسوه أو تناسوه.

قلت: أما القضيب فهو السيف الذي نحله علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ في مرضه، وليس بذي الفقار، بل هو سيف آخر، وأما البردة فإنه وهبها كعب بن زهير، ثم صار هذا السيف وهذه البردة إلى الخلفاء بعد تنقّلات كثيرة مذكورة في كتب التواريخ.[2]

قال المرتضى: فأما قوله إن أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إنما طلبن الميراث لأنهنّ لم يعرفن رواية أبي بكر للخبر، وكذلك إنما نازع علي ﴿رضي الله

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٦١/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٨٢/٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٦١/١٦.

عنه﴾ بعد موت فاطمة في الميراث لهذا الوجه، فمن أقبح ما يقال في هذا الباب وأبعده عن الصواب، وكيف لا يعرف أمير المؤمنين عليه السلام رواية أبي بكر، وبها دفعت زوجته عن الميراث، وهل مثل ذلك المقام الذي قامته وما رواه أبو بكر في دفعها يخفى على من هو في أقاصي البلاد فضلاً عن من هو في المدينة حاضراً شاهداً يراعي الأخبار، ويعني بها، إن هذا لخروج في المكابرة عن الحد، وكيف يخفى على الأزواج ذلك حتى يطلبنه مرة بعد أُخرى، ويكون عثمان المرسل لهنّ والطالب عنهنّ، وعثمان على زعمهم أحد من شهد أن النبي صلى الله عليه وآله لا يورث، وقد سمعن على كل حال أن بنت النبي صلى الله عليه وآله لم تورث ماله، ولا بد أن يكون قد سألن عن السبب في دفعها عنه، فذكر لهنّ الخبر، فكيف يقال أنهنّ لم يعرفنه.[1]

قلت: الصحيح أن أمير المؤمنين عليه السلام لم ينازع بعد موت فاطمة في الميراث، وإنما نازع في الولاية لفدك وغيرها من صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله، وجرى بينه وبين العباس ﴿رضي الله عنه﴾ في ذلك ما هو مشهور، وأما أزواج النبي صلى الله عليه وآله فما ثبت أنهنّ نازعن في ميراثه، ولا أن عثمان كان المرسل لهنّ والطالب عنّهنّ إلاّ في رواية شاذة، والأزواج لما عرفوا أن فاطمة قد دفعت عن الميراث أمسكن، ولم يكن قد نازعن، وإنما اكتفين بغيرهنّ، وحديث فدك وحضور فاطمة عليها السلام عند أبي بكر كان بعد عشرة أيام من وفاة رسول الله

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٢/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٨٣/٤

صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، والصحيح أنه لم ينطق أحدبعد ذلك من الناس من ذكر أو أنثى بعد عود فاطمة عليها السلام من ذلك المجلس بكلمة واحدة في معنى الميراث.[١]

وأقول: قد روى ابن أبي الحديد في الفصل الأول أن العباس وعلي عليه السلام جاءا إلى عمر وطلبا حقهما من صوافي رسول الله، فدفعهما عمر بالحديث الذي رواه أبو بكر، وأيضاً ذكر في هذا الفصل طلب أزواج النبي نصيبهم من الميراث، وإرسالهنّ عثمان إلى عمر يلتمس ذلك، وكيف ينكر ذلك، وقد رواه ابن أبي الحديد عمن يثق بروايته.

قال المرتضى: فإن قيل: فإذا كان أبو بكر قد حكم بالخطأ في دفعه فاطمة عليها السلام عن الميراث، وأحتج بخبر لا حجة فيه، فما بال الأُمة أقرته على هذا الحكم، ولم ينكر عليه، وفي رضاها وإمساكها دليل على صوابه.

قلنا: قد مضى أن ترك النكير لا يكون دليل الرضا إلاّ في الموضع الذي لا يكون له وجه سوى الرضا، وذكرنا في ذلك قولاً شافياً، وقد أجاب أبو عثمان الجاحظ في كتاب العباسية عن هذا السؤال جواباً حسن المعنى واللفظ، نحن نذكره على وجهه لنقابل بينه وبين كلامه في العثمانية وغيرها.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٣/١٦، مع اختلاف يسير مع النسخة الخطية.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٣/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٨٤/٤

قلت: ما كناه المرتضى رحمه الله في غير هذا الموضع أصلاً، بل كان ساخطاً عليه، وكناه في هذا الموضع، واستجاد قوله، لأنه موافق غرضه، فسبحان الله ما أشد حب الناس لعقائدهم.[1]

قال: قال أبو عثمان: وقد زعم ناس أن الدليل على صدقه خبرهما يعني أبا بكر وعمر في منع الميراث، وبراءة ساحتهما ترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله النكير عليهما.

ثم قال: قد يقال لهم: لئن كان ترك النكير دليلاً على صدقهما ليكونن ترك النكير على المتظلمين منهما، والمحتجين عليهما، والمطالبين لهما على صدق دعواهم، واستحسان مقالتهم، ولا سيما وقد طالت المناجاة، وكثرت المراجعة والملاحاة، وظهرت الشكية، واشتدت الموجدة، وقد بلغ ذلك من فاطمة ﴿رحمها الله تعالى﴾ حتى أنها أوصت أن لا يصلي عليها أبو بكر، ولقد كانت قالت له حين أتته طالبة بحقها، ومحتجة لرهطها، من يرثك يا أبا بكر إذا مت؟ قال: أهلي وولدي، قالت: فما بالنا لا نرث النبي صلى الله عليه وآله، فلما منعها ميراثها، وبخسها حقها، وأعتل عليها، وأختلج في أمرها، وعاينت التهضم، وآيست من النزوع، ووجدت نشوء الضعف، وقلة الناصر، قالت: والله لأدعونّ الله عليك، وقال: والله لأدعونّ الله لك، قالت: والله لا أُكلمك أبداً، قال: والله لا أهجرك أبداً، فإن يكن ترك النكير على أبي بكر دليلاً على صواب منعها، إن في ترك النكير على فاطمة دليلاً على صواب طلبها، وأدنى ما كان يجب عليهم في

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٤/١٦.

ذلك تعريفها ما جهلت، وتذكيرها ما نسيت، وصرفها عن الخطأ، ورفع قدرها عن البذاء وأن تقول هجراً، أو تجور عادلاً، أو تقطع واصلاً، فإذا لم تجدهم أنكروا على الخصمين جميعاً، فقد تكافأت الامور، وأستوت الأسباب، والرجوع إلى أصل حكم الله من المواريث أولى بنا وبكم، وأوجب علينا وعليكم.[١]

قال: فإن قالوا: كيف تظن به ظلمها والتعدى عليها! وكلما ازدادت عليه غلظة أزداد لها ليناً ورقة، حيث تقول له: والله لا أكلمك أبداً، فيقول: والله لا أهجرك أبداً، ثم تقول: والله لأدعون الله عليك، فيقول: والله لأدعون الله لك، ثم يحتمل منها هذا الكلام الغليظ، والقول الشديد في دار الخلافة، وبحضرة قريش والصحابة، مع حاجة الخلافة الى البهاء والتنزيه، وما يجب لها من الرفعة والهيبة! ثم لم يمنعه ذلك أن قال معتذراً متقرباً، كلام المعظم لحقها، المكبر لمقامها، والصائن لوجهها، المتحنن عليها، ما أحد أعز عليّ منك فقراً، ولا أحب إليّ منك غنى، ولكني سمعت رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقة.

قيل لهم: ليس ذلك بدليل على البراءة من الظلم، والسلامة من الجور، وقد يبلغ من مكر الظالم، ودهاء الماكر إذا كان أريباً، وللخصومة معتاداً أن يظهر كلام المظلوم، وذلة المنتصف، وحدب الوامق، ومقة المحق.[٢]

---

[١] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٤/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٨٤/٤

[٢] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٥/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٨٥/٤

وكيف جعلتم ترك النكير حجة قاطعة، ودلالة واضحة، وقد زعمتم أن عمر قال على منبره: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، متعه النساء، ومتعه الحج، أنا أنهى عنهما، وأعاقب عليهما، فما وجدتم أحداً أنكر قوله، ولا استشنع مخرج نهيه، ولا خطأه في معناه، ولا تعجب منه، ولا استفهمه، وكيف تقضون بترك النكير، وقد شهد عمر يوم السقيفة وبعد ذلك أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال: الأئمة من قريش، ثم قال في شكاته: لو كان سالم حياً ما تخالجني فيه شك، حين أظهر الشك في استحقاق كل واحد من الستة الذين جعلهم شورى، وسالم عبد لإمرأة من الأنصار، وهي أعتقته، وحازت ميراثه، ثم لم ينكر ذلك من قوله منكر، ولا قابل إنسان بين قوله، ولا تعجب منه، وإنما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا رهبة عنده دليلاً على صدق قوله، وصواب عمله، فأما ترك النكير على من يملك الضعة والرفعة، والأمر والنهي، والقتل والاستحياء، والحبس والاطلاق، فليس بحجة تشفي، ولا دلالة تضيء.[1]

قال: وقال آخرون: بل الدليل على صدق قولهما، وصواب عملهما، إمساك الصحابة عن خلعهما، والخروج عليهما، وهم الذين وثبوا على عثمان في أيسر من جحد التنزيل، ورد النصوص، ولو كان كما تقولون وما تصفون

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٥/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٨٦/٤

ما كان سبيل الأمة فيهما إلا كسبيلهم فيه، وعثمان كان أعز نفراً، وأشرف رهطاً، وأكثر عدداً وثروة، وأقوى عدة.[١]

قلنا: إنهما لم يجحدا التنزيل، ولم ينكرا النصوص، ولكنهما بعد إقرارهما بحكم الميراث، وما عليه الظاهر من الشريعة أدعيا رواية، وتحدثا بحديث لم يكن محالاً كونه، ولا ممتنعاً في حجج العقول مجيئه، وشهد لهما عليه من علته مثل علتهما فيه، ولعل بعضهم كان يرى تصديق الرجل إذا كان عدلاً في رهطه، مأمونا في ظاهره، ولم يكن قبل ذلك عرفه بفجرة، ولا جرت عليه غدرة، فيكون تصديقه له على جهه حسن الظن، وتعديل الشاهد، ولأنه لم يكن كثير منهم يعرف حقائق الحجج، والذى يقطع بشهادته على الغيب، وكان ذلك شبهة على أكثرهم، فلذلك قلّ النكير، وتواكل الناس، فأشتبه الأمر، فصار لا يتخلص إلى معرفة حق ذلك من باطله إلاّ العالم المتقدم أو المؤيد المرشد، ولأنه لم يكن لعثمان في صدور العوام، وقلوب السفلة والطغام ما كان لهما من المحبة والهيبة، ولأنهما كانا أقل استئثاراً بالفيء، وتفضلاً بمال الله منه، ومن شأن الناس إهمال السلطان ما وفر عليهم أموالهم، ولم يستأثر بخراجهم، ولم يعطل ثغورهم، ولأن الذي صنع أبو بكر من منع العترة حقها، والعمومة ميراثها، قد كان موافقاً لجلة قريش، وكبراء العرب، ولأن عثمان أيضاً كان مضعوفاً في نفسه، مستخفاً بقدره، لا يمنع ضيماً، ولا يقمع عدواً، ولقد وثب ناس على عثمان بالشتم والقذف، والتشنيع والنكير لأمور لو أتى

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٦/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٨٧/٤

أضعافها، وبلغ أقصاها لما أجترءوا على أغتيابه فضلاً على مبادأته، والاغراء به ومواجهته، كما أغلظ عيينة بن حصن له فقال له: أما إنه لو كان عمر لقمعك ومنعك، فقال عيينة: إن عمر كان خيراً لي منك، أرهبني فأتقاني.[١]

ثم قال: والعجب أنا وجدنا جميع من خالفنا في الميراث على اختلافهم في التشبيه والقدر والوعيد، يرد كل صنف منهم من أحاديث مخالفيه وخصومه، ما هو أقرب إسناداً، وأصح رجالاً، وأحسن اتصالاً حتى إذا صاروا إلى القول في ميراث النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ نسخوا الكتاب، وخصوا الخبر العام بما لا يداني بعض ما ردوه، وأكذبوا قائليه، وذلك أن كل إنسان منهم إنما يجري إلى هواه، ويصدق ما وافق رضاه، هذا آخر كلام الجاحظ.[٢]

ثم قال المرتضى ﴿رضي الله عنه﴾: فإن قيل: ليس ما عارض به الجاحظ من الاستدلال بترك النكير وقوله: كما لم ينكروا على أبي بكر فلم ينكروا أيضاً على فاطمة عليها السلام ولا على غيرها من الطالبين بالإرث كالأزواج وغيرهنّ، معارضة صحيحة، وذلك أن نكير أبي بكر لذلك، ودفعها والإحتجاج عليها، ويكفيهم ويغنيهم عن تكلف نكير آخر، ولم ينكر على أبي بكر ما رواه منكر، فيستغنوا بإنكاره.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٦/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٨٧/٤

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٧/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٨٩/٤

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٧/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٨٩/٤

قلنا: أول ما يبطل هذا السؤال، أن أبا بكر لم ينكر عليها ما أقامت عليه بعد احتجاجها من التظلّم والتألّم، والتعسّف والتبكيت، وقولها على ما روى والله لأدعونّ الله عليك، ولا كلمتك أبداً، وما جرى هذا المجرى، فقد كان يجب أن ينكره غيره، فمن المنكر الغضب على المنصف، وبعد فإن كان إنكار أبي بكر مقنعاً ومغنياً عن إنكار غيره من المسلمين، فإنكار فاطمة حكمه، ومقامها على التظلّم منه يغني عن نكير غيرها، وهذا واضح .[1]

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٦٧/١٦.

الفصل الثالث

في أن فدك هل صح كونها نحلة

من رسول الله ﷺ لفاطمة أم لا

نذكر في هذا الفصل ما حكاه المرتضى عن قاضي القضاة في المغني، وما أعترض به عليه، ثم نذكر ما عندنا في ذلك.

قال المرتضى حاكياً عن قاضي القضاة: ومما عظمت الشيعة القول فيه أمر فدك.

قالوا: قد روى أبو سعيد الخدري أنه لما نزلت: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ أعطى رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام فدك، ثم فعل عمر بن عبد العزيز مثل ذلك وردّها على ولدها.

قالوا: ولا شك أن أبا بكر أغضبها إن لم يصح كل الذي روي في هذا الباب، وقد كان الأجمل أن يمنعهم التكرّم بما ارتكبوا منها فضلاً عن الدين، ثم ذكروا أنها استشهدت أمير المؤمنين عليه السلام وأمّ أيمن، فلم يقبل شهادتهما، هذا مع تركه أزواج النبي ﷺ في حجرهنّ، ولم يجعلها صدقة، وصدّقهنّ في أن ذلك لهنّ، ولم يصدّقها.

قال: والجواب عن ذلك أن أكثر ما يروون في هذا الباب غير صحيح، ولسنا ننكر صحة ما روي من ادّعائها عليها السلام فدك، فأما أنها كانت في يدها فغير مسلم، بل إن كانت في يدها، لكان الظاهر أنها لها، فإذا كانت في جملة التركة، فالظاهر أنها ميراث، وإذا كان كذلك فغير جائز لأبي بكر قبول

دعواها، لأنه لا خلاف أن العمل على الدعوى لا يجوز، وإنما يعمل على مثل ذلك إذا علمت صحته بمشاهدة أو ما يجري مجراها، وحصلت ببيّنة أو إقرار، ثم ذكر أن البيّنة لا بد منها، وأن أمير المؤمنين عليه السلام لما خاصمه اليهودي حاكمه، وأن أمّ سلمة التي يطبق على فضلها لو ادّعت نخلاً ما قبلت دعواها.[١]

ثم قال: فلو كان أمير المؤمنين عليه السلام هو الوالي، ولم يعلم صحة الدعوى، ما الذي كان يجب أن يعمل، فإن قلتم يقبل الدعوى، فالشرع بخلاف ذلك، وإن قلتم يلتمس البيّنة، فهو الذي فعله أبو بكر.[٢]

ثم قال: وأما قول أبي بكر رجل مع الرجل، وإمرأة مع إمرأة، فهو الذي يوجبه الدين، ولم يثبت أن الشاهد في ذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام بالرواية المنقولة أنه شهد لها مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله مع أُم أيمن.

قال: وليس لأحد أن يقول فلماذا ادّعت ولا بيّنة معها، لأنه لا يمتنع أن يجوز أن يحكم أبو بكر بالشاهد واليمين، أو يجوز عند شهادة من شهد لها أن يتذكّر غيره فيشهد، وهذا هو الواجب على ملتمس الحق، فلا عيب لها في ذلك ولا على أبي بكر في التماس البيّنة، وإن لم يحكم لها لما لم يتم، ولم يكن هناك خصماً، لأن التركة صدقة على ما ذكرنا، فكان لا يمكن أن يعول في ذلك على يمين أو نكول، فلم يكن في الأمر إلاّ ما فعله.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٨/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٩٠/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٩/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٩١/٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦٩/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٩١/٤.

قال: وقد أنكر أبو علي ما قاله السائل من أنها لما ردّت في دعوى النحلة ادّعته إرثاً، وقال: بل طلبت الإرث قبل ذلك، فلما سمعت منه الخبر كفّت، وادّعت النحلة.[١]

قال: فأما فعل عمر بن عبد العزيز فلم يثبت أمر ردّه على سبيل النحلة، بل عمل في ذلك ما عمله عمر بن الخطاب بأن أقرّه في يد أمير المؤمنين عليه السلام ليصرف غلاتها في الموضع الذي كان يجعلها رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، فقام بذلك مدة، ثم ردها إلى عمر في آخر سنته، وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز، ولو ثبت أنه فعل بخلاف ما فعل السلف، لكان هو المحجوج بفعلتهم وقولهم، وأحد ما يقوي ما ذكرناه أن الأمر لما انتهى إلى أمير المؤمنين ترك فدك على ما كان، ولم يجعله ميراثاً لولد فاطمة، وهذا يبيّن أن الشاهد كان غيره، لأنه لو كان هو الشاهد لكان الأقرب أن يحكم بعلمه على أن الناس اختلفوا في الهبة إذا لم يقبض، فعند بعضهم تستحق بالعقد، وعند بعضهم أنها إذا لم تقبض يصير وجودها كعدمها، فلا يمتنع من هذا الوجه أن يمتنع أمير المؤمنين عليه السلام من ردها، وإن صح عنده عقد الهبة، وهذا هو الظاهر، لأن التسليم لو كان وقع لظهر أنه كان في يدها، ولكان ذلك كافياً في الاستحقاق، فأما حجر أزواج النبي صلى الله عليه وآله فإنما تركن في أيديهنّ، لأنها كانت لهنّ، ونصّ الكتاب يشهد بذلك، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، وروي في الأخبار أن النبي

[١] - الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٩٢/٤.

عليه السلام قسم ما كان له من الحجر على نسائه وبناته، ويبين صحة ذلك أنه لو كان ميراثاً أو صدقة لكان أمير المؤمنين عليه السلام لما أفضى الأمر إليه يغيره.

قال: وليس لأحد أن يقول إنما لم يغيّر ذلك، لأن الملك قد صار له، فتبرع به، وذلك لأن الذي يحصل له ليس إلاّ ربع ميراث فاطمة، وهو الثمن من ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد كان يجب أن ينتصف لأولاد العباس ولأولاد فاطمة منهنّ في باب الحجر، ويأخذ هذا الحق منهنّ، فتركه ذلك يدل على صحة ما قلناه، وليس يمكنهم بعد ذلك إلاّ التعلّق بالتقية، وقد سبق الكلام فيها.[1]

قال: ومما يذكرونه أن فاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ لغضبها على أبي بكر وعمر أوصت أن لا يصليّا عليها و أن تدفن سرّاً منهما، فدفنت ليلاً، وهذا كما ادّعوا رواية رووها عن جعفر بن محمد وغيره أن عمر ضرب فاطمة بالسوط، وضرب الزبير بالسيف، وأن عمر قصد منزلها، وفيه علي والزبير والمقداد وجماعة ممن تخلّف عن أبي بكر، وهم مجتمعون هناك، فقال لها: ما أجد بعد أبيك أحب إلينا منك، وأيم الله لو اجتمع هؤلاء النفر عندك لنحرقنّ عليهم، فمنعت القوم من الإجتماع.[2]

قال: ونحن لا نصدق هذه الروايات ولا نجوّزها، وأما أمر الصلاة فقد روي أن أبا بكر هو الذي صلى على فاطمة، وكبّر عليها أربعاً، وهذا أحد ما

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٦٩/١٦، الشافي للسيدالمرتضى ٩٢/٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧١/١٦، الشافي للسيدالمرتضى ١١٠/٤.

استدل به كثير من الفقهاء في التكبير على الميت، ولا يصح أيضاً أنها دفنت ليلاً، ولو صح ذلك، فقد دفن رسول الله ﷺ ليلاً، ودفن عمر إبنه ليلاً، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يدفنون بالنهار ويدفنون بالليل، فما في هذا ما يطعنون به، بل الأقرب في النساء أن دفنهنّ ليلاً أستر وأولى بالسنّة، ثم حكى عن أبي علي تكذيب ما روي من الضرب بالسوط، قال والمروي عن جعفر بن محمد أنه كان يتولاهما، ويأتي القبر ويسلّم عليهما مع تسليمه على رسول الله ﷺ، روى ذلك عبّاد بن صهيب، وشعبة بن الحجاج، ومهدي بن هلال، والدراوردي وغيرهم، وقد روى عن أبيه محمد بن علي بن الحسين مثل ذلك، فكيف يصح ما ادّعوه، وجعل هذه الرواية كروايتهم أن علي بن أبي طالب عليه السلام هو اسرافيل، والحسن ميكائيل، والحسين جبرائيل، وفاطمة ملك الموت، وآمنة أُمّ النبي ليلة القدر، فإن صدقوا في ذلك أيضاً قيل لهم فعمر بن الخطاب كيف يقدر على ضرب ملك الموت، وإن قالوا لا نصدق ذلك فقد جوّزوا هذه الروايات، وصح أنه لا يجوز التعويل على هذا الخبر، وإنما يتعلّق بذلك من غرضه الإلحاد كالوارق وابن الراوندي، لأن غرضهم القدح في الاسلام، وحكى عن أبي علي أنه قال ولِمَ صار غضبها إن ثبت كأنه غضب رسول الله ﷺمن حيث قال فمن أغضبها فقد أغضبني، أولى من أن يقال من أغضب أبا بكر وعمر فقد نافق وفارق الدين، لأنه روى عنه عليه السلام أن حب أبي بكر وعمر إيمان، وبغضها نفاق، ومن يورد مثل هذا فقصده الطعن في الإسلام،

وأن يتوهم الناس أن أصحاب النبي ﷺ نافقوا مع مشهادة الأعلام، ليضعفوا دلالة العلم في النفوس.[١]

قال: فأما حديث الإحراق فلو صح لم يكن طعناً على عمر، لأن له يهدّد من امتنع من المبايعة إرادة للخلاف على المسلمين لكنه غير ثابت، انتهى كلام قاضي القضاة.[٢]

قال المرتضى: نحن نبتديء فندل على أن فاطمة ما ادّعت من نحلة فدك إلاّ ما كانت مصيبة فيه، وإن مانعها ومطالبها بالبيّنة متعنت عادل عن الصواب، لأنها لا تحتاج إلى شهادة وبيّنة، ثم نعطف على ما ذكره على التفصيل، فنتكلم عليه، أما الذي يدل على ما ذكرناه فهو أنها كانت معصومة من الغلط، مأموناً منها فعل القبيح، ومن هذه صفته لا يحتاج فيما يدّعيه إلى شهادة وبيّنة.[٣]

فإن قيل: دللوا على الأمرين.

قلنا: بيان الأول قوله تعالى: ﴿أنمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، والآية تتناول جماعة منهم فاطمة عليها السلام بما تواتر من الأخبار في ذلك، والإرادة هاهنا دالة على وقوع الفعل المراد، وأيضاً فيدل على ذلك قوله عليه السلام فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧١/١٦، الشافي للسيدالمرتضى ١١٠/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧٢/١، الشافي للسيدالمرتضى ١١٢/٤.

[٣] - الشافي للسيدالمرتضى ٩٤/٤.

فقد آذى الله عز وجل، وهذا يدل على عصمتها، لأنها لو كانت ممن يقارف الذنوب لم يكن من يؤذيها مؤذياً له على كل حال، بل كان متى فعل المستحقّ من ذمها أوإقامة الحدّ عليها إن كان الفعل يقتضيه ساراً ومطيعاً على أنا نحتاج أن نبيّنه في هذا الموضع على الدلالة على عصمتها، بل يكفي في هذا الموضع العلم بصدقها فيما ادّعته، وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين، لأن أحد لا يشك أنها لم تدع ما ادّعته كاذبة، وليس بعد أن لا يكون كاذبه إلاّ أن تكون صادقة، وإنما اختلفوا هل يجب مع العلم بصدقها تسليم ما ادّعته بغير بيّنة أم لا يجب، والذي يدل على الفصل الثاني أن البيّنة إنما تراد ليغلب على الظنّ صدق المدّعي، ألا ترى أن العدالة معتبرة في الشهادات لما كانت مؤثّرة في غلبة الظن لما ذكرناه، ولهذا جاز أن يحكم الحاكم بعلمه من غير شهادة، لأن علمه أقوى من الشهادة، ولهذا كان الاقرار أقوى من البينة من حيث كان أغلب في تأثير غلبة الظن، وإذا قدم الاقرار على الشهادة لقوة الظن عنده، فأولى أن يقدم العلم على الجميع، وإذا لم يحتج مع الأقرار إلى شهادة لسقوط حكم الضعيف مع القوي، فلا يحتاج أيضاً مع العلم الى ما يؤثّر الظن من البيّنات والشهادات.

والذي يدل على صحة ما ذكرناه أنه لا خلاف بين أهل النقل في أن أعرابياً نازع النبي ﷺ في ناقة، فقال ﷺ: هذه لي وقد خرجت إليك من ثمنها، فقال الأعرابي من يشهد لك بذلك، فقال خزيمة بن ثابت أنا أشهد بذلك، فقال له النبي ﷺ:من أين علمت وما حضرت ذلك؟ قال: لا ولكن

علمت ذلك من حيث علمت أنك رسول الله ﷺ، فقال: قد أجزت شهادتك وجعلتها شهادتين، فسمّي ذو الشهادتين، وهذه القصة شبيهة لقصة فاطمة عليها السلام، لأن خزيمة اكتفى من العلم بأن الناقة للنبي ﷺ، وشهد بذلك من حيث أنه علم أنه رسول الله ﷺ، ولا يقول إلاّ حقاً، وأمضى النبي ﷺ ذلك من حيث لم يحضر الابتياع وتسليم الثمن، فقد كان يجب على من علم أن فاطمة لا تقول إلاّ حقاً أن لا يستظهر عليها بطلب شهادة أو بيّنة، هذا وقد روى أن أبا بكر لما شهد لها أمير المؤمنين كتب بتسليم فدك إليها، فأعترض عمر قضيته وخرق ما كتبه.[1]

روى إبراهيم بن سعيد الثقفي، عن إبراهيم بن ميمون، قال: حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر وقالت إن أبي أعطاني فدك، وعلي يشهد لي وأُم أيمن، فقال: ما كنت لتقولين على أبيك إلاّ الحق، وقد أعطيتكها، ودعا بصحيفة من أدم فكتب لها فيها، فخرجت فلقيت عمر، فقال: من أين جئت يا فاطمة؟ قالت: جئت من عند أبي بكر، أخبرته أن رسول الله ﷺ أعطاني فدك، وأن علياً وأُمّ أيمن يشهدان لي بذلك، فأعطانيها وكتب لي بها، فأخذ عمر منها الكتاب ورجع إلى أبي بكر، فقال: أعطيت فاطمة فدك

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٢/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٩٥/٤.

وكتبت لها بها؟ قال: نعم، قال: إن علياً يجرّ إلى نفسه، وأُمّ أيمن امرأة، وبصق في الكتاب فمحاه وخرقه.[١]

وروى هذا المعنى من طرق مختلفة، فمن أراد الوقوف عليها واستقصائها أخذها من مواضعها، وليس لهم أن يقولوا أنها أخبار آحاد، لأنها وإن كانت كذلك، فأقلّ أحوالها أن توجب الظن، ويمنع من القطع على خلاف معناها، وليس لهم أن يقولوا كيف يسلّم إليها فدك، وهو يروي أن الرسول ﷺ إنما خلّفه صدقة، وذلك أنه لا تنافي بين الأمرين، لأنه إنما سلمها على ما وردت به الروايةعلى سبيل النحل، فلما وقعت المطالبة بالميراث روى الخبر في معنى الميراث، فلا اختلاف بين الأمرين.

فأما إنكار صاحب الكتاب يكون فدك في يدها، فما رأيناه اعتمد في إنكار ذلك على حجة، بل قال لو كان ذلك في يدها لكان الظاهر أنه لها، والأمر على ما قال، فمن أين أنه لم يخرج عن يدها على وجه يقتضي الظاهر خلافه.[٢]

وقد روى من طرق مختلفة غير طريق أبي سعيد الذي ذكره صاحب الكتاب أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ دعا النبي ﷺ فاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ فأعطاها فدك، وإذا كان مرويّاً فلا معنى لدفعه بغير حجة، وقوله لا خلاف أن العمل على الدعوى لا يجوز صحيح، وقد بيّنا أن

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧٤/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٩٧/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧٤/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٩٨/٤.

قولها كان معلوماً صحته، فأما قوله إنما يعمل على ذلك متى علم صحته بشهادة أو ما يجري مجراها أو حصلت بيّنة أو إقرار، فيقال له إما علمت بمشاهدة فلم يكن هناك، وإما بيّنة فقد كانت على الحقيقة، لأن شهادة أمير المؤمنين عليه السلام من أكبر البيّنات وأعدلها، ولكن على مذهبك لم يكن هناك بيّنة، فمن أين زعمت أنه لم يكن هناك علم، وإن لم يكن عن مشاهدة فقد أدخلت ذلك في جملة الأقسام.

فإن قال: لأن قولها بمجرده لا يكون جهة للعلم.

قيل له: لِمَ قلت ذلك أو ليس قد دللنا على أنها معصومة، وأن الخطأ مأمون عليها، ثم لو لم تكن كذلك لكان قولها في تلك القضية معلوماً صحته على كل حال، لأنها لو لم تكن مصيبة لكانت مبطلة عاصية فيما ادّعته، إذ الشبهة لا تدخل في مثله، وقد اجتمع الأُمة على أنها لم يظهر منها بعد رسول الله معصية بلا شك وارتياب، بل أجمعوا أنها لا تدع إلاّ الصحيح وإن اختلفوا، فمن قائل يقول مانعها مخطأ، وآخر يقول هو أيضاً مصيب لفقد البيّنة، وإن علم صدقها.[1]

أما قوله أنه عليه السلام لو حاكم غيره لطولب بالبيّنة، فقد تقدم في هذا ما يكفي، وقصة خزيمة بن ثابت، وقبول شهادته تبطل هذا الكلام.

وأما قوله أن أمير المؤمنين عليه السلام حاكم يهودياً على الوجه الواجب في سائر الناس، فقد روى ذلك، لأن أمير المؤمنين عليه السلام لم يفعل من ذلك ما كان

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٥/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ٩٨/٤.

يجب عليه أن يفعله، وإنما تبرّع به، واستظهر بإقامة الحجة فيه، وقد أخطأ من طالب ببيّنة كائناً من كان، فأما اعتراضه بأُم سلمة، فلم يثبت من عصمتها ما ثبت من عصمة فاطمة، فلذلك احتاجت في دعواها إلى بينة.[١]

فأما إنكاره وادّعاؤه أنه لم يثبت أن الشاهد في ذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يرد في ذلك على مجرد الإنكار، والأخبار مستفيضة بأنه عليه السلام شهد لها، فدفع ذلك بالزيغ لا يغني شيئاً، وقوله إن الشاهد لها مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله هو المنكر الذي ليس بمعروف.[٢]

وأما قوله إنها جوّزت أن يحكم أبو بكر بالشاهد واليمين، فطريف مع قوله فيما بعد أن التركة صدقة، ولا خصم فيها، فيدخل اليمين في مثلها، أفترى أن فاطمة عليها السلام لم تكن تعلم من الشريعة هذا المقدار الذي نبه صاحب الكتاب عليه، ولو لم تعلمه أما كان أمير المؤمنين عليه السلام يعلمه، وهو أعلم الناس بالشريعة يوافقها عليه، وقوله إنها جوّزت عند شهادة من شهد لها أن يتذكّر غيرهم، فيشهد باطل، لأن مثلها لا تتعرّض للظنّة والتهمة، ويعرض قوله للرد، وقد كان يجب أن يعلم من يشهد لها ممن لا يشهد حتى يكون دعواها على الوجه الذي معه القبول والإمضاء، ومن هو دونها في الرتبة والجلالة والصيانة من أُمناء الناس لا يتعرّض لمثل هذه الخطّة، ويتورّطها للتجويز الذي لا أصل له ولا أمارة عليه، وأما إنكار أبي علي لأن يكون النحلة قبل ادّعاء الميراث

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٦/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١٠٠/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٦/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١٠٠/٤.

وعكسه الأمر فيه، فأول ما فيه أنا لا نعرف له غرضاً صحيحاً في إنكار ذلك، لأن كون أحد الأمرين قبل الآخر لا يصحح له مذهباً، ولا يفسد على مخالفه مذهباً، ثم إن الأمر في أن الكلام في النحلة كان المتقدّم ظاهراً، والروايات كلها واردة، فكيف يجوز أن تبتديء بطلب الميراث فيما تدّعيه بعينه نحلاً، أوليس هذا يوجب أن يكون قد طالبت لجهتها من وجه لا تستحقه منه مع الاختيار، وكيف يجوز ذلك والميراث يشركها فيه غيرها، والنحل تنفرد به، ولا ينقلب مثل ذلك علينا حيث طالبت بالميراث بعد النحل لأنها في الابتداء طالبت بالنحل، وهو الوجه الذي تستحق فدك منه، فلما دفعت عنه طالبت ضرورة بالميراث، لأن للمدفوع عن حقه أن يتوصّل إلى تناوله بكل وجه وسبب، وهذا بخلاف قول أبي علي، لأنه أضاف إليها ادّعاء الحق من وجه لا تستحقّه منه، وهي مختارة.[1]

فأما إنكاره أن يكون عمر بن عبد العزيز ردّ فدك على وجه النحل، وادّعاؤه أنه فعل ذلك ما فعله عمر بن الخطاب من إقرارها في يد أمير المؤمنين عليه السلام ليصرف غلاّتها في وجهها، فأول ما فيه أنا لا نحتج عليه بفعل عمر بن عبد العزيز على أي وجه دقع، لأن فعله ليس بحجة، ولو أردنا الاحتجاج بهذا الجنس من الحجج لذكرنا فعل المأمون فإنه ردّ فدك بعد أن جلس مجلساً مشهوراً حكم فيه بين خصمين أحدهما لفاطمة، والآخر لأبي

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٧٦/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١٠٠/٤.

بكر، وردّها بعد قيام الحجة، ووضوح الأمر، ومع ذلك فإنه قد أنكر من فعل عمر بن عبد العزيز ما هو معروف مشهور، بلا خلاف بين أهل النقل فيه.[١]

وقد روى محمد بن زكريا الغلابي، عن شيوخه، عن أبي المقدام هشام بن زياد مولى آل عمثان، قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز ردّ فدك على ولد فاطمة، وكتب إلى واليه على المدينة أبي بكر عمر بن حزم يأمره بذلك، فكتب إليه إن فاطمة قد ولدت في آل عثمان، وآل فلان وفلان، فعلى من أردّ منهم، فكتب إليه أما بعد: فإني لو كتبت إليك من أن تذبح شاة لكتبت إليّ اجماء أُم قرناء أو كتبت إليك أن تذبح بقرة لسألتني ما لونها، فإذا ورد عليك كتابي هذا، فأقسمها في ولد فاطمة من علي عليه السلام.[٢]

قال أبو المقدام: فنقمت بنو أُميّة على عمر بن عبد العزيز وعاتبوه فيه، وقالوا له هجّنت فعل الشيخين، وخرج إليه عمر بن قيس في جماعة من أهل الكوفة، فلما عاتبوه على فعله قال: إنكم جهلتم وعلمت، ونسيتم وذكرت، إن أبا بكر محمد بن عمر بن حزم حدثني عن أبيه، عن جده، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فاطمة بضعة مني، يسخطني ما يسخطها، ويرضيني ما أرضاها، وإن فدك كانت صافية على عهد أبي بكر وعمر، ثم صار أمرها إلى مروان، فوهبها لعبدالعزيز أبي، فورثتها أنا واخوتي، فسألتهم أن يبيعوني حصّتهم منها، فمن

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٧/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١٠١/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٨/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١٠٢/٤.

بايع وواهب حتى استجمعت لي، فرأيت أن أردّها على ولد فاطمة، قالوا: فإن أبيت إلاّ هذا، فأمسك الأصل وأقسم الغلّة، ففعل.[١]

فأما ما ذكره من ترك أمير المؤمنين عليه السلام فدك لما أفضى الأمر إليه واستدلاله بذلك على أنه لم يكن شاهداً فيها، فالوجه في تركه عليه السلام ردّ فدك هو الوجه في إقراره أحكام القوم، وكفّه عن نقضها وتغييرها، وقد بيّنا ذلك فيما سبق، وذكرنا أنه كان في انتهاء الأمر إليه في بقية من التقية قوية.

فأما استدلاله على أن حجر أزواج النبي صلى الله عليه وآله كانت لهنّ بقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فمن عجيب الاستدلال، لأن هذه الاضافة لا تقتضي الملك، بل العادة جارية فيها أن تستعمل من جهة السكنى، ولهذا يقال هذا بيت فلان ومسكنه، ولا يراد بذلك الملك، وقد قال الله تعالى ﴿لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ ولا شبه في أنه تعالى أراد منازل الرجال التي يسكنون فيها زوجاتهم، ولم يرد بهذه الاضافة الملك.[٢]

فأما ما رواه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قسّم حجره على نسائه وبناته، فمن أين له إذا كان الخبر صحيحاً، أن هذه القسمة على وجه التمليك دون الإسكان والانزال، ولو كان ملكهنّ ذلك لوجب أن يكون ظاهراً مشهورا.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٨/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١٠٣/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٨/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١٠٤/٤.

فأما الوجه في ترك أمير المؤمنين عليه السلام لما صار الأمر في يده منازعة الأزواج في هذه الحجر فهو ما تقدم.[١]

وأما قوله أن أبا بكر هو الذي صلّى على فاطمة وكبّر أربعاً، وأن كثيراً من الفقهاء يستدلّون به في التكبير على الميت، فهو شيء ما سمع إلاّ منه، وإن كان تلقاه من غيره ممن يجري مجراه في العصبية، وإلاّ فالروايات المشهورة وكتب الآثار والسير خالية من ذلك.[٢]

ولم يختلف أهل النقل في أن علياً عليه السلام هو الذي صلّى على فاطمة إلاّ رواية شاذّة وردت بأن العباس رحمه الله صلى عليها.

وروى الواقدي بإسناده، قال: سألت ابن عباس متى دفنتم فاطمة؟ قال: دفناها بليل بعد هدأة، قال: قلت: فمن صلّى عليها؟ قال: علي.[٣]

وروى الطبري، عن الحارث بن أبي أُسامة، عن المدائني، عن أبي زكريا العجلاني، أن فاطمة ﴿رحمها الله﴾ عمل لها نعش قبل وفاتها، فنظرت إليه وقالت: سترتموني ستركم الله، قال أبو جعفر حمد بن جرير: والثبت في ذلك أنها زينب، لأن فاطمة دفنت ليلاً، ولم يحضرها إلاّ علي والعباس والمقداد والزبير.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٩/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١٠٤/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٩/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١٠٤/٤و ١١٣/٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٩/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١١٣/٤.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٠/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١١٤/٤.

وروى القاضي أبو بكر أحمد كامل بإسناده في تاريخه، عن الزهري قال: حدثني عروة بن الزبير، أن عائشة أخبرته أن فاطمة عاشت بعد رسول الله ستّة أشهر، فلما توفّيت دفنها علي ليلاً وصلّى عليها، وذكر في كتابه هذا أن علياً والحسن والحسين ﴿رحمهم الله تعالى﴾ دفنوها ليلاً وغيّبوا قبرها.[1]

وروى سفيان بن عيينة، عن عمر بن عبيد، عن الحسن بن محمد بن الحنفية، أن فاطمة دفنت ليلاً.[2]

وروى عبد الله بن أبي شبة، عن يحيى بن سعيد القطّان، عن معمّر الزهري مثل ذلك.[3]

وقال البلاذري في تاريخه: إن فاطمة لم تر مبتسمة بعد وفاة النبي ﷺ، ولم يعلم أبو بكر وعمر بموتها.[4]

فأما قوله ولا يصح أنها دفنت ليلاً، وإن صح فقد دفن فلان وفلان ليلاً، فقد بيّنا أن دفنها ليلاً في الصحة أظهر من الشمس، وأن منكر ذلك كالدافع للمشاهدات، ولم يجعل دفنها ليلاً بمجرّده وهو الحجة، لقال فقد دفن فلان وفلان ليلاً، بل يقع الاحتجاج بذلك على ما وردت به الروايات المستفيضة الظاهرة التي هي كالتواتر أنها أوصت بأن تدفن ليلاً حتى لا يصلّي الرجلان عليها، وصرّحت بذلك، وعهدت فيه عهداً بعد أن كانا استأذنا عليها

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٠/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١١٤/٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٠/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١١٤/٤.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٠/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١١٤/٤.

[4] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٠/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١١٤/٤.

في مرضها ليعوداها، فأبت أن تأذن لهما، فلما طالت عليهما المدافعة رغبا في أمير المؤمنين في أن يستأذن لهما، وجعلاها حاجة إليه، فكلمها عليه السلام في ذلك وألحّ عليها، فأذنت لهما في الدخول، ثم أعرضت عنهما عند دخولهما، ولم تكلمهما، فلما خرجا قالت لأمير المؤمنين هل صنعت ما أردت؟ قال: نعم، قالت: فهل أنت صانع ما آمرك به؟ قال: نعم، قالت: فإني أنشدك الله أن لا يصلّيا على جنازتي، ولا يقوما على قبري.[١]

وروي أنه عليه السلام عفى قبرها، وعلّم عليه، ورشّ أربعين قبراً في البقيع، فلم يرش قبرها حتى لا يهتدي إليه، وأنهما عاتباه على ترك اعلامهما شأنهما واحضارهما الصلاة عليها، فمن هاهنا احتججنا بالدفن ليلاً، ولو كان ليس غير الدفن بالليل من غير ما تقدم عليه وما تأخّر عنه، فلم يكن فيه حجة.[٢]

فأما حكايته عن أبي علي إنكار ضرب الرجل لها قوله أن جعفر بن محمد وأباه وجده كانوا يتولّونهما، فكيف لا ينكر أبو علي ذلك واعتقاده فيهما اعتقاده، وقد كنّا نظن أن مخالفينا يقنعون أن ينسبوا إلى أئمّتنا الكفّ عن القوم والإمساك، وما ظننا أنهم يحملون أنفسهم على أن ينسبوا إليهم الثناء والولاء، وقد علم كل أحد أن أصحاب هؤلاء السادة المختصّين بهم قد رووا ضدّ ما يروي شعبة بن الحجاج، وفلان وفلان، نحو قولهم هما أول من ظلمانا حقّنا، وحمل الناس على رقابنا، وقولهم أنهما أصفيا بإنائنا، واضطجعا بسبيلنا،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨١/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١١٤/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨١/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١١٥/٤.

وجلسا مجلساً نحن أحق به منهما، إلى غير ذلك من فنون التظلّم والشكاية، وهو طويل متسع، ومن أراد استقصاء ذلك فلينظر في كتاب المعرفة لأبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الثقفي، فإنه ذكر عن رجل من أهل البيت بالأسانيد النيّرة ما لا زيادة عليه، ثم لو صح ما ذكره شعبة لجاز أن يحمل على التقية.

فأما ذكره اسرافيل وميكائيل، فما كنّا نظن أن مثله يذكر ذلك، وهذا من قول الغلاة الذين ضلّوا في أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت، وليسوا من الشيعة ولا من المسلمين، فأي عتب علينا فيما يقولونه، ثم أن جماعة من مخالفينا قد غلوا في أبي بكر وعمر، ورووا روايات مختلفة فيهما تجري مجرى ما ذكره من الشناعة، ولا يلزم العقلاء وذوي الألباب من المخالفين عتب في ذلك.[١]

وأما معارضة ما روى في فاطمة بما روي فيه أن حبّهما إيمان، وبغضهما نفاق، فالخبر الذي رويناه مجمع عليه، والخبر الآخر مطعون فيه، فكيف يعارض ذلك بهذا.[٢]

وأما قوله إنما قصد من يورد هذه الأخبار تضعيف دلالة الأعلام في النفوس من حيث أضاف النفاق إلى من شاهدها، فشنيع في غير موضعه، واستناد الى ما لا يجدي نفعاً، لأن نفاق من شاهد الأعلام لا يضعفها ويوهن دليلها، ولا يقدح في كونها حجة، لأن الأعلام ليست ملجئة إلى العلم، ولا

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨١/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١١٥/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٢/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١١٨/٤.

موجبة لحصوله على كل حال، وإنما يثمر العلم لمن أمعن النظر فيها من الوجه الذي تدلّ منه، فمن عدله عن ذلك لسوء اختياره لا يكون عدوله مؤثّراً في دلالتها، فكم قد عدل من ذلك العقلاء، وذوي الأحلام الراجحة، والألباب الصحيحة عن تأمّل هذه الأعلام، وإصابة الحقّ منها، ولم يكن ذلك عندنا وعند صاحب الكتاب قادحاً في دلالة الأعلام، على أن هذا القول يوجب عليه أن ينفي الشك والنفاق عن كل من صحب النبي صلى الله عليه وآله وعاصره، وشاهد الأعلام، كأبي سفيان وابنه، وعمرو بن العاص، وفلان وفلان، ممن قد اشتهر نفاقهم، وظهر شكهم في الدين وارتيابهم باتّفاق بيننا وبينهم، وإن كانت إضافة النفاق إلى هؤلاء لا يقدح في دلالة الأعلام، فكذلك القول في غيرهم.[1]

فأما قوله أن حديث الإحراق لم يصح، ولو صح لساغ لعمر مثل ذلك، فكيف يسوغ إحراق بيت علي وفاطمة، وهل من ذلك عذر يصغى إليه أو يسمع، وإنما يكون علي وأصحابه خارقين للإجماع ومخالفين للمسلمين لو كان الإجماع قد تقرّر وثبت، وليس بمتقرّر ولا ثابت مع خلاف علي عليه السلام وحده، فضلاً عن أن يوافقه على ذلك غيره، وبعد فلا فرق بين أن يهدّد بالإحراق لهذه العلّة، وبين أن يضرب فاطمة لمثلها، فإن إحراق المنازل أعظم من ضرب سوط أو سوطين، فلا وجه لإمتعاض المخالف من حديث الضرب إذا كان عنده مثل هذا الاعتذار.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٢/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١١٨/٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٣/١٦، الشافي في الإمامة للسيدالمرتضى ١١٩/٤.

قلت: أما الكلام في عصمة فاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ فهو بفن الكلام أشبه، وللقول فيه موضع غير هذا، وأما قول المرتضى إذا كانت صادقة لم يبق حاجة إلى من يشهد لها.

فلقائل أن يقول: لِمَ قلت ذلك، ولِمَ زعمت أن الحاجة إلى البيّنة إنما كانت لزيادة غلبة الظن، ولِمَ لا يجوز أن يكون الله تعالى تعبّد بالبيّنة لمصلحة يعلمها، وإن كان المدّعي لا يكذب، أليس قد تعبّد الله بالعدّة في العجوز التي قد آيست من الحمل، وإن كان أصل وضعها لإستبراء الرحم.[١]

فأما قصة خزيمة بن ثابت فيجوز أن يكون الله تعالى قد علم أن مصلحة المكلفين في تلك الصورة أن يكتفي بدعوى النبي ﷺ وحدها، ويستغني فيها عن الشهادة، ولا يمتنع أن يكون غير تلك الصورة مخالفاً لها، وإن كان المدّعي لا يكذب، ويبيّن ذلك أن مذهب المرتضى جواز ظهور خوارق العادات على أيدي الأئمّة والصالحين، فلو قدرنا أن واحداً من أهل الصلاح والخير ادّعى دعوى، وقال بحضرة جماعة من الناس من جملتهم القاضي اللهمّ إن كنت صادقاً فأظهر عليّ معجزة خارقة للعادة، فظهرت عليه، لعلمنا أنه صادق، ومع ذلك لا تقبل دعواه إلاّ ببيّنة.[٢]

وسألت علي بن الفارقي الشافعي مدرّس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلِمَ لم يدفع إليها أبو بكر فدك،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٣/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٤/١٦.

وهي عنده صادقة؟ فتبسّم، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته، وقلّة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فدك بمجرّد دعواها لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والمدافعة بشيء، لأنه يكون قد أسجل على نفسه بأنها صادقة فيما تدّعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيته ولا شهود، وهذا كلام صحيح، وإن كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل.[١]

أقول: كلام ابن أبي الحديد في المقام عجيب، لأن فاطمة عليها السلام ساوت رسول الله صلى الله عليه وآله في العصمة التي شهد الله سبحانه وتعالى بها لهم في قوله تعالى: ﴿إنما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ومن شهد الله تعالى له بالصدق والتطهير من الأرجاس والآثام، كيف يطلب عليه بيّنة، أكانت البيّنة من رجلين أصدق من الله سبحانه وتعالى، إن هذا الاّ ضلال مبين، ولهذه العلّة لم يكن على رسول الله صلى الله عليه وآله فيما ادّعاه من حديث الأعرابي والثانية بيّنة، ولهذا عليه السلام صدّق خزيمة بن ثابت، وجعل شهادته شهادتين، لأن خزيمة صدّق من صدّقه الله تعالى.

وأما ضربه المثل فعجيب أيضاً، وكيف يطلب البيّنة على من صدّقه الله تعالى بظهور المعجز الخارق للعادة لتصديق دعواه، لأن من صدّقه الله تعالى فهو صادق، ولا يحتاج إلى بيّنة، ولو جاز لزم ذلك، وجرى في النبي صلى الله عليه وآله إذا أظهر المعجز على يده حال دعواه النبوّة في تصديقه في دعواه النبوّة، بل كان

---

[١] ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦/٢٨٤.

يطلب عليه البيّنة عقيب دعواه، وظهور المعجز على يده، وهذا لا يقول به أحد من المسلمين.

وقضية النبي ﷺ والأعرابي هي كيفية دعوى المعصوم ومن صدّق الله تعالى كالنبي ﷺ، لأن معلوم الصدق لا يطلب عليه بيّنة، لأن العلم مقدّم على الظنّ الحاصل من البيّنة.

وأما ما نقله عن هذا الشافعي وتصحيحه قوله، فهو كلام لا ينافي ما ذكرناه، بل هو في الحقيقة موافق لنا عند التحقيق، لأنه لم يقل يجب عليها قيام البيّنة، بل كان من كلامه خوف أبي بكر في اعطائها أن تأتيه بعد ذلك في دعوى الخلافة لزوجها وعلى أبي بكر في ذلك تصديقها كما صدّقها أولاً، وأبو بكر منعها لذلك.

[قال:] فأما قول قاضي القضاة لو كانت في يدها لكان الظاهر أنها لها، واعتراض المرتضى عليه بقوله: إنه لم يعتمد في انكار ذلك على حجة، بل قال: لو كانت في يدها لكان الظاهر أنها لها، والأمر على ما قال، فمن أين أنها لم تخرج من يدها على وجه، كما أن الظاهر يقتضي خلافه، فإنه لم يجب عما ذكره قاضي القضاة، لأن معنى قوله: لو كانت في يدها، أي متصرفة فيها، لكانت اليد حجة في الملكية، لأن اليد والتصرّف حجة لا محالة، فلو كانت في يدها تتصرّف فيها وفي ارتفاقها كما تتصرف الناس في ضياعهم وأملاكهم، لما احتاجت إلى الاحتجاج بآية الميراث، ولا بدعوى النحل، لأن اليد حجة، فهلاّ قالت لأبي بكر هذه الأرض في يدي، فلا يجوز انتزاعها مني

إلاّ بحجة، فحينئذ كان يسقط احتجاج أبي بكر بقوله نحن معاشر الأنبياء لا نورث، لأنها ما تكون قد ادّعتها ميراثاً ليحتجّ عليها بالخبر، وخبر أبي سعيد في قوله فاعطاها فدك، يدل على الهبة لا على القبض والتصرف، ولأنه يقال: اعطاني فلانكذا فلم اقبضه، ولو كان الاعطاء هو القبض والتصرف، لكان هذا الكلام متناقضاً.

فأما تعجب المرتضى رحمه الله من قول أبي علي على أن دعوى الارث كانت متقدّمة على دعوى النحل، وقوله إنا لا نعرف له غرضاً في ذلك، لأنه لا يصح له بذلك مذهب ولا يبطل على مخالفه مذهب، فإن المرتضى رحمه الله لم يقف على مراد الشيخ أبي علي رحمه الله في ذلك، وهذا شيء يرجع إلى أُصول الفقه، فإن أصحابنا استدلّوا على جواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد بإجماع الصحابة، لأنهم أجمعوا على تخصيص قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمْ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ﴾ برواية أبي بكر عن النبي، أنه قال لا نورث ما تركناه صدقة، قالوا: والصحيح في الخبر أن فاطمة عليها السلام طالبت بعد ذلك بالنحلة لا بالميراث، فلهذا قال الشيخ أبو علي إن دعوى الميراث تقدّمت على دعوى النحل، وذلك لأنه قد ثبت أن فاطمة عليها السلام انصرفت عن ذلك المجلس غير راضية، ولا موافقة لأبي بكر، فلو كانت دعوى الارث متأخرة وانصرفت عن سخط لم يثبت الإجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد، أما اذا كانت دعوى الارث متقدمة، فلما روى لها الخبر أمسكت وانتقلت إلى النزاع من جهة أُخرى، فإنه يصح حينئذ الاستدلال بالإجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد، فأما أنا

فالأخبار عندي متعارضة، يدل بعضها على أن دعوى الارث متأخّرة، ويدل بعضها على أنها متقدّمة، وأنا في هذا الموضع متوقّف، وما ذكره المرتضى رحمه الله تعالى من أن الحال يقتضي أن يكون البداية بدعوى النحل صحيح، وأما إخفاء القبر وكتمان الموت وعدم الصلاة عليها، فكل ما ذكره المرتضى فيه هو الذي يظهر، ويقوى عندي، لأن الروايات به أكثر وأصحّ من غيرها، وكذلك القول في موجدتها وغضبها، فأما المنقول عن رجال أهل البيت، فإنه يختلف، فتارة وتارة، وعلى كل حال فميل أهل البيت إلى ما فيه نصرة أبيهم وبيتهم، وقد أخلّ قاضي القضاة بلفظة حكاها عن الشيعة وهي لفظة جيّدة قال: قد كان الأجمل أن يمنعهم التكرّم ممّا ارتكبوا منها، فضلاً عن الدين، وهذا الكلام لا جواب له عنه، ولقد كان التكرّم ورعاية حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وحفظ عهده يقتضي أن يعوّض لبنته بشيء يرضيها، إن لم يستنزل المسلمون عن فدك، فيسلّم إليها تطييباً لقلبها، وقد يسوغ للإمام أن يفعل ذلك من غير مشاورة المسلمين، إذا رأى المصلحة فيه، وقد بعد العهد الآن بيننا وبينهم، ولا نعلم حقيقة ما كان، وإلى الله ترجع الأُمور.[1]

أقول: قد ذكر ابن أبي الحديد في قول أمير المؤمنين عليه السلام ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن.

قال في الشرح لهذا الكلام: هذا مثل قول أصحاب أُصول الفقه لا يجوز نسخ القرآن والسنّة المتواترة بخبر الواحد، لأن المظنون لا يرفع

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٨٤/١٦.

المعلوم، ولفظة الثقة هاهنا مرادفة للفظة، فكأنه قال لا يجوز أن يزال ما علم بطريق قطعية لأمر ظنّي.

فإن قلت: أليس البراءة الأصلية معلومة بالعقل، ومع ذلك ترفع بالأمارات الظنّية كأخبار الآحاد.

قلت: ليس البراءة الأصلية معلومة بالعقل مطلقاً، بل مشروطة بعدم ما يرفعها من طريق علمي أو ظنّي، ألا ترى أن أكل الفاكهة، وشرب الماء معلوم بالعقل حسنه، ولكن مطلقاً بشرط انتفاء ما يقتضي قبحه، فإنا لو أخبرنا إنسان أن هذه الفاكهة مسمومة لقبح منّا الإقدام على تناولها، وإن كان قول ذلك المخبر الواحد لا يفيد العلم القطعي.[1]

قلت: هذا الكلام منه يقتضي أن الخبر الواحد لا يخصّص القرآن، وهو قد صرّح في هذا الفصل بجوازه، بل هو عندهم من أقوى الحجج، فبهذا تبيّن فساد ما قدّمه من أن الخبر الواحد يخصّص القرآن.

فالخبر الذي ذكره أبو بكر احتجاجاً على فاطمة عليها السلام نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، لا يخصّص به القرآن من قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمْ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ﴾، الآية.

قال أيضاً: في حديث أبي العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنها بقيت بمكة مع أبي العاص، فلما سارت قريش إلى بدر سار أبو العاص معهم، فأُصيب في الأسرى يوم بدر، فأُتي به النبي صلى الله عليه وآله فكان عنده مع

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٢/١٩.

الأسارى، فلما بعث أهل مكة في فداء أُسراهم بعثت زينب في فداء أبي العاص بعلها بمال، فكان فيما بعثت به قلادة كانت خديجة أُمّها أدخلتها بها على أبي العاص ليلة زفافها عليه، فلما رآها رسول الله ﷺ رقّ لها رقّة شديدة وقال للمسلمين: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردّوا عليها ما بعثت به من الفداء فأفعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله، نفديك بأنفسنا وأموالنا، فردوا عليها ما بعثت به، وأطلقوا لها أبا العاص بغير فداء.[1]

قلت: قرأت على النقيب أبي جعفر يحيى بن أبي زيد البصري العلوي رحمه الله هذا الخبر، فقال: أترى أبا بكر وعمر لم يشهدا هذا المشهد، أما كان يقتضي التكرّم والإحسان أن يطيب قلب فاطمة بفدك، ويستوهب لها من المسلمين، أتقصر منزلتها عند رسول الله ﷺ عن منزلة زينب أُختها، وهي سيدة نساء العالمين، هذا إذا لم يثبت لها حق لا بالنحلة ولا بالارث.

فقلت له: فدك بموجب الخبر الذي رواه أبو بكر قد صار حقاً من حقوق المسلمين، فلم يجز له أن يأخذه منهم، فقال: وفداء أبي العاص بن الربيع قد صار حقاً من حقوق المسلمين، وقد أخذه رسول الله ﷺ منهم.

فقلت: رسول الله ﷺ صاحب الشريعة، والحكم حكمه، وليس أبو بكر كذلك، فقال: ما قلت هلاّ أخذه أبو بكر من المسلمين قهراً فدفعه إلى فاطمة، وإنما قلت هلاّ استنزل المسلمين عنه، واستوهبه منهم لها، كما استوهب رسول الله ﷺ المسلمين فداء أبي العاص، أتراه لو قال هذه بنت نبيّكم قد

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤/١٩٠.

حضرت تطلب هذه النحلات، أفتطيبون عنها نفساً، أكان منعوها ذلك.

فقلت له: قد قال قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبّار بن أحمد نحو هذا، قال: إنهما لم يأتيا بحسن في شرع التكرّم، وإن كان ما أتياه حسناً في الدين.[١]

قال محمد بن إسحاق: فحدثت عن زينب أنها قالت: بينا أنا أتجهّز للحوق بأبي، لقيتني هند بنت عتبة، فقالت: ألم يبلغني يا بنت محمد أنك تريدين اللحوق بأبيك؟ فقلت: ما أردت ذلك، فقالت: أي بنت عم لا تفعلي، إن كانت لك حاجة في متاع أو فيما يرفق بك في سفرك أو مال تبلغين به إلى أبيك، فإن عندي حاجتك، فلا تقنطي مني، فإنه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال، قالت: وأيم الله إني لأظنّها حينئذ صادقة، وما أظنّها قالت حينئذ إلاّ لتفعل، ولكن خفتها، فأنكرت أن أكون أريد ذلك، وتجهّزت حتى فرغت من جهازي، فحملني أبو يعلى، وهو كنانة بن الربيع.[٢]

وقال: قال محمد بن إسحاق: قدّم لهاكنانة بن الربيع بعيراً، فركبته وأخذ قوسه وكنانته وخرج بها نهاراً يقود بعيرها، وهي في هودج لها، وتحدّثت بذلك الرجال من قريش والنساء، وتلاومت في ذلك، وأشفقت أن تخرج ابنة محمد من بينهم على تلك الحال، فخرجوا في طلبها سراعاً حتى أدركوها بذي طوى، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّى بن قصي، ونافع بن عبد قيس الفهري، فروّعها هبار بالرمح

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٠/١٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٢/١٤.

وفي الهودج، وكانت حاملاً، فلما رجعت طرحت ذا بطنها، وقد كانت من خوفها رأت دماً، وهي في الهودج، فلذلك أباح رسول الله ﷺ يوم فتح مكة دم هبار بن الأسود.

قلت: وهذا الخبر ايضاً قرأته على النقيب أبي جعفر رحمه الله، فقال: اذا كان رسول الله ﷺ اباح دم هبار بن الاسود، لأنه روّع زينب فألقت ذا بطنها، فظاهر الحال أنه لو كان حيّاً لأباح دم من روّع فاطمة حتى ألقت ذا بطنها، فقلت له: أروي عنك ما قاله قوم أن فاطمة روّعت فألقت المحسن؟ فقال: لا ترو عنّي، ولا ترو عنّي بطلانه، فإني متوقّف في هذا الموضع لتعارض الأخبار عندي فيه.[1]

وقال: وسألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أحمد بن زيد العلوي رحمه الله فقلت له: إني لأعجب من علي عليه السلام بقى تلك المدة الطويلة بعد رسول الله ﷺ، وكيف ما اغتيل وفتك به في جوف منزله مع تلظّي الأكباد عليه، فقال: لولا أنه أرغم أنفه بالتراب، ووضع خدّه في حضيض الأرض لقتل، ولكنه أخمل نفسه، وأشتغل بالعبادة والصلاة، والنظر في القرآن، وخرج عن ذلك الزي الأول، وذلك الشعار، ونسي السيف، وصار كالفاتك يثوب ويصير سائحاً في الأرض، أو راهباً في الجبال، ولما اطّلع القوم الذين تولوا الأمر وصار أذلّ لهم من الحذاء، تركوه وسكتوا عنه، ولم تكن العرب لتقدم عليه إلاّ بمواطاة

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤/١٩٢.

من متولي الأمر، وباطن في السر منه، فلما لم يكن لولاة الأمر باعث، وداع إلى قتله، وقع الإمساك عنه، لولا ذلك لقتل، ثم الأجل بعد معقل حصين.

فقلت له: أحق ما يقال في حديث خالد؟ فقال: إن قوماً من العلوية يذكرون ذلك.[1]

وقد روي أن رجلا جاء إلى زفر بن الهذيل صاحب أبي حنيفة رحمه الله فسأله عما يقول أبو حنيفة في جواز الخروج من الصلاة بأمر غير التسليم، نحو الكلام، والفعل الكثير، والحدث، فقال الرجل: إنه جائز، قد قال أبو بكر رحمه الله في تشهّده ما قال، فقال الرجل: وما الذي قال أبو بكر؟ قال: لا عليك، فأعاد عليه السؤال ثانية وثالثة، فقال: أخرجوه، قد كنت أحدث أنه من أصحاب أبي الخطاب.

قلت له: فما الذي تقول أنت؟ قال: أستبعد ذلك، وإن روته الإمامية، ثم قال: أما خالد فلا أستبعد منه الإقدام عليه لشجاعته في نفسه، ولبغضه إيّاه، ولكنّي أستبعد من أبي بكر، فإنه كان ذا ورع، ولم يكن ليجمع بين أخذ الخلافة، ومنع فدك، وإغضاب فاطمة، وقتل علي، حاش الله من ذلك.

فقلت له: أكان خالد يقدر على قتله؟ قال: نعم، ولم لا يقدر على ذلك والسيف في عنقه، وعلي أعزل غافل عمّا يراد به، فقد قتله ابن ملجم غيلة، وخالد أشجع من ابن ملجم.

فسألته عمّا ترويه الإمامية كيف ذلك ألفاظه، فضحك، وقال:

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠١/١٣.

كم عالم بالشيء وهو يسائل

ثم قال: دعنا من هذا، ما الذي تحفظ في هذا المعنى؟ قلت: قول أبي الطيب:

نحن أدرى وقد سألنا بنجد أطويل طريقنا أم يطول

وكثير من السؤال اشتياق وكثير من ردّه تعليل

فأستحسن ذلك، وقال لمن عجز البيت الذي استشهدت به؟ قلت: لمحمد بن هانيء المعتزلي وأوله:

في كل يوم أستزيد تجارباً كم عالم بالشيء وهو يسائل

فبارك عليّ مراراً، ثم قال: نترك الآن هذا، ونتمم ما كنّا فيه، وكنت أقرأ عليه في ذلك الوقت جمهرة النسب لإبن الكلبي، فعدنا إلى القراءة، وعدلنا عن الخوض عما كان اعترض الحديث فيه.[١]

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٠١/١٣.

الباب
الثامن والخمسون
في فضل الحسن بن علي عليه السلام
وما يتأتى إلى ذلك من أحواله ومولده ووفاته عليه السلام

قال عليه السلام عند انصرافه من صفين: من الوالد الفاني، المقرّ للزمان، المدبر العمر، المستسلم للدهر، الذامّ للدنيا، الساكن مساكن الموتى، الظاعن عنها غداً، إلى المولود المؤمّل ما لا يدرك، السالك سبيل من قد هلك، عرض الأسقام، ورهينة الأيام، ورمية المصائب، وعبد الدنيا، وتاجر الغرور، وغريم المنايا، وأسير الموتى، وحليف الهموم، وقرين الأحزان، ونصب الآفات، وصريع الشهوات، وخليفة الأموات.[1]

قال في الشرح: هذا الكلام من أمير المؤمنين عليه السلام كلام من أيقن بالفراق، ولا ريب في ظهور الاستكانة والخضوع عليه، ويدل أيضاً على كرب وضيق وطعن، لأنه لم يبلغ اربه من حرب أهل البغي، وانعكس ما قدره بتخاذل أصحابه عنه، ونفوذ حكم عمرو بن العاص فيه، لحمق أبي موسى وغباوته وانحرافه أيضاً، قوله إلى المولود، هذه اللفظة بإزاء الولد، قوله المؤمّل ما لا

[1] - نهج البلاغة ٣٧/٣.

يدرك، لو قال قائل إنه كنّى بذلك عن أنه لا ينال الخلافة بعد موتي، وإن كان مؤمّلاً لها، لم يبعد، ويكون ذلك إخباراً عن غيب، ولكن الأظهر أنه لم يرد ذلك، وإنما أراد جنس البشر، لا خصوص الحسن ﴿رضي الله عنه﴾، وكذلك سائر الأوصاف التي تلي هذه اللفظة، لا تخصّ الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ بعينه، بل هي وإن كانت له في الظاهر فإنها للناس كلهم في الحقيقة، ألا ترى إلى قوله بعدها السالك سبيل من قد هلك، فإنه كل واحد من الناس يؤمّل أُموراً لا يدركها، وكل واحد من الناس سالك سبيل من قد هلك قبله.[1]

وقال: قال الزبير بن بكّار في كتاب أنساب قريش: ولد الحسن بن علي ﴿رضي الله عنهما﴾ للنصف من شهر رمضان، سنة ثلاث من الهجرة، وسمّاه رسول الله ﷺ حسناً، وتوفى لليال خلون من شهر ربيع الأول، سنة خمسين.

قال: والمروي أن رسول الله ﷺ سمّى حسناً وحسيناً يوم سابعهما، واشتق اسم حسين من اسم حسن.[2]

قال الزبير: وروت زينب بنت أبي رافع، قالت: أتت فاطمة عليها السلام بابنيها إلى رسول الله ﷺ في شكواه الذي توفى فيه، فقالت: يا رسول الله، هذان ابناك فورثهما شيئاً، فقال: أما حسن فإن له هيبتي وسؤددي، وأما حسين فإن له جرأتي وجودي.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٣/١٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩/١٦.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩/١٦.

وروى محمد بن حبيب في أماليه أن الحسن عليه السلام حجّ خمسة عشر حجة ماشياً تقاد النجائب معه، وخرج من ماله مرتين، وقاسم الله عز وجل ثلاث مرّات ماله حتى أنه كان يعطي نعلاً، ويمسك نعلاً، ويعطي خفاً، ويمسك خفاً.[١]

وروى أبو جعفر محمد بن حبيب أيضاً أن الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ أعطى شاعراً، فقال له رجل من جلسائه: سبحان الله شاعراً يعصي الرحمن ويقول البهتان، فقال: يا عبد الله، إن خير ما بذلت من مالك، ما وقيت به عرضك، وإن من ابتغاء الخير اتّقاء الشرّ.[٢]

وروى أبو جعفر قال: قال ابن عباس ﴿رضي الله عنه﴾: أول ذلّ دخل على العرب موت الحسن ﴿رضي الله عنه﴾.[٣]

وروى أبو الحسن المدائني قال: سقي الحسن السم أربع مرات، فقال: لقد سقيته مراراً، فما شقّ عليّ مثل مشقته هذه المرة، فقال له الحسين ﴿رضي الله عنه﴾: أخبرني من سقاك؟ قال: لتقتله؟ قال: نعم، قال: ما أنا بمخبرك، إن يكون صاحبي الذي أظنّ فالله أشدّ نقمة، وإلاّ فما أحب أن يقتل بي بريء.[٤]

وروى أبو الحسن قال: قال معاوية لابن عباس ولقيه بمكة: يا عجباً من وفاة الحسن شرب غيلته بماء رومة، فقضى نحبه، فوجم ابن عباس، فقال

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠/١٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠/١٦.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠/١٦.

معاوية: لا يحزنك ولا يسوءك، فقال: لا تسؤوني ما أبقاك الله، فأمر له بمائة الف درهم.[١]

وروى أبو الحسن قال: أول من نعى الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ بالبصرة عبد الله بن سلمة نعاه لزياد، فخرج الحكم بن العاص الثقفي فنعاه، فبكى الناس وأبو بكرة يومئذ مريض، فسمع الضجّة، فقال: ما هذا؟ فقالت امرأته ميسة بنت سجام الثقفية: مات الحسن بن علي، فالحمد لله الذي أراح الناس منه، فقال: اسكتي ويحك، فقد أراحه الله من شر كثير، وفقد الناس بموته خيراً كثيراً، رحم الله حسناً.[٢]

قال أبو الحسن المدائني: وكانت وفاته في سنة تسع وأربعين، وكان مرضه أربعين يوماً، وكان سنّة سبعاً وأربعين سنة، دس إليه معاوية سماً على يد جعدة بنت الأشعث بن قيس زوجة الحسن، وقال لها: إن قتلتيه بالسم فلك مائة الف، وأُزوّجك يزيد ابني، فلما مات الحسن وفى لها بالمال، ولم يزوّجها من يزيد، وقال: أخشى أن تصنع بإبني كما صنعت بإبن رسول الله ﷺ.[٣]

وروى أبو جعفر محمد بن حبيب بن المسيب بن نجبة، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أنا أُحدّثكم عني وعن أهل بيتي، أما عبد الله ابن أخي فهو صاحب لهو وسماح، وأما الحسن صاحب جفنة وخوان، فتى من

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١/١٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١/١٦.

فتيان قريش، ولو التقت حلقتا البطان لم يغن عنكم شيئاً في الحرب، وأما أنا وحسين فنحن منكم وأنتم منا.[١]

قال أبو جعفر: وروى ابن عباس قال: دخل الحسن بن علي ﴿رضي الله عنه﴾ على معاوية بعد عام الجماعة وهو جالس في مجلس ضيّق، فجلس عند رجليه، فتحدّث معاوية بما شاء أن يتحدّث، ثم قال: عجباً لعائشة تزعم أني في غير ما أنا أهله، وإن الذي أصبحت فيه ليس بحق، ما لها ولهذا، يغفر الله لها، إنما كان ينازعني في هذا الأمر أبو هذا الجالس، وقد استأثر الله به، فقال الحسن: أوعجب ذلك يا معاوية؟ قال: إي والله، قال: أفلا أُخبرك بما هو أعجب من هذا، قال: ما هو؟ قال: جلوسك في صدر المجلس، وأنا عند رجليك، فضحك معاوية، وقال: ابن أخي بلغني أن عليك دَيناً، قال: إن لعلي دَيناً، قال: كم هو؟ قال: مائة الف، فقال: قد أمرنا لك بثلاثمائة الف، مائة منها لدَينك، ومائة منها تقسّمها في أهل بيتك، ومائة لخاصة نفسك، فقم مكرماً واقبض صلتك، فلما خرج الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ قال يزيد بن معاوية لأبيه: تالله ما رأيت رجلاً أستقبلك بما استقبلك به، ثم أمرت له بثلاثمائة الف، قال: يا بني الحق حقهم، فمن أتاك منهم فأحث له.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢/١٦.

وروى أبو جعفر محمد بن المسيب قال: قال علي ﴿رضي الله عنه﴾: لقد تزوّج الحسن وطلّق حتى خفت أن يثير عداوة.[١]

قال أبو جعفر: وكان الحسن عليه السلام إذا أراد أن يطلّق امرأة جلس إليها فقال: أيسرّك أن أهب لك كذا وكذا، فتقول: ما شئت أو نعم، فيقول: هو لك، فإذا قام أرسل إليها بالطلاق، وبما سمّى لها.[٢]

وروى أبو الحسن المدائني قال: تزوّج الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ هند بنت سهيل بن عمرو، وكانت عند عبدالله بن عامر كريز، وطلّقها فكتب معاوية إلى أبي هريرة أن يخطبها إلى يزيد بن معاوية، قال: الحسن فأذكرني لها، فأتاها أبو هريرة فأخبرها الخبر، فقالت: اختر لي، فقال: أختار لك الحسن فتزوّجته، فقدم عبد الله بن عامر المدينة، فقال للحسن: أن لي عند هند وديعة، فدخل عليها والحسن معه، فخرجت حتى جلست بين يدي عبد الله بن عامر فرق لها رقة عظيمة، فقال الحسن: ألا أنزل لك عنها، فلا أراك تجد محلّلاً لها خيراً لكما مني، فقال: لا، ثم قال: وديعتي فأخرجت سفطين فيهما جوهر فتحهما، فأخذ من أحدهما قبضة، وترك الباقي عليها، وكانت قبل ابن عامر عند عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، وكانت تقول سيدهم جميعاً الحسن، وأسخاهم ابن عامر، وأحبّهم إليّ عبد الرحمن بن عتاب.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢/١٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢/١٦.

قال أبو الحسن المدائني قال: تزوّج الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان المنذر بن الزبير يهواها، فأبلغ الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ عنها شيئاً فطلّقها، فخطبها المنذر فأبت أن تزوّجه، فقالت: لا والله لا أفعل وقد فعل بي ما قد فعل مرتين، لا والله لا يراني في منزله أبداً.[1]

فروى المدائني، عن جويرية بن أسماء قال: لما مات الحسن أخرجوا جنازته، فحمل مروان بن الحكم سريره، فقال له الحسين ﴿رضي الله عنه﴾: تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرّعه الغيظ؟ قال مروان: نعم، كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال.[2]

روى المدائني، عن يحيى بن زكريا، عن هشام بن عروة، قال: قال الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ عند وفاته: ادفنوني عند قبر رسول الله ﷺ إلاّ أن تخافوا أن يكون في ذلك شر، فلما أرادوا دفنه قال مروان بن الحكم: لا يدفن عثمان في حش كوكب، ويدفن الحسن هاهنا، فأجتمع بنو هاشم وبنو أُميّة وأعان هؤلاء قوم، وهؤلاء قوم، وجاؤوا بسلاح، فقال أبو هريرة لمروان: أيمنع الحسن أن يدفن في هذا الموضع، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، قال مروان: دعنا منك، لقد ضاع حديث رسول الله ﷺ إذا كان لا يحفظه غيرك وغير أبي سعيد، وإنما أسلمت أيام خيبر، فقال أبو هريرة: نعم، ولكني لزمت رسول الله، فلم أكن أُفارقه، وكنت

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/١٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/١٦.

أسأله، وعنيت بذلك حتى علمت من أُحب وأبغض، ومن قرب ومن أبعد، ومن أقرّ ومن أنفى، ومن لعن ومن دعا له، فلما رأت عائشة السلاح والرجال وخافت أن يعظم الشرّ بينهم، ويسفك الدم، قالت: البيت بيتي، ولا آذن لأحد أن يدفن فيه، وأبى الحسين عليه السلام أن يدفنه إلاّ مع جده، فقال له محمد بن الحنفية: يا أخي إنه لو أوصى أن ندفنه لدفناه أو نموت قبل ذلك، ولكنه قد استثنى، وقال إلاّ أن تخافوا الشر، فأي شر ترى أشد مما نحن فيه، فدفن في البقيع.[1]

قال أبو الحسن المدائني: وصل نعي الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ إلى البصرة في يومين وليلتين، فقال الجارود بن أبي هبيرة:

إذا كان شراً سار يوماً وليلة
وإن كان خيراً أخّر السير أربعاً
إذا ما بريد الشر أقبل نحونا
بإحدى الدواهي الربد سار وأسرعا[2]

روى أبو الحسن المدائني: قال: خرج على معاوية قوم من الخوارج بعد دخوله الكوفة وصلح الحسن له، فأرسل معاوية إلى الحسن يسأله أن يخرج فيقاتل الخوارج، فقال الحسن: سبحان الله تركت قتالك، وهو لي حلال لصلاح الأُمة وأُلفتهم، أفتراني أُقاتل معك، فخطب معاوية أهل الكوفة فقال: يا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣/١٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤/١٦.

أهل الكوفة، أتراني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، قد علمت أنكم تصلّون وتزكّون وتحجّون، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وعلى رقابكم، فقد آتاني الله ذلك، وأنتم كارهون، ألا إن كل مال أو دم أُصيب في هذه الفتنة لمطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين، ولا يصلح الناس إلاّ ثلاث، إخراج العطاء عند محلّه، وأفعال الجنود لوقتها، وغزو العدو في داره، وإنهم إن لم تغزوهم غزوكم، ثم نزل.[١]

قال المدائني، فقال المسيب بن نجبة للحسن عليه السلام: ما ينقض عجبي منك، بايعت معاوية ومعك أربعون ألفاً، ولم تأخذ لنفسك وثيقة وعقداً ظاهراً، أعطاك أمراً فيما بينك وبينه، ثم قال: قد سمعت ما أراد بما قال غيرك، قال: فما ترى؟ قال: أرى أن ترجع إلى ما كنت عليه فقد نقض ما كان بينه وبينك، فقال: يا مسيب لو أردت بما فعلت الدنيا، لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء، ولا أثبت عند الحرب، ولكني أردت صلاحكم، وكفّ بعضكم عن بعض، فأرضوا بقدر الله وقضائه حتى يستريح بر، ويستراح من فاجر.[٢]

قال المدائني: ودخل عبيدة بن عمرو الكندي على الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ وكان ضرب على وجهه ضربة، وهو مع قيس بن سعد بن عبادة، فقال: ما الذي أرى بوجهك؟ قال: أصابني مع قيس، فالتفت حجر بن عدي إلى الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ فقال: لوددت أني ميت قبل هذا اليوم، ولم يكن ما كان، إنا

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥/١٦.

رجعنا راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبّوا، فتغير وجه الحسن ﴿رضي الله عنه﴾، وغمز الحسين ﴿رضي الله عنه﴾ حجراً فسكت، فقال: يا حجر ليس كل الناس تحب ما تحب، ولا رأيه رأيك، وما فعلت إلاّ ابقاء عليك، والله كل يوم في شأن.[١]

قال المدائني: ودخل عليه سفيان بن أبي ليلى النهدي فقال: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين، فقال الحسن: اجلس يرحمك الله، إن رسول الله ﷺ رفع له ملك بني أُميّة، فنظر إليهم يعلون منبره واحداً فواحداً، فشقّ ذلك عليه، فأنزل الله تعالى في ذلك قرآناً قال له: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ وسمعت علياً أبي عليه السلام يقول: سيلي أمر هذه الأُمة رجل واسع البلعوم، كبير البطن، فسألته من هو؟ فقال: معاوية، وقال لي: إن القرآن نطق بملك بني أُميّة.[٢]

قال المدائني: فلما كان عام الصلح أقام الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ بالكوفة أياماً، ثم تجهّز للشخوص إلى المدينة، فدخل المسيب بن نجبة الفزاري، وظبيان بن عمارة التيمي ليودّعاه، فقال الحسن ﴿رضي الله عنه﴾: الحمد لله الغالب على أمره، لو أجمع الخلق جميعاً على أن لا يكون ما هو كائن ما استطاعوا، فقال أخوه الحسين ﴿رضي الله عنه﴾: لقد كنت كارهاً لما كان، طيب النفس على سبيل أبي حتى عزم عليّ أخي فأطعته، وكأنما يجذ

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦/١٦.

أنفي بالمواسي، فقال المسيب: إنه والله ما يكبر علينا هذا الأمر إلاّ أن تصابوا وتنتقضوا، فأما نحن فإنهم سيطلبون مودّتنا بكل ما قدروا عليه، فقال له الحسين: يا مسيب نحن نعلم أنك تحبّنا، فقال الحسن: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أحب قوماً كان معهم، فعرض له المسيب وظبيان بالرجوع، فقال: ليس إلى ذلك سبيل، فلما كان من غد خرج، فلما صار بدير هند نظر إلى الكوفة قال:

وما عن قلى فارقت دار معاشري   هموا المانعون حوزتي وذماري

ثم سار إلى المدينة.[1]

قال المدائني: فقال معاوية يومئذ للوليد بن عقبة بن أبي معيط بعد شخوص الحسن ﴿رضي الله عنه﴾: يا أبا وهب هل رمت؟ قال: نعم، وسموت.

قال المدائني: أراد معاوية قول الوليد بن عقبة يحرّضه على الطلب بدم عثمان :

ألا أبلغ معاوية بن حرب   فإنك من أخي ثقة مليم

قطعت الدهر كالسدم المعنى   تهدر في دمشق ولا تريم

فلو كنت القتيل وكان حياً   لشمر لا الف ولا سئوم

وإنك والكتاب إلى علي   كدابغة وقد حلم الأديم[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦/١٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧/١٦.

وروى المدائني، عن إبراهيم بن محمد بن زيد بن أسلم، قال: دخل رجل على الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ بالمدينة وفي يده صحيفة، فقال له الرجل: ماهذه؟ قال: هذا كتاب معاوية يتوعّد فيه عليّ أمر كذا، فقال الرجل: لقد كنت على النصف مما فعلت، فقال الحسن ﴿رضي الله عنه﴾: أجل ولكني خشيت أن يأتي يوم القيامة سبعون الفاً أو ثمانون الفاً تشخب أوداجهم دماً كلهم استعدى الله، فلم أهريق دمه.

قال أبو الحسن: وكان الحصين بن المنذر الرقاشي يقول: والله ما وفى معاوية للحسن بشيء مما أعطاه، قتل حجر وأصحاب حجر، وبايع لابنه يزيد، وسم الحسن.[1]

قال المدائني: وروى أبو الطفيل قال: قال الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ لمولى له: أتعرف معاوية بن خديج؟ قال: نعم، قال: فإذا رأيته فأعلمني، فرآه خارجاً من دار عمرو بن حريث، فقال: هو هذا، فدعاه، فقال له: أنت الشاتم علياً عند ابن آكلة الأكباد، أما والله لئن وردت الحوض، ولن ترده، لترينّه مشمّراً عن ساقيه، حاسراً عن ذراعيه، يذود عنه المنافقين.[2]

قال أبو الحسن: وروى هذا الخبر قيس بن الربيع، عن زيد بن الخليل، عن مولى الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ قال: حدثنا سليمان بن أيوب، عن أبي الأسود بن قيس العبدي أن الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ لقى يوماً حبيب بن

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧/١٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد١٨/١٦.

مسلمة، فقال له: يا حبيب ربّ مسير لك في غير طاعة الله، فقال: أما مسيري الى أبيك فليس من ذلك، قال: بلى والله، ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة زائلة، فلئن قام بك في دنياك، لقد قعد بك في آخرتك، ولو كنت اذ فعلت شراً قلت خيراً، كان ذلك كما قال الله عز وجل: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾[1] ولكنك كما قال الله سبحانه: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[2]

قال أبو الحسن: طلب زياد رجلاً من أصحاب الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ ممن كان في كتاب الأمان، فكتب إليه الحسن: من الحسن بن علي إلى زياد، أما بعد: فقد علمت ما كنا ما أخذنا من الأمان لأصحابنا، وقد ذكر لي فلان أنك تعرّضت له، فأُحبّ أن لا تعرض له إلاّ بخير، والسلام.

فلما أتاه الكتاب، وذلك بعد ادّعاء معاوية إيّاه غضب حيث لم ينسبه إلى أبي سفيان، فكتب من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن، أما بعد: فإنه أتاني كتابك في فاسق تؤويه الفسّاق من شيعتك وشيعة أبيك، وأيم الله لأطلبنّه بين جلدك ولحمك، وإن أحب الناس إليّ لحماً أن آكله للحم أنت منه، والسلام.[3]

فلما قرأ الحسن الكتاب بعث به إلى معاوية، فلما قرأه غضب، وكتب من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد، أما بعد: فإن لك رأيين، رأياً من أبي سفيان

---

[1] - التوبة/١٠٢.

[2] - المطففين/١٤، شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨/١٦.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨/١٦.

ورأياً من سمية، فأما رأيك من أبي سفيان فحلم وحزم، وأما رأيك من سمية فما يكون من مثلها، إن الحسن بن علي كتب لي أنك عرضت لصاحبه، فلا تعرض له، فإني لم أجعل لك عليه سبيلاً، وإن الحسن ليس ممن يرمى به الرجوان، والعجب من كتابك إليه لا تنسبه إلى أبيه أو إلى أُمه، فالآن حين اخترت له، والسلام.[1]

قال: قلت: جرى في مجلس بعض الأكابر وأنا حاضر القول في أن علياً ﴿رضي الله عنه﴾ شرّف بفاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ فقال إنسان كان حاضر المجلس، بل فاطمة شرّفت به، وخاض الحاضرون في ذلك بعد انكارهم تلك اللفظة، وسألني صاحب المجلس أن أذكر ما عندي في المعنى، وأن أُوضّح أيما أفضل علي ﴿رضي الله عنه﴾ أم فاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ فقلت: أفأيّهما أفضل، فإن أُريد بالأفضل الأجمع للمناقب التي تتفاضل الناس بها، نحو العلم والشجاعة، ونحو ذلك، فعلي أفضل، وإن أُريد بالأفضل الأرفع منزلة عند الله تعالى، فالذي استقرّ عليه رأي المتأخرين من أصحابنا أن علياً ﴿رضي الله عنه﴾ أرفع المسلمين كافة منزلة عند الله تعالى بعد رسول الله ﷺ من الذكور والإناث، وفاطمة إمرأة من المسلمين، وإن كانت سيدة نساء العالمين، ويدل على ذلك أنه قد ثبت أنه أحب الخلق إلى الله تعالى بحديث الطير، وفاطمة من الخلق وأحبّ الخلق إليه سبحانه أعظم ثواباً يوم القيامة على ما فسّره المحققون من هذا الكلام، وإن أُريد بالأفضل الأشرف نسباً، ففاطمة

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩/١٦.

﴿رضي الله عنها﴾ أفضل، لأن أباها سيد ولد آدم من الأولين والآخرين، فليس في آباء علي مثله، ولا مقارنة، وإن أُريد بالأفضل من كان رسول الله ﷺ أشد عليه حنواً أو أمس به رحماً، ففاطمة أفضل، لأنها ابنته، وكان شديد الحب لها، والحنو عليها جداً، وهي أقرب إليه نسباً من ابن العم، لا شبهة في ذلك، فأما القول في أن علياً شرّف بها أو شرّفت به، فإن علياً ﴿رضي الله عنه﴾ كانت أسباب شرفه وتمييزه عن الناس متنوّعة، فمنها ما هو متعلّق بفاطمة ﴿رضي الله عنه﴾، ومنها ما هو متعلق بأبيها ﴿صلوات الله عليه﴾، ومنها ما هو مستقل بنفسه، فنحو شجاعته، وعفّته، وحلمه، وقناعته، وسجاحة أخلاقه، وسماح نفسه، وأما الذي هو متعلق برسول الله فنحو علمه ودينه، وزهده وعبادته، وسبقه إلى الإسلام، وإخباره بالغيوب، وأما الذي يتعلق بفاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ فنكاحه لها حتى صار بينه وبين رسول الله ﷺ الصهر المضاف إلى النسب والسبب، وحتى أن ذرّيته منها صارت ذرّية لرسول الله ﷺ، وأجزاء من ذاته ﷺ، وذلك لأن الولد إنما يكون من مني الرجل، ودم المرأة، وهما جزءان من ذاتي الأب والأُم، ثم هكذا أبداً في ولد الولد، ومن بعده من البطون دائماً، فهذا هو القول في شرف علي ﴿رضي الله عنه﴾ بفاطمة.

فأما شرفها به، فإنها وإن كانت ابنت سيد العالمين إلاّ أن كونها زوجة علي ﴿رضي الله عنه﴾ أفادها نوعاً من الشرف آخر، زائداً على ذلك الشرف

الأول، ألا ترى أن أباها لو زوّجها أبا هريرة، وأنس بن مالك لم يكن حالهم في أنفسهم كحالهم الآن.[١]

قال أبو الحسن المدائني: وكان الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ كثير التزويج، تزوّج خولة بنت منظور بن رباب الفزارية، وأُمّها مليكة بنت خارجة بن سنان، فولدت له الحسن بن الحسن، وتزوّج أُم إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله، فولدت له إبناً سمّاه طلحة، وتزوّج أُم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري، واسم أبي مسعود عقبة بن عمر، فولدت له زيد بن الحسن، وتزوّج جعدة بنت الأشعث بن قيس، وهي التي سقته السم، وتزوّج هند بنت سهيل بن عمرو، وحفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﴿رضي الله عنه﴾، وتزوّج امرأة من كلب، وامرأة من بنات عمر بن الأصم المنقري، وامرأة من ثقيف فولدت له عمر، وتزوّج امرأة من بنات علقمة بن زرارة، وامرأة من بني شيبان من آل همام بن مرّة، فقيل له: إنها ترى رأي الخوارج فطلّقها، وقال: إني أكره أن أضم إلى نحري جمرة من جمر جهنم.

قال المدائني: وخطب إلي رجل فزوّجه، وقال له: إني مزوّجك وأعلم أنك ملق طلق غلق، ولكنك خير الناس نسباً، وأرفعهم جداً وأباً.

قلت: أما قوله ملق طلق، فقد صدق، وأما غلق فلا، لأن الغلق كثير الضجر، وكان الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ أوسع الناس صدراً، وأسجحهم خلقاً.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١/١٦.

قال المدائني: أحصو زوجات الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ فكنّ سبعين امرأة.[١]

قال المدائني: ولما توفي علي ﴿رضي الله عنه﴾ خرج عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب إلى الناس فقال: إن أمير المؤمنين توفى وقد ترك خلفاً، فإن أحببتم خرج إليكم، وإن كرهتم فلا أحد على أحد، فبكى الناس وقالوا: بل يخرج إلينا، فخرج الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ فخطبهم، فقال: أيّها الناس اتّقوا الله، فإنا أُمراؤكم وأوليائكم، وإنا أهل البيت الذين قال الله تعالى: ﴿إنمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فبايعه الناس، وكان خرج إليهم وعليه ثياب سود، ثم وجه عبيد الله بن عباس ومعه قيس بن سعد بن عبادة مقدّمة، فجاءني اثنى عشر الفاً إلى الشام وخرج وهو يريد المدائن، فطعن بساباط، وانتهب متاعه، ودخل المدائن، وبلغ ذلك معاوية فأشاعه، وجعل أصحاب الحسن الذين وجّههم مع عبيد الله يتسلّلون إلى معاوية الوجوه وأهل البيوتات، فكتب عبيد الله بن العباس بذلك إلى الحسن ﴿رضي الله عنه﴾، فخطب الناس ووبّخهم، وقال: خالفتم أبي حتى حكم وهو كاره، ثم دعاكم إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم فأبيتم حتى صار إلى كرامة الله، ثم بايعتموني على أن تسالموا من سالمت، وتحاربوا من حاربت، وقد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية وبايعوه، فحسبي منه لا تغروني من ديني ونفسي، وأرسل عبد الله بن الحارث نوفل بن الحارث بن

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢/١٦.

عبد المطلب، وأُمّه هند بنت أبي سفيان بن حرب إلى معاوية يسأله المسالمة، واشترط عليه العمل بكتاب الله وسنّة نبيّه، وأن لا يبايع لأحد من بعده، وأن يكون الأمر شورى، وأن يكون الناس أجمعون آمنين، وكتب بذلك كتاباً، فأتى الحسين ﴿رضي الله عنه﴾ وأمتنع، فكلمه الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ حتى رضى، وقدم معاوية الكوفة.[1]

قال أبو الحسن: وحدثنا أبو بكر الأسود، قال: كتب ابن عباس إلى الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ أما بعد: فكان المسلمون ولّوك أمرهم بعد علي ﴿رضي الله عنه﴾ فشمّر للحرب، وجاهد عدوّك، وقارب أصحابك، واشتر من الظنين دينه بما لا يثلم لك ديناً، ووال أهل البيوتات والشرف، تستصلح بع عشائرهم حتى يكون للناس جماعة، فإن بعض ما يكره الناس ما لم يبعد الحق، وكانت عواقبه تؤدّي إلى ظهور العدل، وعزّ الدين خير كبير ما تحبّه الناس إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور، وذلّ المؤمنين، وعزّ الفاجرين، واقتد بما جاء عن أئمّة العدل، فقد جاء عنهم، أنه لا يصلح الكذب إلاّ في الحرب، وإصلاح بين الناس، فإن الحرب خدعة، ولك في ذلك سعة إذا كنت محارباً لم تبطل حقاً، وأعلم أن علياً أباك ﴿رضي الله عنه﴾ إنما ذهب الناس إلى معاوية أنه أساء بينهم في الفيء، وسوّى بينهم في العطاء، فثقل عليهم، وأعلم أنك تحارب من حارب الله ورسوله في ابتداء الإسلام حتى ظهر أمر الله، فلما وحّد الربّ، ومحى الشرك، وعزّ الدين، أظهروا الإيمان، وقرأوا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٢/١٦.

القرآن، مستهزئين بآياته، وأقاموا الصلاة وهم كسالى، وأدّوا الفرائض وهم لها كارهون، فلما رأوا أنه لا يغز في الدين إلاّ الأتقياء الأبرار، فوسموا سيما الصالحين ليظنّ بهم المسلمون خيراً، فما زالوا بذلك حتى شركوهم في اماناتهم، وقالوا حسابهم على الله، فإن كانوا صادقين فإخواننا في الدين، وإن كانوا كاذبين كان بما اقترفوا هم الأخسرين، وقد منيت بأُولئك وأبنائهم وبأشباههم، والله ما زادهم طول العمر إلاّ غنى، ولا زادهم ذلك لأهل الدين إلاّ مقتاً، فجاهدهم، ولا ترض دنية، ولا تقبل خسفاً، فإن علياً ﴿رضي الله عنه﴾ لم يجب إلى الحكومة حتى غلب على أمره فأجاب، وهم يعلمون أنه أولى بالأمر إن حكموا بالعدل، فلما حكم بالهوى رجع إلى ما كان عليه حتى أتى عليه أجله، فلا تخرجنّ من حق أنت أولى به حتى يحول الموت دون ذلك، والسلام.[1]

قال المدائني: وكتب الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ إلى معاوية من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد: فإن الله بعث محمداً رحمة للعالمين، فظهر به الحق، وقمع به الشرك، وأعز به العرب عامّة، وشرف به قريش خاصّة، فقال ﴿**وإنه لذكر لك ولقومك**﴾، فلما توفّاه الله، تنازعت الأمر بعده، فقالت قريش: نحن عشيرته وأولياؤه، فلا تنازعونا سلطانه، فعرفت العرب لقريش ذلك، وجاحدتنا قريش ما عرفت لها العرب، فهيهات ما أنصفتنا قريش، وقد كانوا ذوي فضيلة في الدين، وسابقة في الإسلام، ولا غرو إلاّ

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٣/١٦.

منازعته إيّانا الامر بغير حق في الدنيا معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، فالله الموعد، نسأل الله أن لا يؤتينا في هذه الدنيا شيئاً يبغضنا عنده في الآخرة، إن علياً لما توفّاه الله، ولاني المسلمون الأمر من بعده، فاتق الله يامعاوية، وانظر لأُمة محمد ما تحقن به دماءها، وتصلح به أمرها، والسلام.

وبعث بالكتاب مع الحارث بن سويد التيمي، تيم الرباب، وجندب الأزدي، فقدما على معاوية، فدعواه إلى بيعة الحسن ﴿رضي الله عنه﴾، فلم يجبهما.[1]

وكتب جوابه أما بعد: فقد فهمت ما ذكرت به رسول الله ﷺ، وهو أحقّ الأولين والآخرين بالفضل كله، وذكرت تنازع المسلمين الأمر بعده، فصرّحت بتهمة أبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وأبي عبيدة الأمين، وصلحاء المهاجرين، فكرهت لك ذلك، إن الأُمّة لما تنازعت الأمر بينها رأت قريشاً أخلقها به، فرأت قريش والأنصار وذو الفضل والدين من المسلمين أن يولوا من قريش أعلمها بالله، وأخشاها له، وأقواها على الأمر، فأختاروا أبا بكر، ولم يألوا، ولو علموا مكان رجل غير أبي بكر يقوم مقامه، يذبّ عن حرمة الإسلام ذبه، ما عدلوا بالأمر إلى أبي بكر، والحال اليوم بيني وبينك على ما كانوا عليه، فلو علمت أنك اضبط لأمر الرعية، وأحوط على هذه الأُمة، وأحسن سياسة، وأكيد للعدو، وأقوى على جمع الفيء، لسلّمت لك الأمر بعد أبيك، وإن أباك سعى على عثمان حتى قتل مظلوماً، فطالبه الله بدمه، ومن

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤/١٦.

يطلبه الله فلا يفوته، ثم انتزع الأُمة أمرها، وفرّق جماعتها، فخالفه نظراؤه من أهل السابقة والجهاد، والقدم في الإسلام، فادّعى أنهم نكثوا بيعته، فقاتلهم وسفكت الدماء، واستحلّت الحرم، ثم أقبل الينا لا يدعي علينا بيعة، ولكنه يريد أن يملكنا اعتزازاً، فحاربناه، وحاربنا، ثم صار من الحرب إلى أن اختار رجلاً، وأخترنا رجلاً ليحكما بما يصلح عليه الأُمة، وتعود به الجماعة والأُلفة، وأخذنا عليهما ميثاقاً، وعليه مثله، وعلينا مثله، على الرضا بما حكما، فأمضى الحكمان عليه الحكم بما قد علمت، وخلعاه، فوالله ما رضى بالحكم، ولا صبر لأمر الله، فكيف تدعوني إلى أمر إنما تطلبه بحق أبيك، وقد خرج منه، فأنظر لنفسك ولدينك، والسلام.[١]

قال: ثم قال للحارث وجندب: ارجعا، فليس بيني وبينكم إلاّ السيف، فرجعا، وأقبل إلى العراق في ستين الفاً، وأستخلف على الشام الضحّاك بن قيس الفهري، والحسن مقيم بالكوفة لم يشخص حتى بلغه أن معاوية قد عبر جسر منبج، فوجّه حجر بن عدي، فأمر العمّال بالإحراس، وندب الناس فسارعوا، فعقد لقيس بن سعد بن عبادة على اثني عشر الفاً، ونزل دير عبدالرحمن، واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، وأمر قيس بن سعد بالمسير، وودّعه وأوصاه، فأخذ على الفرات وقرى فلوجة، ثم إلى سكّر، وأرتحل الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ متوجّهاً نحو المدائن، فأتى ساباط فأقام بها أياماً، فلما أراد أن يرحل إلى المدائن قام

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥/١٦.

فخطب الناس فقال: أيّها الناس إنكم بايعتموني على أن تسالموا من سالمت، وتحاربوا من حاربت، وإني والله ما أصبحت محتملاً على أحد من هذه الأُمة ضغينة في شرق ولا غرب، ولما تكرهون في الجماعة والأُلفة، والأمن وصلاح ذات البين، وممّا تحبّون في الفرقة، والخوف والتباغض والعداوة، وإن علياً أبي كان يقول لا تكرهوا إمارة معاوية، فإنكم إن فارقتموه لرأيتم رؤوس تندر عن كواهلها كالحنظل، ثم نزل، فقال الناس ما قال هذا إلاّ وهو خالع نفسه، وسلّم الأمر إلى معاوية، فثاروا به فقطعوا كلامه، وأنتهبوا متاعه، ونزعوا مطرفاً كان عليه، وأخذوا جارية كانت معه، وأختلف الناس، فصارت طائفة معه، وأكثرهم عليه، فقال: اللهم أنت المستعان، وأمر بالرحيل فأرتحل الناس، وأتاه رجل بفرس فركبه، وأطاف به بعض أصحابه، فمنعوا الناس عنه، فساروا فقدمه سنان بن جراح الأزدي إلى مظلم ساباط، فأقام به، فلما دنا منه تقدّم إليه كأنه يكلمه فطعنه في فخذه بمعول، طعنة كانت تصل إلى العظم، فغشي عليه فابتدروه أصحابه فسبق إليه عبيد الله الطائي، فصرع سناناً، وأخذ ظبيان بن عمارة المعول من يده فضربه فقطع أنفه، ثم ضربه بصخرة على رأسه فقتله، فأفاق الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ من غشيته، فعصبوا جراحه، وقد نزف وضعف، فقدموا به المدائن وعليها سعد بن مسعود، عمّ المختار بن عبيد، وأقام بالمدائن حتى بريء من جرحه.[1]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦/١٦.

قال المدائني: وكان الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ أكبر ولد علي عليه السلام، وكان سيداً سخياً، حليماً خطيباً، وكان رسول الله يحبه، سبق يوماً بين الحسين ﴿رضي الله عنه﴾ وبينه فسبق الحسن، فأجلسه على فخذه اليمنى، ثم أجلس الحسين على فخذه اليسرى، فقيل له: يا رسول الله أيهما أحب إليك؟ فقال: أقول كما قال إبراهيم أبونا، وقيل له أي ابنيك أحب إليك، قال: أكبَرهما، وهو الذي يلد ابني محمداً.[1]

وروى المدائني، عن زيد بن أرقم، قال: خرج الحسن وهو صغير وعليه بردية، ورسول الله صلى الله عليه وآله يخطب، فعثر فسقط، فقطع رسول الله صلى الله عليه وآله الخطبة ونزل مسرعاً إليه، وقد حمله الناس، فتسلّمه فأخذه على كتفه، وقال: إن الولد لفتنة، لقد نزلت إليه وما أدري، ثم صعد فأتمّ الخطبة.[2]

وروى المدائني قال: لقي عمرو بن العاص الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ في الطواف، فقال له: يا حسن زعمت أن الدين لا يقوم إلاّ بك وبأبيك، فقد رأيت الله أقام معاوية، فجعله راسياً بعد ميله، وبيّناً بعد خفائه، أفرضي الله بقتل عثمان، ومن الحق أن تطوف بالبيت كما يدور الجمل بالطحين، عليك ثياب كغرقى البيض، وأنت قاتل عثمان، والله إنه لألم للشعث، وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك، فقال الحسن ﴿رضي الله عنه﴾: إن لأهل النار علامات يعرفون بها، إلحاداً لأولياء الله، وموالاة لأعداء الله، والله إنك لتعلم أن

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧/١٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧/١٦.

علياً لم يرتب في الدين، ولم يشك في الله ساعة، ولا طرفة عين قط، وأيم الله لتنتهي يا ابن أُم عمرو أو لأنفذن حضنيك بنوافذ أشدّ من القعضبية، فإياك والتهجّم عليّ، فإني من قد عرفت، ليس بضعيف الغمرة، ولا هشّ المساسة، ولا مريء المأكلة، وإني من قريش كواسطة القلادة، يعرف حسبي، ولا أدعى لغير أبي، وأنت من تعلم ويعلم الناس، تحاكمت فيك الرجال من قريش، فغلب عليك جزّارها، الأُمّهم حسباً، وأعظمهم لؤماً، فإياك عني، فإنك رجس، ونحن بيت أهل الطهارة، أذهب الله عنّا الرجس، وطهّرنا تطهيراً، فأفحم عمرو وأنصرف كئيباً.[١]

وروى أبو الحسن المدائني قال: سأل معاوية الحسن بن علي ﴿رضي الله عنه﴾ بعد الصلح أن يخطب الناس، فأمتنع، فناشده أن يفعل، فوضع له كرسي فجلس عليه، فقال: الحمد لله الذي توحّد في ملكه، وتفرّد في ربوبيته، يؤتي الملك من يشاء، وينزعه عمن يشاء، والحمد لله الذي أكرم بنا مؤمنكم، وأخرج من الشرك أولكم، وحقن دماء آخركم، فبلاؤنا عندكم قديماً وحديثاً أحسن البلاء إن شكرتم أو كفرتم.

أيها الناس إن ربّ علي كان أعلم بعلي حين قبضه إليه، ولقد اختصّه بفضل لم تعتادوا بمثله، ولن تجدوا مثل سابقته، فهيهات هيهات، طالما قلبتم له الأُمور حتى أعلاه الله عليكم وهو صاحبكم، وعدوّكم في بدر وأخوتها، جرّعكم رنقاً، وسقاكم علقاً، وأذلّ رقابكم، واشرقكم بريقكم، فلستم بملومين

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧/١٦.

على بغضه، وأيم الله لا ترى أُمة محمد خفضاً ما كانت سادتهم وقادتهم في بني أُمية، ولقد وجّه الله إليكم فتنة لن تصدروا عنها حتى تهلكوا، لطاعتكم طواغيتكم، وانضوائكم إلى شياطينكم، فعند الله أحتسب ما مضى، وما ينتظر من سوء دعتكم، وحيف حكمكم.

ثم قال: يا أهل الكوفة، لقد فارقكم بالأمس سهم من مرامي الله صائب على أعداء الله، نكال على فجّار قريش، لم يزل آخذ بحناجرها، جاثماً على أنفاسها، ليس بالملومة على أمر الله، ولا بالسروقة لمال الله، ولا بالفروقة في حرب أعداء الله، أعطى الكتاب خواتيمه وعزائمه، دعاه فأجابه، وقاده فأتّبعه، لا تأخذه في الله لومة لائم، صلوات الله عليه ورحمته، ثم نزل.

فقال معاوية أخطأ عجل أو كاد، وأصاب مثبت أو كاد، ماذا أردت من خطبة الحسن.[١]

فأما أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني فإنه قال: كان في لسان أبي محمد ثقل كالفأفأة، حدثني بذلك محمد بن الحسين الاشناني، قال: حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي، عن مفضل بن صالح، عن جابر، قال: كان في لسان الحسن رحمه الله رتّة، فكان سلمان الفارسي رحمه الله يقول: أتته من قبل عمه موسى بن عمران عليه السلام.[٢]

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٣١.

قال أبو الفرج: ومات شهيداً مسموماً، دسّ معاوية إليه، وإلى سعد بن أبي وقاص، حين أراد أن يعهد إلى يزيد ابنه بالأمر بعده، سماً فماتا منه في أيام متقاربة، وكان الذي تولى ذلك من الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس بمال بذله لها معاوية، ويقال: إن إسمها سكينة، ويقال: عائشة، ويقال: سعيا، والصحيح أن إسمها جعدة.[1]

قال أبو الفرج: فروى عمر بن ثابت قال: كنت أختلف إلى أبي إسحاق السبيعي أسأله عن الخطبة التي خطب بها الحسن بن علي ﴿رضي الله عنه﴾ عقيب وفاة أبيه، ولا يحدثني بها، فدخلت عليه في يوم شات، وهو في الشمس وعليه برنسه، وكأنه غول، فقال لي: من أنت؟ فأخبرته، فبكى وقال: كيف أبوك؟ وكيف أهلك؟ فقلت: صالحون، فقال: في أي تتردّد؟ قلت: في خطبة الحسن بن علي بعد أبيه، فقال: حدثني هبيرة بن مريم، قال: خطب الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام قال: لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون، لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجّهه برايته، فيكنفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه، ولقد توفى في الليلة التي عرج فيها بعيسى ابن مريم، والتي توفي فيها يوشع بن نون، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله، ثم خنقته العبرة فبكى، وبكى الناس معه.

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٣١.

ثم قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني، فأنا الحسن بن محمد رسول الله، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً، والذين افترض الله مودّتهم في كتابه، إذ يقول: ﴿**ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً**﴾ فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت.

قال أبو الفرج: فلما انتهى إلى هذا الموضع من الخطبة، قام عبيد الله بن العباس بين يديه، فدعى الناس إلى بيعته فاستجابوا، وقالوا: ما أحبّه إلينا، وأحقّه بالخلافة، فبايعوه، ثم نزل عن المنبر.

قال أبو الفرج: ودسّ معاوية رجلاً من حمير إلى الكوفة، ورجلاً من بني القين إلى البصرة يكتبان له بالأخبار، فدلّ على الحميري، وعلى القيني فأُخذا وقتلا، وكتب الحسن إلى معاوية أما بعد: فإنك دسست إليّ الرجال كأنك تحبّ اللقاء، لا أشك في ذلك، فتوقّعه إن شاء الله، وبلغني أنك شمت بما لم يشمت به ذوو الحجى، وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول:

فإنا ومن قد مات منا لكالذي
يروح فيمسي في المبيت ليغتدي

فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى
تجهز لأُخرى مثلها فكأن قد[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣١/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٣٢.

فأجابه معاوية، أما بعد: فقد وصل كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، ولقد علمت بما حدث، فلم أفرح ولم أحزن، ولم أشمت ولم أستر، وإن علياً أباك لكما قال أعشى بني قيس بن تغلبة:

فأنت الجواد وأنت الذي إذا ما القلوب ملأن الصدورا
جدير بطعنة يوم اللقاء يضرب منها النساء النحورا
وما مزيد من خليج البحار يعلو الاكام ويعلو الجسورا[1]

قال أبو الفرج: وكتب عبد الله بن عباس ﴿رضي الله عنه﴾ من البصرة إلى معاوية، أما بعد: فإن إرسالك أخا بني القين إلى البصرة يلتمس من غفلات قريش بمثل ما ظفرت به من يمانيتك، لكما قال أُميّة بن أبي الصلت:

لعمرك إني والخزاعي طارقاً كنعجة عاد حتفها تتحفر
أثارت عليها شفرة بكراعها فظلّت بها من آخر الليل تنحر
شمت بقوم من صديقك أهلكوا أصابهم يوماً من الدهر أصفر[2]

فأجابه معاوية، أما بعد: فإن الحسن بن علي قد كتب إليّ بنحو ما كتبت به، وأنباني بما لم يحقق سوء ظن ورأي فيّ، وإنك لم تصب مثلي ومثلكم، وإنما مثلنا كما قال طارق الخزاعي يجيب أُميّة عن هذا الشعر:

فوالله لا أدري وإني لصادق
إلى أي شيء من شريطتي اعتذر

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣١/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٣٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٢/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٣٤.

أعنف إن كـانـت زبيـنة أهلكت

ونال بني لحيان شـــر فـأنـفـروا[١]

قال أبو الفرج: فكان أول شيء أحدثه الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ أنه زاد المقاتلة مائة مائة، وقد كان علي ﴿رضي الله عنه﴾ فعل ذلك يوم الجمل، وفعله الحسن حال الاستخلاف، فتبعه الخلفاء من بعده في ذلك.[٢]

قال: فكتب الحسن إلى معاوية مع حرب بن عبد الله الأزدي، من الحسن بن علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلاّ هو، أما بعد: فإن الله عزّ وجل بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين، ومنّة للمؤمنين، وكافّة للناس أجمعين، لينذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، فبلغ رسالات الله، وقام بأمر الله حتى توفّاه الله غير مقصر ولا وان، وبعد أن أظهر الله به الحق، ومحق به الشرك، وخص به قريشاً خاصة فقال له: (﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾، فلما توفي تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته وأُسرته وأولياؤه، ولا تحلّ لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه، فرأت العرب أن القول ما قالت قريش، وأن الحجة لهم في ذلك على من نازعهم أمر محمد، فأنعمت لهم، وسلّمت اليهم، ثم حاججنا نحن قريشاً بمثل ما حاججت به العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها، إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالإنصاف والاحتجاج، فلما

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٢/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٣٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٣/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٣٤.

صرنا أهل بيت محمد وأولياؤه إلى محاججتهم، وطلب النصف منهم باعدونا، واستولوا بالإجماع على ظلمنا ومراغمتنا، والعنت منهم لنا، فالموعد الله، وهو الولي النصير، ولقد كنّا تعجّبنا لتعجّب المتوثّبين علينا في حقّنا، وسلطان نبيّنا، وإن كانوا ذوي فضيلة، وسابقة في الإسلام، وأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين، أن يجد المنافقين والأحزاب في ذلك مغمزاً يثلمونه به أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من افساده، فاليوم فليتعجّب المتعجّب من توثّبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف، ولا اثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حرب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله ﷺ، ولكتابه، والله حسيبك، فسترد فتعلم لمن عقبى الدار، وتا الله لتلقينّ عن قليل ربك، ليجزينّك بما قدّمت يداك، وما الله بظلاّم للعبيد، إن علياً لما مضى لسبيله، رحمة الله عليه يوم قبض، ويوم منّ الله عليه بالإسلام، ويوم يبعث حياً، ولأني المسلمون الأمر بعده، فأسأل الله أن لا يؤتينا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة ممّا عنده من كرامته، وإنما حملني على الكتاب إليك الإعذار فيما بيني وبين الله عزّ وجل في أمرك، ولك في ذلك إن فعلته الحظ الجسيم، والصلاح للمسلمين، فدع التمادي في الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنك تعلم أني أحق بهذا الأمر منك عند الله، وعند كل أوّاب حفيظ، ومن له قلب منيب، واتق الله، ودع البغي، وأحقن دماء المسلمين، فوالله ما لك خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه، وادخل في السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله، ومن أحقّ به منك، ليطفيء الله النائرة بذلك،

ويجمع الكلمة، ويصلح ذات البين، وإن أنت أبيت إلاّ التمادي في غيّك، سرت إليك بالمسلمين، فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا، وهو خير الحاكمين.[١]

فكتب معاوية إليه من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الحسن بن علي، سلام الله عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو، أما بعد: فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت به محمداً رسول الله ﷺ من الفضل، وهو أحقّ الأولين والآخرين بالفضل كله قديمه وحديثه، وصغيره وكبيره، وقد والله بلغ وأدّى، ونصح وهدى حتى أنقذ الله به من الهلكة، وأنار به من العمى، وهدى به من الجهالة والضلالة، فجزّاه الله أفضل ما جزّى نبياً عن أُمّته، صلوات الله عليه يوم ولد، ويوم بعث، ويوم قبض، ويوم يبعث حياً، وذكرت وفاة النبي ﷺ وتنازع المسلمين الأمر بعده، وتغلبهم علي أبيك، فصرّحت بتهمة أبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وأبي عبيدة الأمين، وحواري رسول الله ﷺ، وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك، إنك أمرؤ عندنا وعند الناس غير الظنين، ولا المسيء، ولا اللئيم، وأنا أحبّ لك القول السديد، والذكر الجميل، إن هذه الأُمة لما اختلفت بينها، لم تجهل فضلكم، ولا سابقتكم، ولا قرابتكم من نبيّكم، ولا مكانكم في الإسلام وأهله، فرأت الأمة أن تخرج عن هذا الأمر لقريش، لمكانها من نبيّها، ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعوامهم، أن يولّوا هذا الأمر من قريش أقدمهم سلماً، وأعلمها بالله، وأحبّها له، وأقواها على أمر الله، فأختاروا

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٣/١٦.

أبا بكر، وكان ذلك رأي ذوي الدين والفضيلة، والمناظرين للأُمة، فأوقع ذلك في صدوركم التهمة، ولم يكونوا متّهمين، ولا فيما أتوا بالمخطئين، ولو رأى المسلمون أن فيكم من يغني غناه، ويقوم مقامه، أو يذبّ عن حريم الإسلام ذبه، ما عدلوا بالأمر إلى غيره، رغبة عنه، ولكنّهم عملوا في ذلك بما رأوه صلاحاً للإسلام وأهله، والله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيراً، وقد فهمت الذي دعوتني إليه من الصلح، والحال فيما بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد وفاة النبي ﷺ، فلو علمت أنك أضبط مني للرعية، وأحوط على هذه الأُمة، وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الأموال، وأكيد للعدو، لأجبتك إلى ما دعوتني إليه، ورأيتك لذلك أهلاً، ولكن قد علمنا أني أطول منك ولاية، وأقدم منك لهذه الأُمة تجربة، وأكبر منك سنّاً، فإنك أحقّ أن تجيبني الى هذه المنزلة التي تسألني، فأدخل في طاعتي، ولك الأمر من بعدي، ولك ما في بيت مال العراق، يجبيها أمينك، ويحملها إليك في كل سنة، وأن لا يستولي عليك بالأشياء، ولا تقضي دونك الأُمور، ولا تعصى في أمر أردت به طاعة الله، أعاننا الله وإيّاك على طاعته، إنه سميع مجيب الدعاء، والسلام.[1]

قال جندب: فلما أتيت الحسن بكتاب معاوية قلت له: إن الرجل سائر إليك فابدأه بالمسير حتى تقاتله في أرضه وبلاده وعمله، فإما أن تقدر أنه ينقاد

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٤/١٦، مقاتل الطالبيين/٣٤.

لك، فلا والله حتى ترى منه أعظم من يوم صفين، فقال: افعل، ثم قعد عن مشورتي وتناسى قولي.[1]

قالوا: وكتب معاوية إلى الحسن، أما بعد: فإن الله يفعل في عباده ما يشاء، لا معقّب لحكمه، وهو سريع الحساب، فأحذر أن تكون منيتك على أيدي رعاع من الناس، وآيس من أن تجد فينا غميزة، وإن أنت أعرضت عمّا أنت فيه، وبايعتني وفيت لك بما دعوت، وأجريت لك ما شرطت، وأكون في ذلك كما قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

وإن أحـد أسـدى إلـيـك أمانـة
فأوف بها تدعى إذا مـت وافـيـا
ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى
ولا تجفه إن كان فـي المال فانيا[2]

فأجابه الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ أما بعد: فقد وصل إليّ كتابك، تذكر فيه ما ذكرت، فتركت جوابك خشية البغي مني عليك، وبالله أعوذ من ذلك، فاتّبع الحقّ تعلم أني من أهله، وعليّ إثم أن أقول فأكذب، والسلام.

فلما وصل كتاب الحسن إلى معاوية كتب إلى عمّاله على النواحي بنسخة واحدة من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان وفلان، ومن قبله من المسلمين، سلام الله عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو، أما بعد:

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٦/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٣٥.
[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٦/١٦، مقاتل الطالبيين/٣٥.

فالحمد لله الذي كفاكم مؤونة عدوّكم، وقتلة خليفتكم، إن الله بلطفه، وحسن صنيعه، أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده فأغتاله فقتله، فترك أصحابه متفرّقين مختلفين، وقد جاءنا كتب أشرافكم وقادتكم، يلتمسون الإمارة لأنفسهم وعشائرهم، فأقبلوا إلى حين يأتيكم كتابي هذا بجدّكم وجندكم، وحسن عدتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثار، وبلغتم الأمل، وأهلك أهل البغي والعدوان، والسلام عليكم ورحمة الله.[١]

قال: فأجتمعت العساكر على معاوية، فسار بها قاصداً إلى العراق، وبلغ الحسن خبره ومسيره نحوه، قد بلغ جسر منبج، فتحرّك عند ذلك، وبعث حجر بن عدي فأمر العمّال والناس بالتهيء للمسير، ونادى المنادي الصلاة جامعة، فأقبل الناس يثوبون ويجتمعون، فقال له: إذا رضيت جماعة الناس فأعلمني، وجاء سعد بن قيس الهمداني، فقال له: اخرج فخرج الحسن فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: فإن الله كتب الجهاد على خلقه، وسمّاه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: ﴿**اصْبِرُوا إن اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ فلستم أيّها الناس نائلين ما تحبّون إلاّ بالصبر على ما تكرهون، إنه بلغني أن معاوية بلغه أنا كنّا أزمعنا في السير إليه، فتحرّك لذلك، اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظرون، ونرى وترون، قال: وإنه في كلامه ليتخوّف خذلان الناس له، فسكتوا فما تكلم منهم أحد، ولا أجابه بحرف، فلما رأى ذلك عدي بن حاتم، قام فقال: أنا ابن حاتم، سبحان الله، ما

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٧/١٦، مقاتل الطالبيين/٣٦.

أقبح هذا المقام، لا تجيبون إمامكم، وابن بنت نبيّكم، أين خطباء مضر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة، فإذا جدّ الجد فرواغون كالثعالب، أما تخافون مقت الله، ولا عيبها وعارها، ثم استقبل الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ بوجهه، فقال: أصاب الله بك المراشد، وجنّبك المكاره، ووفّقك لما تحمل وروده وصدره، وقد سمعنا مقالتك، وانتهينا إلى أمرك، وسمعنا لك، وأطعنا فيما قلت ورأيت، وهذا وجهي إلى معسكري، فمن أحبّ أن يوافي فليواف، ثم مضى لوجهه، فخرج من المسجد ودابته بالباب فركبها ومضى إلى النخيلة، وأمر غلمانه أن تلحقه بما يصلحه، وكان عدي بن حاتم أول الناس عسكر، ثم قام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ومعقل بن قيس الرياحي، وزياد بن حفصة التيمي، فأنبوا الناس ولاموهم، وحرّضوهم، وكلموا الحسن عليه السلام بمثل كلام عدي بن حاتم في الاجابة والقبول، فقال لهم الحسن عليه السلام: صدقتم رحمكم الله، ما زلت أعرفكم بصدق النيّة، والوفاء والقبول، والمودّة الصحيحة، فجزاكم الله خيراً، ثم نزل وخرج الناس فعكسروا، وأوسطوا للخروج، وخرج الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ إلى العسكر، واأستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأمره باستحثاث الناس واشخاصهم إليه، فجعل يستحثّهم ويستخرجهم حتى يلتئم العسكر، وسار الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ في عسكر عظيم، وعدّة حسنة حتى نزل دير عبد الرحمن، فأقام به ثلاثة حتى اجتمع، ثم دعا عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب فقال له: يا ابن عم، إني باعث معك اثنى عشر الفاً من فرسان العرب، وقرّاء المصر، الرجل منهم يزيد

الكتيبة فسر بهم، وألن لهم جانبك، وأبسط لهم وجهك وأفرش لهم جناحك، وأدنهم من مجلسك، فإنهم بقية من بقيّات أمير المؤمنين ﴿رضي الله عنه﴾، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات، حتى تعبر مسكر، ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية، وإن أنت لقيته فأحبسه حتى يأتيك، فإني على أثرك وشيكاً، وليكن خبرك عندي كل يوم، وشاور هذين قيس بن سعد، وسعيد بن قيس، وإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك، فإن فعل فقاتله، فإن أُصبت فقيس بن سعد على الناس، وإن أُصيب قيس بن سعد، فسعيد بن قيس على الناس، فسار عبيد الله حتى انتهى إلى شينون حتى خرج إلى ساعي، ثم لزم الفرات والفلوجة، حتى أتى مسكن، وأخذ الحسن على حمام عمر حتى أتى دير كعب بن بكر، فنزل ساباط دون القنطرة، فلما أصبح نادى في الناس الصلاة جامعة، فأجتمعوا، فصعد المنبر وخطبهم، فقال: الحمد لله كلما حمده الحامدون، أشهد أن لا إله إلاّ الله، كلما شهد له شاهد، وأشهد أن محمداً رسول الله، أرسله بالحق، وائتمنه على الوحي ﷺ، أما بعد: فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّه، وأنا أنصح خلقه لخلقه، وما أصبحت مستحملاً على مسلم ضغينة، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة، خير لكم ممّا تحبّون في الفرقة، ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردّوا عليّ رأيي، غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإيّاكم لما فيه محبّته ورضاه، إن شاء الله، ثم نزل.

قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض، وقالوا ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنّه يريد أن يصالح معاوية، ويكون الأمر إليه، كفر والله الرجل، ثم شدّوا على فسطاطه فأنتهبوه حتى أخذوا مصلاّه من تحته، ثم شدّ عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي، فنزع رداءه عن عاتقه، فبقى جالساً متقلّداً سيفاً بغير رداء، فدعا بفرسه فركبه، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته، ومنعوا منه من أراده، ولاموه وضعفوه لما تكلم به، فقال: ادعوا لي ربيعة وهمدان، فدعوا له، فطافوا به، ودفعوا الناس عنه، ومعهم شوب من غيرهم، فلما مرّ في مظلم ساباط، قام إليه رجل من بني أسد، ثم من بني نصر بن معين، يقال له جراح بن سنان، وبيده معول، فأخذ لجام فرسه، وقال: الله اكبر يا حسن أشرك أبوك، ثم أشركت أنت، وطعنه بالمعول، فوقعت في فخذه فشقته حتى خالط أربيته، وسقط الحسن إلى الأرض بعد أن ضرب الذي طعنه بسيف كان في يده وأعتنقه، فخرّا جميعاً إلى الأرض، فوثب عبد الله بن الأخطل الطائي فنزع المعول من يد جراح بن سنان فخضخضه به، وانكبّ ظبيان بن عمارة عليه فقطع أنفه، ثم أخذوا له الأجر فشدخوا وجهه ورأسه حتى قتلوه، وحمل الحسن على سرير إلى المدائن، بها سعد بن مسعود الثقفي والياً عليها من قبله، وقد كان علي ﴿رضي الله عنه﴾ ولاّه المدائن، فأقرّه الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ عليها، فأقام عنده يعالج نفسه، فأما معاوية فإنه وافى حتى نزل قرية يقال لها الحلوبية بمسكن، وأقبل عبيد الله بن العباس حتى نزل بإزائه، فلما كان من غد وجّه معاوية من بخيله إليه، فخرج إليهم عبيد الله فيمن معه فضربهم حتى

ردّهم إلى معسكرهم، فلما كان الليل أرسل معاوية إلى عبيد الله بن عباس أن الحسن قد راسلني في الصلح، وهو مسلّم الأمر إلي، فإذا دخلت في الطاعة الآن كنت متبوعاً، وإلاّ دخلت وأنت تابع، ولك إن أجبتني الآن أن أعطيك الف الف درهم، أُعجّل لك في هذا الوقت نصفها، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر، فأنسلّ عبيد الله ليلاً فدخل على عسكر معاوية، فوفى بما وعده، وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله أن يخرج فيصلّي بهم، فلم يخرج حتى أصبحوا، فطلبوه فلم يجدوه، فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة، ثم خطبهم فثبتهم، وذكر عبيد الله فنال منه، ثم أمرهم بالصبر والنهوض إلى العدو، فأجابوه بالطاعة، وقالوا له انهض بنا إلى عدوّنا على اسم الله، فنهض بهم، فخرج إليه بسر بن أرطاة فصاح إلى أهل العراق، ويحكم هذا أميركم عندنا، قد بايع إمامكم الحسن، قد صالح، فعلام تقتلون أنفسكم؟ فقال لهم قيس بن سعد: اختاروا إحدى الثنتين، إما القتال مع غير إمام، وإما أن تبايعوا بيعة ضلال، قالوا: بل نقاتل بلا إمام، فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردّوهم إلى مصافهم، وكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويمنيه، فكتب إليه قيس لا والله لا تلقاني أبداً إلاّ وبيني وبينك الرمح، فكتب إليه معاوية حينئذ لما يئس منه، أما بعد: فأنت يهودي ابن يهودي، تشقي نفسك وتقتلها فيما ليس لك، فإن ظهر أحبّ الفريقين إليك نبذك وعزلك، وإن ظهر أبغضهما إليك نكل بك

وقتلك، وقد كان أبوك أوتر غير قوسه، ورمى غير غرضه، فأكثر الحز، وأخطأ المفصل، فخذله قومه، وأدركه يومه، فمات بحوران طريداً غريباً، والسلام.[١]

فكتب إليه قيس بن سعد، أما بعد: فإنما أنت وثن ابن وثن، دخلت في الإسلام كرهاً، وأقمت فيه فرقاً، وخرجت منه طوعاً، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً، لم يقدم إسلامك، ولم يحدث نفاقك، ولم تزل حرباً لله ولرسوله، وحزباً من أحزاب المشركين، وعدو الله ونبيّه والمؤمنين من عباده، وذكرت أبي، فلعمري ما أوتر إلاّ قوسه، ولا رمى إلاّ غرضه، فشغب عليه من لا يشق غباره، ولا يبلغ كعبه، وزعمت أني يهودي ابن يهودي، وقد علمت وعلم الناس أني وأبي أعداء الدين الذي خرجت منه، وأنصار الدين الذي دخلت فيه، وصرت إليه، والسلام.

فلما قرأ معاوية كتابه غاظه وأراد إجابته، فقال له عمرو: مهلاً، فإنك إن كاتبته أجابك بأشدّ من هذا، وإن تركته دخل فيما دخل فيه الناس، فأمسك عنه.[٢]

قال: وبعث معاوية عبد الله بن عامر، وعبد الرحمن بن سمرة إلى الحسن للصلح، فدعواه إليه، فزهداه في الأمر، وأعطياه ما شرط له معاوية، وأن لا يتبع أحد بما مضى، ولا ينال أحد من شيعة علي بمكروه، ولا يذكر علي إلاّ بخير، وأشياء اشترطها الحسن، فأجابه إلى ذلك، وأنصرف قيس بن سعد بمن

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٨/١٦، مقاتل الطالبيين/٣٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٣/١٦، مقاتل الطالبيين/٤٠.

معه إلى الكوفة، وأنصرف الحسن أيضاً إليها، وأقبل معاوية قاصداً نحو الكوفة، وأجتمع إلى الحسن وجوه الشيعة، وأكابر أصحاب أمير المؤمنين علي يلومونه، ويبكون إليه جزعاً ممّا فعله.[١]

قال أبو الفرج: وحدثني محمد بن أحمد بن عبيد، قال: حدثنا الفضل بن الحسن البصري، قال: حدثنا أبن عمرو، قال: حدثنا مكي بن إبراهيم، قال: حدثني السرى بن إسماعيل، عن الشعبي، عن سفيان بن الليل، قال أبو الفرج: وحدثني أيضاً محمد بن الحسين الأشناني، وعلي بن العباس المقانعي، عن عبّاد بن يعقوب، عن عمرو بن ثابت، عن الحسن بن الحكم، عن عدي بن ثابت، عن سفيان بن أبي ليلى، قال: لقيت الحسن بن علي ﴿رضي الله عنه﴾ حين بايع معاوية، فوجدته بفناء داره وعنده رهط، فقلت: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين، قال: وعليك السلام يا سفيان، فنزلت فعقلت راحلتي، ثم أتيته فجلست إليه، فقال: كيف قلت يا سفيان؟ قلت: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين، فقال: لم جرى هذا منك إلينا؟ قلت: أنت والله بأبي وأُمّي، أذللت رقابنا حيث أعطيت هذا الطاغية البيعة، وسلّمت الأمر إلى اللعين بن آكلة الأكباد، ومعك مائة الف كلهم يموت دونك، وقد جمع الله عليك أمر الناس، فقال: يا سفيان إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسّكنا به، وإني سمعت علياً يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تذهب الأيام والليالي حتى يجمع أمر هذه الأُمة على رجل واسع السرم، ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع، لا ينظر الله إليه، ولا يموت حتى

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٣/١٦، مقاتل الطالبيين/٤٠.

لا يكون له في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر، وإنه لمعاوية، وإني عرفت أن الله بالغ أمره، ثم أذّن المؤذّن، فقمنا على حالب يحلب ناقته، فتناول الإناء فشرب قائماً، ثم سقاني، وخرجنا نمشي إلى المسجد، فقال لي: مَا جاء بك يا سفيان؟ قلت: حبّكم والذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق، قال: فابشر يا سفيان، فإني سمعت علياً يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يرد عليّ الحوض أهل بيتي، ومن أحبّهم من أُمّتي، كهاتين يعني السبابتين أو كهاتين يعني السبابة والوسطى، أحدهما تفضل على الأُخرى، ابشر يا سفيان، فإن الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد عليهم السلام.[1]

قال: قلت: قوله ولا في الأرض ناصر، أي ناصر ديني، أي لا يمكن أحد أن ينتصر له بتأويل ديني يتكلف به عذراً لأفعاله القبيحة.

فإن قلت: قوله وإنه لمعاوية من الحديث المرفوع أم من كلام علي عليه السلام، أم من كلام الحسن.

قلت: الظاهر إنه من كلام الحسن، وإنه قد غلب على ظنّه أن معاوية صاحب هذه الصفات، وإن كان القسمان الأولان غير ممتنعين.[2]

فإن قلت: فمن هو إمام الحق من آل محمد؟

قلت: أما الإمامية فتزعم صاحبهم الذي يعتقدون أنه الآن حي في الأرض، وأما أصحابنا فيزعمون أنه فاطمي، يخلقه الله تعالى في آخر الزمان.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٤/١٦، مقاتل الطالبيين/٤٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٥/١٦.

قال أبو الفرج: وسار معاوية حتى نزل النخيلة وجمع الناس بها فخطبهم قبل أن يدخل الكوفة خطبة طويلة، لم ينقلها أحد من الرواة تامّة، وجاءت منقطعة، وسنذكر ما انتهى إلينا، فأما الشعبي فإنه روى أنه قال في الخطبة: ما اختلف أمر أُمّة بعد نبيّها إلاّ وظهر أهل باطلها على أهل حقّها، ثم انتبه فندم، فقال: إلاّ هذه الأُمة، فإنها وإنها.

وأما أبو إسحاق السبيعي، فقال: إن معاوية قال في خطبته بالنخيلة: ألا أن كل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين، لا أفي به، قال أبو إسحاق: كان والله غدّاراً.[1]

وروى الأعمش، عن عمرو بن مرّة، عن سعيد بن سويد، قال: صلّى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة ثم خطبنا فقال: إني والله ما قاتلتكم لتصلّوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا، ولا لتزكّوا، إنكم لتفعلون ذلكم، وإنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون، قال: وكان عبد الله بن شريك إذا حدّث بذلك، يقول: هذا والله هو التهتّك.[2]

قال أبو الفرج: وحدثني أبو عبيد محمد بن أحمد، قال: حدثني الفضل بن الحسن البصري، قال: حدثني يحيى بن معين، قال: حدثني أبو حفص اللبان، عن عبد الرحمن بن شريك، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: خطب معاوية بالكوفة حين دخلها والحسن والحسين جالسان

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٥/١٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٦/١٦.

تحت المنبر، فذكر علياً فنال منه، ثم نال من الحسن، فقام الحسين عليه السلام ليردّ عليه، فأخذ الحسن بيده وأجلسه، ثم قام، فقال: أيها الذاكر علياً أنا الحسن، وأبي علي، وأنت معاوية، وأبوك صخر، وأُمّي فاطمة، وأمك هند، وجدّي رسول الله، وجدّك عتبة بن ربيعة، وجدّتي خديجة، وجدّتك قتيلة، وأُمّي فاطمة، لعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرنا قديماً وحديثاً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً، فقال طوائف من أهل المسجد: آمين.

قال الفضل: قال يحيى بن معين: وأنا أقول آمين.

قال أبو الفرج: قال أبو عبيد: وأنا أقول آمين، ويقول علي بن الحسين الأصبهاني: آمين.[1]

قلت: ويقول عبد الحميد بن أبي الحديد آمين مصنّف الكتاب.

قال أبو الفرج: ودخل معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة بين يديه خالد بن عرفطة، ومعه حبيب بن جماز يحمل رايته، فلما صار بالكوفة دخل المسجد من باب الفيل، وأجتمع الناس إليه.[2]

قال أبو الفرج: فحدثني أبو عبيد الصيرفي، وأحمد بن عبيد الله بن عمّار، عن محمد بن علي بن خلف، عن محمد بن عمرو الرازي، عن مالك بن سعيد، عن محمد بن عبد الله الليثي، عن عطاء بن السايب، عن أبيه: قال: بينما علي بن أبي طالب على منبر الكوفة إذ دخل رجل فقال: يا أمير المؤمنين مات

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٦/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٤٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٧/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٤٦.

خالد بن عرفطة، فقال: والله ما مات، ولا يموت حتى يدخل من باب المسجد، وأشار إلى باب الفيل، ومعه راية ضلالة يحملها حبيب بن جماز، قال: فوثب رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أنا حبيب بن جماز، قال: فوثب رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أنا حبيب بن جماز، وأنا لك شيعة، فقال:فإنه كما أقول، فوالله لقد قدم خالد بن عرفطة على مقدمة معاوية، يحمل رايته حبيب بن جماز.[١]

قال أبو الفرج: وقال مالك بن سعيد: وحدثني الأعمش بهذا الحديث، قال: حدثني صاحب هذه الدار، وأشار إلى دار السائب أبي عطاء، أنه سمع علياً ﴿رضي الله عنه﴾ يقول هذا.[٢]

قال أبوالفرج: فلما تمّ الصلح بين الحسن ومعاوية، أرسل إلى قيس بن سعد يدعوه إلى البيعة، فجاء، وكان رجلاً طوالاً يركب الفرس المشرف ورجلاه يخطّان في الأرض، وما في وجهه طاقة شعر، وكان يسمّى خصي الأنصار، فلما أرادوا ادخاله إليه، قال: حلفت أن لا أراه إلاّ وبيني وبينه الرمح أو السيف، فأمر معاوية برمح أو سيف، فوضع بين يديه وبينه ليبرّ يمينه.[٣]

قال أبو الفرج: وقد روي أن الحسن لما صالح اعتزل قيس بن سعد في أربعة آلاف، وأبى أن يبايع، فلما بايع الحسن أدخل قيس ليبايع، فأقبل على الحسن، فقال: أفي حلّ أنا من بيعتك؟ قال: نعم، فألقى له كرسي، وجلس

---

[١] - مقاتل الطالبين/٤٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٧/١٦، مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصفهاني/٤٧.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٨/١٦، مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصفهاني/٤٧.

معاوية على سرير، والحسن معه، فقال له معاوية: أتبايع يا قيس؟ قال: نعم، ووضع يده على فخذه، ولم يمدها إلى معاوية، فجاء معاوية من سريره، وأكب على قيس حتى مسح يده على يده، وما رفع إليه قيس يده.[١]

قال أبو الفرج: ثم أن معاوية أمر الحسن أن يخطب، وظن أنه سيحصر، فقام فخطب فقال في خطبته: إنما الخليفة من سار بكتاب الله، وسنّة نبيّه، وليس الخليفة من سار بالجور، وذاك رجل ملك ملكاً يتمتّع به قليلاً، ثم تنخمه تنقطع لذته، وتبقى تبعته، ﴿وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾.

قال: وأنصرف الحسن إلى المدينة، فأقام بها، وأراد معاوية البيعة لإبنه يزيد فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن علي، وسعد بن أبي وقاص، فدسّ إليهما سماً فماتا فيه.[٢]

قال أبو الفرج: فحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار، عن عيسى بن مهران، عن عبيد بن الصباح الخراز، عن جرير، عن مغيرة، قال: أرسل معاوية إلى بنت الأشعث بن قيس وهي تحت الحسن، فقال لها: إني مزوّجك يزيد ابني على أن تسمّي الحسن، وبعث إليها بمائة الف درهم، ففعلت وسمّت الحسن، فسوّغها المال، ولم يزوّجها منه، فخلف عليها رجل من آل طلحة

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٨/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٩/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٤٧.

فأولدها، فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام، عيّروهم، فقالوا: يا بني مسمّة الأزواج.[١]

قال: وحدثني أحمد، قال: حدثني يحيى بن بكير، عن شعبة، عن أبي بكر بن حفص، قال: توفي الحسن بن علي، وسعد بن أبي وقاص في أيام متقاربة، وذلك بعد ما مضى من إمارة معاوية عشر سنين، وكانوا يرون أنه سقاهما السم.[٢]

قال أبو الفرج: حدثني أحمد بن عون، عن عمران بن إسحاق، قال: كنت مع الحسن والحسين ﴿رضي الله عنهما﴾ في الدار، فدخل الحسن، ثم خرج، فقال: لقد سقيت السم مراراً، ما سقيته مثل هذه المرة، لقد لفظت قطعة من كبدي، فجعلت أُقلّبها بعود معي، فقال الحسين: ومن سقاك؟ قال: وما تريد منه؟ أتريد أن تقتله؟ إن يكن هو هو، فإن الله أشدّ نقمة منك، وإن لم يكن هو فما أحبّ أن يؤخذ بي بريء.[٣]

قال أبو الفرج: ودفن الحسن في قبر فاطمة بنت رسول الله ﷺ في البقيع، وقد كان أوصى أن يدفن مع النبي، فمنع مروان بن الحكم من ذلك، وركبت بنو أُميّة في السلاح، وجعل مروان يقول: يا رب هيجاء هي خير من دعة، يدفن عثمان في البقيع، ويدفن الحسن في بيت النبي ﷺ، والله لا

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٩/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٤٨.
[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٩/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٤٨.
[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٩/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٤٨.

يكون ذلك أبداً، وأنا أحمل السيف، وكادت الفتنة أن تقع، وأبى الحسين ﴿رضي الله عنه﴾ أن يدفنه إلاّ مع النبي ﷺ، فقال له عبد الله بن جعفر: عزمت عليك يا أبا عبد الله بحقّي ألا تكلم بكلمة، فمضوا به إلى البقيع وأنصرف مروان.[١]

قال أبو الفرج: وقد روى الزبير بن بكار أن الحسن ﴿رضي الله عنه﴾ أرسل إلى عائشة أن تأذن له أن يدفن مع النبي ﷺ، فقالت: نعم، فلما سمعت بنو أُمية بذلك استلأموا في السلاح، وتنادوا هم وبنو هاشم للقتال، فبلغ ذلك الحسن فأرسل إلى بني هاشم، أما إذا كان هذا فلا حاجة لي فيه، ادفنوني جنب أُمّي فاطمة، فدفن جنب فاطمة ﴿رحمها الله﴾.[٢]

قال أبو الفرج: فأما يحيى بن الحسن صاحب كتاب النسب فإنه روى أن عائشة ركبت ذلك اليوم بغلاً، واستنفرت بنو أُميّة مروان بن الحكم، ومن كان هناك منهم، ومن حشمهم، وهو قول القائل: فيوماً على بغل، ويوماً على جمل.[٣]

قال: وفي رواية يحيى بن الحسن ما يؤخذ على عائشة، لأنه لم يرو أنها استنفرت لما ركبت البغل، وإنما المستنفر هم بنو أُميّة، ويجوز أن تكون

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٠/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٤٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٠/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٤٩.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥١/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٤٩.

عائشة ركبت لتسكين الفتنة، لا سيّما وقد روي عنها أنه لما طلب منها الدفن قالت نعم، فهذه الحال والقصة منقبة من مناقب عائشة.[١]

قال أبو الفرج: وقال جويرية بن أسماء: لما مات الحسن وأخرجوا جنازته، جاء مروان حتى دخل تحته، فحمل سريره، فقال له الحسين: تحمل اليوم سريره، وبالأمس كنت تجرعه الغيظ؟ فقال: كنت أفعل ذلك بمن يوازي حلمه الجبال.

قال: وقدم الحسين رحمه الله للصلاة سعيد بن العاص، وهو يومئذ أمير المدينة وقال: تقدم فلولا أنها سنّة لما قدّمتك.[٢]

فقال: قيل لأبي إسحاق السبيعي: متى ذلّ الناس؟ فقال: حين مات الحسن ﴿رضي الله عنه﴾، وادّعى زياد، وقتل حجر بن عدي.[٣]

قال: أختلف الناس في سنّ الحسن وقت وفاته، فقيل: ابن ثمان وأربعين، وهو المروي عن جعفر بن محمد ﴿رضي الله عنه﴾ في رواية هشام بن سالم، وقيل: ابن ست وأربعين، وهو المروي أيضاً في رواية أبي بصير، قال: وفي الحسن رحمه الله يقول سليمان بن قتة يرثيه وكان محباً له:

يا كذّب الله مـــن نـعى حسناً ... لـيــــس لتكذيب نـعيه ثمن

كنت خليلي وكنت خالصتي ... لـكـل حـي من أهـلـه سكن

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥١/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٤٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥١/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٥٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥١/١٦، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني/٥٠.

أجول في الدار لا أراك وفـي الـدار أنـاس جـوارهم غبن
بـدلـتـهـم مـنـك ليـت أنـهـم أضحوا وبيني وبينهم عـدن[١]

وروى المبرد في الكامل، عن ابن عائشة، عن رجل من أهل الشام قال: دخلت المدينة فرأيت رجلاً راكباً على بغلة، لم أر أحسن وجهاً، ولا ثوباً، ولا سمتاً، ولا دابة منه، فمال قلبي إليه، فسألت عنه، فقيل: هذا الحسن بن علي، فامتلأ قلبي له بغضاً، وحسداً لعلي أن يكون له ابن مثله، فصرت إليه، فقلت له: أنت ابن علي بن أبي طالب؟ فقال: أنا إبنه، فقلت، فبك وبأبيك أشتمهما، فلما انقضى كلامي، قال: أحسبك غريباً؟ قلت: أجل، قال: فمل بنا إن احتجت إلى منزل أنزلناك، وإلى مال واسيناك، وإلى حاجة عاونّاك، فأنصرفت عنه، وما أجد على الأرض أحب إليّ منه.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥١/١٦، مقاتل الطالبيين/٥٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٨/١٨.

الباب
التاسع والخمسون
في فضل الحسن والحسين عليهما السلام

ابن أبي الحديد قال: قال الزبير بن بكار في كتاب أنساب قريش قال: المروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله سمّى حسناً وحسيناً يوم سابعهما، واشتقّ إسم حسين من إسم حسن.[١]

قال: وروى جعفر بن محمد ﴿رضي الله عنه﴾ أن فاطمة ﴿رضي الله عنها﴾ حلقت حسناً وحسيناً يوم سابعهما، ووزنت شعرهما، فتصدّقت بوزنه فضّة.[٢]

قال الزبير: وروت زينب بنت أبي رافع قالت: أتت فاطمة بإبنيها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شكواه الذي توفي فيه، فقالت: يا رسول الله هذان ابناك فورثهما شيئاً، فقال: أما حسن فإنه له هيبتي وسؤددي، وأما حسين فإن له جرأتي وجودي.[٣]

قال أبو جعفر محمد بن حبيب، عن المسيب بن نجيه، قال: سمعت أمير المؤمنين ﴿رضي الله عنه﴾ يقول: أنا أُحدّثكم عنّي وعن أهل بيتي، أما

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩/١٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩/١٦.

عبد الله ابن أخي، فهو صاحب لهو وسماح، وأما الحسن صاحب جفنة وخوان، فتى من فتيان قريش، ولو التقت حلقتا البطان لم يغن عنكم شيئاً في الحرب، وأما أنا وحسين فنحن منكم وأنتم منّا.[١]

قال المدائني: عن جويرية بن أسماء قال: قال أبو هريرة: قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.[٢]

قال: قيل لمحمد يعني بن الحنفية لِمَ يغرر بك أبوك في الحرب، ولا يغرر بالحسن والحسين؟ فقال: إنهما عيناه، وأنا يمينه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه.[٣]

وقال: قالت الأنصار: يا أمير المؤمنين لولا ما جعل الله لحسن وحسين ما قدمنا على محمد أحداً من العرب، يعنون محمد بن الحنفية، فقال علي عليه السلام: أين النجم من الشمس والقمر، أما إنه قد أعنى وأبلى وله فضلة، ولا ينقص فضل صاحبيه عليه، وحسب صاحبكم ما أنتهت به نعمة الله تعالى إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين إنا والله لا نجعله كالحسن والحسين، ولا نظلمهما، ولا نظلمه بفضلهما عليه حقه، فقال علي عليه السلام: أين يقع ابني من ابني رسول الله ﷺ، فقال خزيمة بن ثابت فيه:

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤/١٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٤/١.

محمد ما في عودك اليوم وصمة
ولا كنت في الحرب الضروس معرداً
أبوك الذي لم يركب الخيل مثله
علي وسماك النبي محمدا
فلو كان حقاً من أبيك خليفة
لكنت ولكن ذاك ما لا يرى بدا
وأنت بحمد الله أطول غالب
لساناً وانداها بما ملكت يدا
وأقربها من كل خير تريده
قريش وأوفاها بما قال موعدا
وأطعنهم صدر الكمي برمحه
وأكساهم للهام عضباً مهنّدا
سوى أخويك السيّدين كلاهما
إماما الورى والداعيان إلى الهدى
أبى الله أن يعطي عدوك مقعداً
من الأرض أو في الأوج مرقاً ومصعدا[1]

فقال: قال رجل لجعفر بن محمد ﴿رضي الله عنه﴾: أرأيت قوله ﷺ إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم ذريتها على النار، أليس هذا أماناً لكل فاطمي

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٥/١.

في الدنيا؟ فقال: إنك الأحمق، إنما أراد حسناً وحسيناً، لأنهما من الخمسة أهل البيت، فأما من عداهما، فمن قعد به عمله، لم ينهض به نسبه.[1]

وقال ومن كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن ابنه يتسرّع إلى الحرب املكوا عني هذا الغلام لا يهدني فإني أخشى بهذين يعني الحسن والحسين عليهما السلام عن الموت لا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله.[2]

قال الرضي أبو الحسن رحمه الله قوله املكوا عني هذا الغلام من أعلى الكلام وأفصحه.[3]

قال في الشرح: الألف في املكوا الف وصل، لأن الماضي ثلاثي من ملكت الفرس والعبد والدار، أملك – بالكسر- أي أحجروا عليه، كما يحجر الملك على مملوكه.[4]

فإن قلت: أيجوز أن يقال للحسن والحسين وولدهما ابناء رسول الله، وولد رسول الله، وذرّية رسول الله، ونسل رسول الله.[5]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٢/١٨.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥/١١، نهج البلاغة ١٨٦/٢.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥/١١.

[4] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥/١١.

[5] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦/١١.

قلت: نعم، لأن الله تعالى سمّاهم ابناه في قوله تعالى: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾، وإنما عنى الحسن والحسين، ولو أوصى لولد فلان بمال دخل فيه أولاد البنات، وسمّى الله تعالى عيسى ذرّية إبراهيم في قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمانَ﴾ إلى أن قال ﴿وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾ ولم يختلف أهل اللغة في أن ولد البنات من نسل الرجل.

فإن قلت: ما تصنع بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ محمد أَبَا أَحَد مِنْ رِجَالِكُمْ﴾.

قلت: أسألك عن أبوته لإبراهيم بن مارية، فكل ما تجيب به عن ذاك فهو جوابي عن الحسن والحسين عليهما السلام، والجواب الشامل للجميع أنه عنى زيد بن حارثة، لأن العرب كانت تقول إن زيد بن محمد على عادتهم في تبني العبيد، فأبطل الله تعالى ذلك، ونهى عن سنة الجاهلية، وقال إن محمداً عليه السلام ليس بالواحد من الرجال البالغين المعروفين بينكم، ليعتزى إليه بالبنوة، وذلك لا ينفي بنوته لأطفال، لم يطلق عليهم لفظة الرجال كإبراهيم وحسن وحسين عليهم السلام.[1]

فإن قلت: أتقول ابن البنت ابن علي على الحقيقة الأصلية أم على سبيل المجاز؟

قلت: لذاهب أن يذهب إلى أنه حقيقة أصلية، لأن أصل الاطلاق الحقيقة، وقد يكون مشتركاً بين مفهومين، وهو في أحدهما أشهر، ولا يلزم

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٦/١١.

من كونه أشهر في أحدهما أن لا يكون حقيقة في الآخر، ولذاهب أن يذهب إلى أنه حقيقة عرفية، وهي التي كثر استعمالها، وهي في الأصل مجاز حتى صارت حقيقة في العرف، كالرواية للمزادة، والسماء للمطر، ولذاهب أن يذهب إلى كونه مجازاً، قد استعمله الشارع، فجاز اطلاقه في كل حال، واستعماله كسائر المجازات المستعملة، وهذا الكلام يدل على اختصاص ولد فاطمة عليها السلام دون بني هاشم كافة بالنبي صلى الله عليه وآله أنه ما كان يحل له عليه السلام أن ينكح بنات الحسن والحسين عليهما السلام، ولا بنات ذرّيتهما وإن بعدن وطال الزمان، ويحل له نكاح بنات غيرهم من بني هاشم من الطالبيين وغيرهم، وهذا يدل على مزية الأقربية، وهي كونهم أولاده، لأنه ليس هناك من القربى غير هذا الوجه، لأنهم ليسوا أولاد أخيه، ولا أولاد أُخته، ولا هناك وجه يقتضي حرمتهم عليه، إلاّ كونه والداً لهم، وكونهم أولاد له.

فإن قلت: فقد قال الشاعر:

بـنـونـا بـنـو أبنائنا وبناتنا   بنوهنّ أبناء الرجال الأباعد

وقال حكيم العرب أكتم بن صيفي في البنات يذمّهم أنهم يلدن الأعداء، ويورثن البعداء.[1]

قلت: إنما قال الشاعر ما قاله على المفهوم الأشهر، وليس في قول أكتم ما يدل على نفي بنوّتهم، وإنما ذكر أنهنّ يلدن الأعداء، وقد يكون ولد

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧/١١.

الرجل لصلبه عدواً قال الله تعالى: ﴿إِن مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ﴾ ولا ينفي كونه عدواً كونه ابناً.

قيل لمحمد بن الحنفية: لِمَ يغرر بك أبوك في الحرب، ولا يغرر بالحسن والحسين؟ فقال: إنهما عيناه، وأنا يمينه، فهو يذبّ عن عينيه بيمينه.[1]

وقال: وروى ابن ديزيل في كتاب صفين، عن يحيى، عن يعلى بن عبيد الحنفي، عن إسماعيل السدي، عن زيد بن أرقم، قال: كنا مع رسول الله ﷺ وهو في الحجرة يوحى إليه، ونحن ننتظره حتى اشتد الحر، فجاء علي بن أبي طالب ومعه فاطمة وحسن وحسين عليهم السلام فقعدوا في ظلّ حائط ينتظرونه، فلما خرج رسول الله ﷺ رآهم، فأتاهم ووقفنا نحن مكان، ثم جاء إلينا وهو يظلّهم بثوبه، ممسكاً بطرف الثوب، وعلي ممسك بطرفه الآخر، وهو يقول: اللهم إني أُحبّهم فأحبّهم، اللهم إني سلم لمن سالمهم، حرب لمن حاربهم، قال: فقال ذلك ثلاث مرات.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٨/١١.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠٧/٣.

الباب الستون

في فضل الحسين عليه السلام وفي أحواله عليه السلام

ابن أبي الحديد قال: وروى يحيى بن سعيد قال: أمر عمر الحسين بن علي عليهما السلام أن يأتيه في بعض الحاجة، فلقى الحسين عبد الله بن عمر، فسأله من أين جاء، قال: استأذنت على أبي فلم يأذن لي، فرجع الحسين، ولقيه عمر من الغد، فقال: ما منعك يا حسين أن تأتيني؟ قال: قد أتيتك ولكن أخبرني ابنك عبد الله أنه لم يأذن له عليك فرجعت، فقال عمر: وأنت عندي مثله، وهل أنبت الشعر على الرأس غيركم.[1]

قال: روي أن الحسين بن علي عليهما السلام كلم معاوية في أمر إبنه يزيد، ونهاه من أن يعهد إليه، فأبى عليه معاوية حتى أغضب كل واحد منهما صاحبه، فقال الحسين عليه السلام في غضون كلامه: أبي خير من أبيه، وأُمّي خير من أُمّه، فقال معاوية: يا ابن أخي، أما أُمّك فخير من أُمّه، فكيف تقاس إمرأة من كلب بإبنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما أبوه فحاكم أباك إلى الله تعالى، فحكم لأبيه على أبيك.[2]

وروى الزبير بن بكار قال: كان سبب تعوّذ ابن الزبير الكعبة أنه تمشّى بعد عتمة في بعض شوارع المدينة، إذ لقى عبد الله بن سعد بن أبي السرح متلثّماً لا يبدو منه إلاّ عيناه، قال: فأخذت بيده، وقلت: ابن أبي سرح، كيف

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٦/١٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧١/٢.

كنت بعدي؟ وكيف تركت أمير المؤمنين؟ يعني معاوية، وقد كان ابن أبي سرح عنده بالشام، فلم يكلمني، فتركته وقد أثبت معرفته، ثم خرجت حتى لقيت الحسين بن علي فأخبرته خبره، وقلت: سيأتيك رسل الوليد، وكان الأمير على المدينة ابن عتبة بن أبي سفيان، فانظر ما أنت صانع، وأعلم أن رواحي في الدار معدة، والوعد بيني وبينك أن تغفل عنّا عيونهم، ثم فارقته، فلم ألبث أن أتاني رسول الوليد، فجأته فوجدت الحسين عنده، ووجدت عنده مروان بن الحكم، فنعى معاوية، فأسترجعت، فأقبل عليّ وقال: هلم إلى بيعة يزيد، فقد كتب إلينا يأمرنا أن نأخذها عليك، فقلت: إنك قد علمت أن في نفسه عليّ شيئاً لتركي بيعته في حياة أبيه، وإن بايعته على هذه الحال توهّم أني مكره على البيعة، فلم يقع منه ذلك بحيث أُريد، ولكن أصبح ويجتمع الناس، ويكون ذلك علانية إن شاء الله تعالى، فنظر الوليد إلى مروان، فقال مروان: هو الذي قلت لك، إن يخرج لم تره، فأحببت أن ألقي بيني وبين مروان شراً نتشاغل به، فقلت: وما أنت وذاك يا ابن الزرقاء، فقال لي، وقلت له حتى تواثبنا فتناصبت أنا وهو، فقام الوليد وحجز بيننا، فقال له مروان: أتحجز بيننا بنفسك، وتدع أن تأمر أعوانك، فقال: قد أرى ما تراه، ولكن لا أتولّى ذلك منه والله أبداً، اذهب يا ابن الزبير حيث شئت، فأخذت بيد الحسين وخرجنا من الباب حتى صرنا إلى المسجد وأنا أقول:

لا تحسبني يا مسافر شحمة تعجّلها من جانب القدر جائع

فلما دخل المسجد افترق هو والحسين عليه السلام ومحمد كل واحد منهما إلى مصلاّه يصلي فيه، وجعلت الرسل تختلف إليهما، يسمع وقع أقدامهم في الحصبا حتى هدأ عنهما الحس، ثم انصرفا إلى منازلهما، فأتى ابن الزبير رواحله فقعد عليها، فخرج من ادبار داره، ووافاه الحسين بن علي فخرجا جميعاً من ليلتهم، وسلكوا طريق الفرع حتى مروا بالجثجاثة، وبها جعفر بن الزبير قد أزدرعها، وغمر عليهم بعير من إبلهم، فانتهوا إلى جعفر، فلما رآهم قال: أمات معاوية؟ فقال عبد الله: نعم، انطلق معنا واعطنا أحد جمليك، وكان ينضح على جملين له، فقال جعفر متمثلاً:

اخواننا لا تبعدوا أبداً وبلى والله قـــد بـعـدوا

فقال عبد الله: وتطيّر منّا، بعينك التراب، فخرجوا جميعاً حتى قدموا مكة.

قال الزبير: فأما الحسين ﴿رضي الله عنه﴾ فإنه خرج من مكة يوم التروية يطلب الكوفة والعراق، وقد كان قال لعبد الله بن الزبير قد أتتني بيعة أربعين الفاً يحلفون لي بالطلاق والعتاق من أهل العراق، فقال: أتخرج إلى قوم قتلوا أباك، وخذلوا أخاك.

قال: وبعض الناس يزعم أن عبد الله بن عباس هو الذي قال للحسين عليه السلام ذلك.[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٥/٢٠.

وأوصى معاوية يزيد ابنه لما عقد له الخلافة بعده، فقال: إني لا أخاف عليك إلاّ ممن أُوصيك بحفظ قرابته، ورعاية حق رحمه، منْ القلوب إليه مائلة، والأهواء نحوه جانحة، والأعين إليه طامحة، وهو الحسين بن علي، فأقسم له نصيباً من حكمك، واخصصه بقسط وافر من مالك، ومتّعه بروح الحياة، وأبلغ له كلما أحب في أيامك.

فأما من عداه فثلاثة، فهم عبد الله بن عمر، رجل قد وقدته العبادة، فليس يريد الدنيا إلاّ أن تجيه طائعة، لا يراق فيها محجمة دم، وعبد الرحمن بن أبي بكر، رجل هقل لا يحمل ثقلاً، ولا يستطيع نهوضاً، وليس بذي همة ولا شرف ولا أعوان، وعبد الله بن الزبير، وهو الذئب الماكر، والثعلب الخامل، فوجّه إليه جدّك وعزمك، ونكيرك ومكرك، واضرب إليه بسطوتك، ولا تثق إليه في حال، فإنه كالثعلب راغ بالختل عند الارهاق، والليث صال بالجرة عند الاطلاق، وأما ما بعد هؤلاء، فإني وطأت لك الأُمم، وذلّلت لك أعناق المنابر، وكفيتك من قرب ومن بعد عنك، فكن للناس كما كان أبوك لهم، يكونوا لك كما كانوا لأبيك.[1]

خطب عبد الله بن الزبير أيام يزيد بن معاوية، فقال في خطبته: يزيد القرود، يزيد الفهود، يزيد الخمور، يزيد الفجور، أما والله لقد بلغني أنه لا يزال مخموراً يخطب الناس، وهو طافح في سكره، فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فما أمسى ليلته حتى جهّز جيش الحرة، وهم عشرون الفاً، وجلس والشموع

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣٣/٢٠.

بين يديه وعليه ثياب معصفرة، والجنود تعرض عليه ليلاً، فلما أبصر خرج فأبصر الجيش ورأى تعبيته، فقال:

أبلغ أبــا بكر إذا الجيش انبرى وأخذ الـقوم علـى وادي القرى

عشرين الفاً بيــن كهل وفتـى أجمع سكران مـن القوم تـرى

أم جمع ليث دونه ليث الشرى

لما خرج الحسين ﷺ من مكة إلى العراق، وضرب عبد الله بن عباس بيده على منكب ابن الزبير ويقال الحسين:

يــا لــك مــن قـبرة بـمعمر خلا لك الجوّ فبيضي واصفري

ونـقـري مـا شئت أن تنقري هــذا الـحسيـن سائر فأبشري

خلا لك الجو والله يا ابن الزبير، وسار الحسين ﷺ إلى العراق، فقال ابن الزبير: يا ابن عباس، والله ما ترون هذا الأمر إلاّ لكم، وترون أنكم أحق به من جميع الناس، فقال ابن عباس: إنما يرى من كان في شك، ونحن من ذلك على يقين، ولكن أخبرني عن نفسك بماذا تروم هذا الأمر؟ قال: بشرفي، قال: وبماذا شرّفت، إن كان لك شرف، فإنما هو بنا، فنحن أشرف منك، لأن شرفك منّا، وعلت أصواتهما، فقال غلام من آل الزبير: دعنا منك يا ابن عباس، فوالله لا تحبّوننا يا بني هاشم، ولا نحبّكم أبداً، فلطمه عبد الله بن الزبير، وقال: لا تتكلم وأنا حاضر، فقال ابن عباس: لِمَ ضربت الغلام، والله أنت أحق بالضرب

منه، من مذق ومرق، قال: ومن هو؟ قال: أنت، قال: وأعترض بينهما رجال من قريش فأسكتوهما. وقال: قتل الحسين عليه السلام يوم الطف وهو مخضوب.[1]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣٣/٢٠.

الباب
الحادي والستون
في فضل علي بن الحسين عليه السلام

ابن أبي الحديد قال: يقال: إن علي بن الحسين عليهما السلام كان يصلّي فوقعت عليه حية، فلم يتحرّك لها، ثم انسابت بين قدميه فما حرّك إحداهما عن مكانه، ولا تغيّر لونه.[1]

لما قدم جيش الحرة إلى المدينة وعلى الجيش مسلم بن عقبة استعرض أهلها بالسيف جزراً كما يجزر القصّاب الغنم حتى ساخت الأقدام في الدم، وقتل أبناء المهاجرين والأنصار، وذرّية أهل بدر، وأخذ البيعة ليزيد بن معاوية على كل من استبقاه من الصحابة والتابعين على أنه عبد قن لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية، هذه كانت صورة المبايعة يوم الحرة إلاّ علي بن الحسين بن علي عليه السلام فإنه أعظمه وأجلسه معه على سريره، وأخذ بيعته على أنه أخو أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، وابن عمه في فعاله عما بايع عليه غيره، وكان ذلك بوصاة من يزيد بن معاوية، فهرب علي بن عبدالله بن العباس ﴿رضي الله عنهم﴾ إلى أخواله من كندة، فحموه عن مسلم بن عقبة، وقالوا: لا يبايع ابن اختنا إلاّ على ما بايع عليه ابن عمه علي بن الحسين، فأبى مسلم بن عقبة ذلك، وقال: إني لم أفعل ما فعلت إلاّ بوصاة أمير المؤمنين، ولولا ذلك

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٩/١٠.

لقتلته، فإنه من أهل هذا البيت أجدر بالقتل، ولأخذت بيعته على ما أخذت بيعة غيره، وسفر السفراء فيما بينه وبينهم حتى وقع الاتفاق على أن يبايع ويقول: انا أبايع لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية، والزم طاعته، ولا يقول غير ذلك، فقال علي بن عبد الله بن العباس:

أبي العباس رأس بـنـي قصي وأخـوالـي الملوك بني وليعة

هم منعوا ذماري يوم جاءت كـتائب مسرف وبني اللكيعة

أراد بـــي التي لا عــزّ فيها فحالت دونـــه أيـــد منيعة[1]

مسرف كناية عن مسلم، وأُم علي بن عبد الله بن العباس زرعة بنت مشرح بن معدي بن كرب بن وليعة بن شرحبيل بن معاوية من كندة.

وحديث عن علي بن الحسين ﴿رضي الله عنه﴾ ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبّنا.

وقال علي بن الحسين عليه السلام: لو أنزل الله عز وجل كتاباً أنه معذب رجلاً واحداً لرجوت أن أكونه، أو أنه معذبي لا محالة ما أزددت إلاّ اجتهاداً لئلا أرجع الى نفسي بلائمة.[2]

قال: روى أبو العباس المبرد في كتاب الكامل، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لما حضرت وفاة علي بن الحسين أبي ضمني إلى صدره، ثم قال:

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٥٩/٣.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٧/١٥.

بني أُوصيك بما أوصاني به أبي يوم قتل، وبما ذكر لي أنه أبوه علي أوصاه، يا بني عليك بذل نفسك، فإنه لا يسرّ أباك بذل نفسه حمر النعم.[١]

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠٨/٧.

الباب
الثاني والستون
في فضل محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق
وموسى الكاظم وعلي بن موسى الرضا عليهم السلام

ابن أبي الحديد قال: قال عليه السلام: عجبت لمن يقنط ومعه الإستغفار.[١]

وقال: وحكى عنه عليه السلام أبو جعفر محمد بن علي الباقر ﴿رضي الله عنه﴾ قال: كان في الأرض أمانان من عذاب الله، فرفع أحدهما، فدونكم الآخر فتمسكوا به، أما الأمان الذي رفع رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما الأمان الثاني فالإستغفار، قال الله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾**.[٢]

قال الرضي رحمه الله: وهذا من محاسن الإستخراج ولطائف الإستنباط.[٣]

وقال: قال محمد الباقر عليه السلام: إني لأكره أن يكون مقدار لسان الرجل فاضلاً على مقدار علمه، كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلاً على مقدار عقله.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٩/١٨.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٤٠/١٨، الانفال/٣٣.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٤٠/١٨.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩٢/٧.

وقال: قال جعفر بن محمد: لكل شيء حلية، وحلية الرجال أوداؤه.[١]

وقال: ومن الكلام المروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: ما هلك أمريء عرف قدره.[٢]

وقال: قال: وروى أبو العباس المبرد في الكامل قال أبو عبد الله: وما أخال رجلاً يرفع نفسه فوق قدرها إلاّ من خلل في عقله.[٣]

وقال: قيل لجعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم تدعون من لا تعرفونه.[٤]

وقال: قال قاضي القضاة: ومما يذكرونه أن فاطمة عليها السلام لغضبها على أبي بكر وعمر أوصت أن لا يصلّيا عليها، وأن تدفن سرّاً منهما، فدفنت ليلاً، وهذا كما ادّعوا رواية رووها عن جعفر بن محمد وغيره.

وإن عمر ضرب فاطمة بالسوط، وضرب الزبير بالسيف، وإن عمر قصد منزلها وفيه علي والزبير والمقداد وجماعة من تخلّف عن أبي بكر، وهم مجتمعون هناك، فقال لها: ما أحد بعد أبيك أحب إلينا منك، وأيم الله لئن اجتمع هؤلاء النفر عندك لنحرقنّ عليهم، فمنعت القوم من الاجتماع، قال: ونحن لا نصدق هذه الروايات ولا نجوّزها.[٥]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٢/١٨.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٧/٧.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٧/٧.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٧/٧.

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧١/١٦.

ثم قال بعد ذلك عن قريب: قال: فأما حديث الإحراق فلو صح لم يكن طعناً على عمر، لأن له أن يهدّد من امتنع إرادة للخلاف على المسلمين لكنه غير ثابت، انتهى كلام قاضي القضاة.[١]

أقول: هذا وأمثاله يدل على أن مصالحة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأبي بكر إنما كانت بالقهر والغلبة، وليس برضا منه عليه السلام، ورواياتهم الكثيرة في الأبواب السابقة صريحة في ذلك، وحديث الإحراق مما روته العامة والخاصة بالروايات المسندة الكثيرة، تقدم بعض منها في الباب التاسع، والعجب من هؤلاء المخالفون لأهل البيت لم يجعلوا ذلك طعناً على عمر مع إنه لا يتظاهر بذلك أحد من المسلمين بوجه يخرج عن ملة الإسلام، كما لا يخفى، على أن إرادة حرق بيت الوحي والتنزيل والتأويل إلحاد وكفر بالله العظيم، وبرسوله الكريم.

وقال: قال عليه السلام وقد سئل عن معنى قولهم لا حول ولا قوة إلاّ بالله: إنا لا نملك مع الله شيئاً، ولا نملك إلاّ ما ملكنا، فمتى ملكنا ما هو أملك به منا كلفنا، ومتى أخذه منا وضع تكليفه عنا.[٢]

قال في الشرح: معنى هذا الكلام أنه عليه السلام جعل الحول عبارة عن الملكية والتصرف، وجعل القوة عبارة عن التكليف، كأنه يقول لا تملك ولا تصرف إلاّ بالله، ولا تكليف لأمر من الأُمور إلاّ بالله، فنحن لا نملك مع الله

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٢/١٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٢٠.

شيئاً، أي لا نستقل بأن لا نملك شيئاً، لأنه لولا إقداره إيانا، وخلقته لنا أحياء لم نكن مالكين ولا متصرفين، فإذا ملكنا شيئاً هو أملك به، أي أقدر عليه منا، صرنا مالكين، كالمال مثلاً حقيقة، وكالعقل والجوارح والأعضاء مجازاً، وحينئذ يكون مكلفاً لنا أمراً يتعلق بما ملكنا نحن أن يكلفنا الزكاة عند تكليفنا المال، ويكلفنا النظر عند تكليفنا العقل، ويكلفنا الجهاد والصلاة والحج وغير ذلك عند تكليفنا الأعضاء والجوارح، ومتى أخذ منا المال وضع عنا تكليف الزكاة، ومتى أخذ العقل سقط تكليف النظر، ومتى أخذ الأعضاء والجوارح سقط تكليف الجهاد، وما يجري مجراه، هذا هو تفسير قوله عليه السلام، فأما غيره ففسره بشيء آخر.[١]

قال أبو عبد الله جعفر بن محمد ﴿رضي الله عنه﴾: لا حول على الطاعة، ولا قوة على ترك المعاصي إلاّ بالله.[٢]

وقال: روي أن عبداً لموسى بن جعفر قدّم إليه صفحة فيها طعام حار، فعجل فصبّها على رأسه ووجهه، فغضب، فقال: ﴿**والكاظمين الغيظ**﴾، فقال: قد كظمت، قال: ﴿**والعافين عن الناس**﴾، قال: قد عفوت، قال: ﴿**والله يحب المحسنين**﴾ قال: أنت حرّ لوجه الله، وقد نحلتك ضيعتي الفلانية.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦/٢٠.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧/٢٠.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٦/١٨.

قال: وروي أن قوماً من المتصوّفة دخلوا خراسان على علي بن موسى الرضا عليه السلام فقالوا له إن أمير المؤمنين فكّر فيما ولاّه من الأُمور فرآكم أهل بيت أولى الناس أن تأمّوا الناس، ونظر فيكم أهل البيت، فرآك أولى الناس بالناس، فرأى أن يردّ هذا الأمر إليك، والإمامة تحتاج إلى من يأكل الجشب ويلبس الخشن، ويركب الحمار، ويعود المريض، فقال لهم: إن يوسف كان نبيّاً يلبس أقبية الديباج المزررة بالذهب، ويجلس على متكئات آل فرعون ويحكم، إنما يراد من الإمام قسطه وعدله، إذا قال صدق، وإذا حكم عدل، وإذا وعد أنجز، إن الله لم يحرم لبوساً، ولا مطعماً، ثم قرأ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ﴾، الآية.[١]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٤/١١، الاعراف/٣٢.

الباب
الثالث والستون
في الإمام الثاني عشر القائم المهدي المنتظر عليه السلام
ونزول عيسى بن مريم المسيح عليه السلام
وظهور السفياني والدجال

ابن أبي الحديد قال: قال عليه السلام: بأبي ابن خيرة الإماء.[١]

قال في الشرح: أما الإمامية فيزعمون أنه إمامهم الثاني عشر، وهو من أمة اسمها نرجس، وأما أصحابنا فيزعمون أنه فاطمي يولد في مستقبل الزمان لأُم ولد، وليس بموجود الآن.

فإن قيل: فمن يكون من بني أُميّة في ذلك الوقت موجوداً حي يقول عليه السلام في أمرهم ما قال من انتقال هذا الرجل منهم حتى يودّوا أن علياً عليه السلام كان المتولّي لأمرهم عوضاً عنه.[٢]

قيل: أما الإمامية فتقول بالرجعة، وزعموا أنه سيعاد قوم بأعيانهم من بني أُميّة وغيرهم إذا ظهر إمامهم المنتظر، وأنه يقطع أيدي أقوام وأرجلهم، ويسمل عيون بعضهم، ويصلب قوماً آخرين، وينتقم من أعداء آل محمد عليهم السلام المتقدّمين والمتأخرين.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٨/٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٩/٧.

وأما أصحابنا فيزعمون أنه سيخلق الله تعالى في آخر الزمان رجلاً من ولد فاطمة، ليس بموجود الآن، وأنه يملأ الأرض به عدلاً كما ملئت جوراً، وينتقم من الظالمين، وينكل بهم أشدّ النكال، وأنه لأُم ولد، كما قد ورد في هذا الأثر وفي غيره من الآثار، وإن اسمه محمد كإسم رسول الله ﷺ، وأنه إنما يظهر بعد أن يستولي على كثير من الإسلام ملك من أعقاب بني أُميّة، وهو السفياني الموعود به في الخبر الصحيح من ولد أبي سفيان بن حرب بن أميّة، فإن الإمام الفاطمي يقتله، ويقتل أشياعه من بني أُميّة وغيرهم، وحينئذ ينزل المسيح عليه السلام من السماء وبيده أشراط الساعة، وتظهر دابة الأرض، ويبطل التكليف، ويتحقق قيام الأجساد عند نفخ الصور، كما نطق به الكتاب العزيز.[1]

وقال: ومن خطبة له عليه السلام يومىء فيها إلى الملاحم: أُخذوا يميناً وشمالاً، طعناً في مسالك الغي، وتركاً لمذاهب الرشد، فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد، ولا تستبطئوا ما يجيء بعد الغد، فكم مستعجل بما هو آت، ودّ أنه لم يدركه، وما أقرب اليوم من تباشير غد، يا قوم هذا أبان ورود كل موعود، ودنو من طلعة ما لا تعرفون، ألا ومن أدركها منّا يسري فيها بسراج منير، ويحذو فيها على مثال الصالحين، ليحل فيها ربقاً، ويعتق رقّاً، ويصدع شعباً، ويشعب صدعاً، في سترة عن الناس، لا يبصر القائف أثره، ولو تابع نظره، ثم ليشحذن فيها قوم شحذ القين

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٩/٧.

النصل، تجلى بالتنزيل أبصارهم، ويرمى بالتفسير في مسامعهم، ويغبقون كأس الحكمة بعد الصبوح.[١]

قال في الشرح: و تباشير الصبح أوائله، ثم قال يا قوم قد دنى وقت القيامة، وظهور الفتن التي تظهر أمامها، وأبان الشيء -بالكسر والتشديد- وقته وزمانه، وكنّى عن تلك الأهوال بقوله ودنو من طلعة ما لا يعرفون، لأن تلك الملاحم والأشراط الهائلة غير معهود مثلها، نحو دابة الأرض، والدجّال وفتنته، وما يظهر على يده من المخاريق، والأُمور الموهمة، وواقعة السفياني، وأن يقتل فيها من الخلائق التي لا تحصى عددهم، ثم ذكر أن مهدي آل محمد عليه السلام وهو الذي عناه بقوله وإن من أدركها منّا يسري في ظلمات هذه الفتن بسراج منيرة، هو المهدي، وابتاع الكتاب والسنّة، ويحذو فيها يقتفي، ويتبّع مثال الصالحين، ليحلّ في هذه الفتن، وربقاً، أي حبلاً معقوداً، ويعتق رقّاً، أي يستفك أسرى، وينقذ مظلومين من أيدي الظالمين، ويصدع شعباً، أي يفرق جماعة من جماعات الضلال، ويشعب صدعاً بجمع ما تفرّق من كلمة أهل الهدى والإيمان.[٢]

قوله عليه السلام في سترة عن الناس، هذا الكلام يدل على استتار هذا الانسان المشار إليه، وليس ذلك بنافع للإمامية في مذهبهم، وإن ظنوا أنه تصريح بقولهم، وذلك لأنه من الجائز أن يكون هذا الإمام يخلقه الله تعالى في

---

[١] - نهج البلاغة ٣٥/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٧/٩.

آخر الزمان ويكون مستتراً مدة، وله دعاة يدعون إليه، ويقررون أمره، ثم يظهر بعد ذلك الاستتار ويملك الممالك، ويقهر الدول، ويمهّد الأرض، كما ورد في الخبر قوله ولا يبصر القائف، أي هو في استتار شديد لا يدركه القايف، وهو الذي يعرف الآثار، والجمع قافة، ولا يعرف أثره، ولو استقصى في الطلب، وتابع النظر والتأمّل.[1]

وتقول شحذت السكين أشحذة شحذاً، أي أحددته، يريد ليحرضن في هذه الملاحم القوم على الحرب، وقيل أهل الضلال، وليوهنن عزائمهم كما شحذ الصيقل السيف، ويطلق حدّه، ثم وصف هؤلاء القوم المستحوذي العزائم، فقال تجلى بصائرهم بالتنزيل، أي يكشف الدين والغطاء عن قلوبهم بتلاوة القرآن، والهامهم تأويله، ومعرفة أسراره، ثم صرّح بذلك فقال ويرمي بالقير في مسامعهم، أي يكشف لهم الغطاء، وتخلق المعارف في قلوبهم، ويلهمون فيهم الغوامض والأسرار الباطنة، ويعبقون كأس الحكمة بعد الصبوح، أي لا تزال المعارف الربّانية، والأسرار الإلهية تفيض عليهم صباحاً ومساء، فالعبوق كناية عن الفيض الحاصل لهم في الآصال، والصبوح كناية عما يحصل لهم منه في الغدوات، وهؤلاء هم العارفون الذين جمعوا بين الزهد والحكمة والشجاعة، وحقيق بمثلهم أن يكونوا أنصاراً لولي الله الذي

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢٨/٩.

يجتبيه ويخلقه في آخر أوقات الدنيا، فيكون خاتمة أوليائه، والذي تلقى عصا التكليف عنده.[1]

وقال: قال أبو الفرج: فحدثني محمد بن أحمد بن عبيد الله، قال: حدثنا الفضل بن الحسن البصري، قال: حدثنا ابن عمرو، قال: حدثنا مكي بن إبراهيم، قال: حدثنا السري بن إسماعيل، عن الشعبي، عن سفيان بن أبي ليلى، قال أبو الفرج: وحدثني به أيضاً محمد بن الحسين الاشناندانى، وعلي بن العباس المقانعي، عن عباد بن يعقوب، عن عمر بن ثابت، عن الحسن بن الحكم، عن عدي بن ثابت، عن سفيان بن أبي ليلى، عن الحسن بن علي ﴿رضي الله عنه﴾ قال: قال لي: ما جاء بك يا سفيان؟ قلت: حبّكم والذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق، قال: فابشر يا سفيان، فإني سمعت علياً يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يرد عليّ الحوض من أهل بيتي، ومن أحبّهم من أُمّتي كهاتين من آل محمد عليه السلام.[2]

قال: فإن قلت: فمن هو إمام الحق من آل محمد؟

قلت: أما الإمامية فتزعم أنه صاحبهم الذي يعتقدون أنه حي في الأرض، وأما أصحابنا فيزعمون أنه فاطمي يخلقه الله في آخر الزمان.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٢٩/٩.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٤/١٦.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٥/١٦.

قال: ومن كلامه عليه السلام المتضمّن ألفاظاً من الغريب يحتاج إلى تفسير قوله عليه السلام في حديثه، فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه، فيجتمعون إليه كما يجتمع قزع الخريف.[١]

قال: قال الرضي رحمه الله: يعسوب الدين السيّد العظيم، الملك لأُمور المسلمين، والقزع قطع الغيم التي لا ماء فيها.[٢]

قال في الشرح: أصاب في اليعسوب، وأما في القزع فلا يشترط فيها أن تكون خالية من الماء، بل القزع قطع من السحاب رقيقة، سواء كان فيها ماء أو لم يكن، الواحدة قزعة، وإنما غرّه قول الشاعر يصف جيشاً بالخفة والقلّة:

كأن رعاله قزع الجهام

وليس يدل ذلك على ما ذكره، لأن الشاعر أراد المبالغة، فإن الجهام الذي لا ماء فيه إذا كان اقطاعاً متفرّقة خفيفة، كان ذكره أبلغ فيما يريده من التشبيه، وهذا الخبر من أخبار الملاحم التي كان يخبر بها عليه السلام وهو يذكر المهدي الذي يوجد عند أصحابنا في آخر الزمان.

ومعنى قوله ضرب بذنبه، أقام وثبت بعد اضطرابه، وذلك لأن اليعسوب فحل النحل وسيّدها، وهو أكثر زمانه طائر بجناحيه، وإذا ضرب بذنبه الأرض فقد أقام وترك الطيران والحركة.[٣]

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٤/١٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٤/١٩.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٤/١٩.

قال: فإن قلت: هذا يسند مذهب الإمامية في أن المهدي خائف مستتر، ينتقل في الأرض، وأنه في آخر الزمان يظهر، ويثبت ويقيم في دار ملكه.

قلت: لا يبعد على مذهبنا أن يكون الإمام المهدي الذي يظهر آخر الزمان مضطرب الأمر، منتشر الملك في أول أمره، لمصلحة يعلمها الله تعالى، ثم بعد ذلك يثبت ملكه، وتنتظم أموره.[١]

وقال من خطبة له عليه السلام: قد لبس للحكمة جنّتها، وأخذها بجميع أدبها، من الإقبال عليها، والمعرفة بها، والتفرّغ لها، فهي عند نفسه ضالته التي يطلبها، وحاجته التي يسأل عنها، فهو مغترب إذا اغترب الإسلام، وضرب بعسيب ذنبه، وألصق الأرض بجرانه، بقية من بقايا حججه، خليفة من خلائف أنبيائه.[٢]

قال في الشرح: هذا الكلام فسره كل طائفة على حسب اعتقادها، فالإمامية تزعم أنه المهدي المنتظر عندهم، والصوفية يزعمون أنه يعني به ولي الله في الأرض، وعندهم أن الدنيا لا تخلو من الأبدال، وهم أربعون، وعن الأوتاد وهم سبعة، وعن القطب وهو واحد، فإذا مات القطب صار أحد السبعة قطباً، وصار أحد الأربعين وتداً عوض ذلك الوتد، وصار بعض الأولياء الذين يصطفيهم الله تعالى بدلاً عوض ذلك البدل.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٥/١٩.

[٢] - نهج البلاغة ١٠٨/٢.

وأصحابنا يزعمون أنه تعالى لا يخلو الأُمة من جماعة من المؤمنين العلماء بالعدل والتوحيد، وإن الإجماع إنما يكون حجة باعتبار أقوال أُولئك العلماء، لكنه لما تعذرت معرفتهم بأعيانهم، اعتبر إجماع سائر العلماء، وإنما الأصل قول أولئك.

قالوا: وكلام أمير المؤمنين عليه السلام ليس يشير فيه إلى جماعة أُولئك العلماء من حيث هم جماعة، ولكنه يصف حال كل واحد منهم، فيقول من صفته كذا، ومن صفته كذا.

والفلاسفة يزعمون أن مراده عليه السلام بهذا الكلام العارف، ولهم في العرفان وصفات أربابه كلام يعرفه من أنس بأقوالهم، وليس يبعد عندي أنه يريد به القائم من آل محمد عليهم السلام في آخر الوقت إذا خلقه الله تعالى، وإن لم يكن الآن موجود، فليس في الكلام ما يدل على وجوده الآن، وقد وقع اتّفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أن الدنيا والتكليف لا ينقضي إلاّ عليه.[١]

قوله عليه السلام قد لبس للحكمة جنّتها، الجنة ما يستتر به من السلاح كالدرع ونحوها، ولبس جنّة الحكمة قمع النفس عن الشبهات، وقطع علائق النفس عن المحسوسات، فإن ذلك مانع للنفس عن أن يصيبها سهام الهوى، كما يمنع الدرع الدرّاع عن أن تصيبه سهام الرماة، ثم عاد إلى صفة هذا الشخص فقال وأخذها بجميع آدابها من الاقبال عليها، أي شدّة الحرص والهمّة، ثم قال والمعرفة بها، أي والمعرفة بشرفها ونفاستها، ثم قال والتفرّغ

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٥/١٠.

لها، لأن الذهن متى وجّهته نحو معلومين تخبط وفسد، وإنما يدرك الحكمة بتخلية السرّ من كل ما مر سواها، قال فهي عند نفسه ضالته، أي يطلبها، هذا قوله عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن، ومن كلام الحكماء لا يمنعك من الالتفات بالحكمة من وجدتها حقارة عنده، كما لا يمنعك خبث تراب المعدن من التقاط الذهب.

ووجدت بخط أبي محمد عبد الله بن أحمد الخشاب رحمه الله في تعاليق مسودة أبياتها للعطوي وهي:

قد رأينا الغزال والغصن والنجميـن
ثـم الـضـحـى وبـدر الـتـمـام
فـوحـق الـبيـان يعضده البرهان
فـي مـأقـط شـديـد الـخـصام
مـا رأيـنـا سـوى الـمـليحـة شيئاً
جـمـع الحـسـن كـلـه فـي نظام
هي تجري مجرى الاصالة في الرأي
ومـجـرى الأرواح فـي الأجـسام

وقد كتب ابن الخشاب بخطه تحت المليحة ما أصدقه إن أراد بالمليحة الحكمة.[1]

[1] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٧/١٠.

قوله عليه السلام وحاجته التي يسأل عنها هو مثل قوله ضالته التي يطلبها، قال فهو مغترب إذا اغترب الإسلام، يقول هذا الشخص يخفي نفسه، ويحملها إذا اغترب الإسلام، واغتراب الإسلام أن يظهر الفسق والجور على الصلاح والعدل، قال عليه السلام بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدا.[1]

قال: وضرب بعسيب ذنبه، وألصق الأرض بجرانه، هذا من تمام قوله إذا اغترب الإسلام، أي إذا صار الإسلام غريباً، والحق مقهوراً، وصار الإسلام كالبعير البارك، يضرب الأرض بعسبه، وهو أصل الذنب، ويلصق جرانه، وهو صدره بالأرض، فلا يكون له تصرف نهوض، ثم عاد إلى صفة الشخص المذكور، فقال بقية من بقايا حججه، خليفة من خلفاء أنبيائه، الضمير ها هنا يرجع إلى الله سبحانه، وإن لم يجر ذكره للعلم به، كما قال ﴿**حتى توارت بالحجاب**﴾، ويمكن أن يقال: إن الضمير يعود إلى مذكور، وهو الإسلام من بقايا حجج الإسلام، وخليفة من خلائف أنبياء الإسلام.

فإن قلت: بل له أنبياء كثيرة، قال الله تعالى ﴿**ملة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل**﴾، وقال سبحانه: ﴿**ثم أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفاً**﴾، وكل الأنبياء دعوا إلى ما دعا إليه محمد، من التوحيد والعدل، فكلهم أنبياء للإسلام.[2]

فإن قلت: أليس لفظ الحجة، ولفظ الخليفة يشعر بما تقول الإمامية.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩٧/١٠.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩٨/١٠.

قلت: لا، فإن أهل التصوّف يسمّون صاحبهم حجة وخليفة، وكذلك الفلاسفة، وأصحابنا لا يمنعون من اطلاق هذه الألفاظ على العلماء المؤمنين في كل عصر، لأنهم حجج الله، أي إجماعهم حجة، وقد استخلفهم في أرضه ليحكموا بحكمه وعلى ما اخترناه نحن فالجواب ظاهر.[١]

وقال: قال شيخنا أبو عثمان رحمه الله قال أبو عبيدة: وزاد فيها في خطبته عنه عليه السلام في رواية جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، وساق كلاماً يأتي إن شاء الله تعالى في الباب الآتي، وفي آخر الكلام: وبنا فتح الله لا بكم، وبنا يختم الله لا بكم.[٢]

قال في الشرح: وأما التتمّة المروية عن جعفر بن محمد عليهما السلام فواضحة الألفاظ، وقوله في آخرها بنا يختم الله لا بكم، إشارة إلى المهدي الذي يظهر في آخر الزمان، وأكثر المحدثين على أنه من ولد فاطمة عليها السلام، وأصحابنا المعتزلة لا ينكرونه، وقد صرحوا بذكره في كتبهم، وأعترف به شيوخهم إلاّ أنه عندنا لم يخلق بعد، وسيخلق، وإلى هذا المذهب ذهب أصحاب الحديث، أيضاً وروى قاضي القضاة رحمه الله عن كافي الكفاة أبي القاسم إسماعيل بن عبّاد رحمه الله بإسناد متصل بعلي عليه السلام أنه ذكر المهدي وقال إنه من ولد الحسين عليه السلام، وذكر حليته فقال: رجل أجلى الجبين، أقنى الأنف، ضخم البطن، أزيل

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠/٩٨.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٢٧٦.

الفخذين، أبلج الثنايا، بفخذه اليمنى شامة، وذكر هذا الحديث بعينه عبد الله بن قتيبة في كتاب غريب الحديث.[١]

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨١/١.

الباب
الرابع والستون
في أمر رسول الله ﷺ بولاية علي عليه السلام والإقتداء بالأئمة من بعده عترته ﷺ وفضل آل محمد وأهل بيته عليهم السلام

ابن أبي الحديد قال: قال رسول الله ﷺ: من سرّه أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه، ويقتدي بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهماً وعلماً، فويل للمكذبين من أُمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي.[1]

قال ذكره صاحب حلية الأولياء.[2]

قال عليه السلام: إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا، إذ نظر الناس إلى ظاهرها، واشتغلوا بآجلها، إذا اشتغل الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما أحسّوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم، ورأوا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٠/٩.

[2] - حلية الاولياء ٨٦/١

استكثار غيرهم منها استقلالاً، وبهم علموا، وبهم قام الكتاب، وبهم قاموا، لا يرجون مرجواً فوق ما يرجون، ولا مخوفاً فوق ما يخافون.[١]

قال في الشرح: هذا يصلح أن تجعله الإمامية شرح حال الأئمة المعصومين على مذاهبهم، لقوله فوق ما يرجون بهم علم الكتاب وبه عملوا.[٢]

ومن خطبة له عليه السلام لما بويع بالمدينة وساق الخطبة: ألا وإن التقوى مطايا ذلل، حمل عليها أهلها، وأُعطوا أزمّتها، فأوردتهم الجنة، حق وباطل، ولكل أهل، فلئن أمر الباطل لقديماً فعل، ولئن قلّ الحقّ لربما ولعلّ، وقلّ ما أدبر شيء فأقبل.

ومن هذه الخطبة: شغل من الجنة والنار أمامه، ساع سريع نجا، وطالب بطيء رجا، ومقصر في النار هوى، اليمين والشمال مضلة، والطريق الوسطى هي الجادة، عليها باقي الكتاب، وآثار النبوّة، منها منفذ السنّة، وإليها مصير العاقبة، هلك من ادّعى، وخاب من افترى، من أبدى صفحته للحقّ هلك، وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره، لا يهلك على التقوى سنخ أصل، ولا يظمأ عليها زرع قوم، فاستتروا في بيوتكم، وأصلحوا ذات بينكم، والتوبة من ورائكم، ولا يحمد حامد إلاّ ربّه، ولا يلم لائم إلاّ نفسه.[٣]

---

[١] - نهج البلاغة ١٠١/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٧/٢٠.

[٣] - نهج البلاغة ٥٠/١.

قال: قال الرضي أبو الحسن رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ: وأقول: إن في هذا الكلام الادنى من مواقع الإحسان ما لا يبلغه مواقع الاستحسان، وإن حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به، وفيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان، ولا يطّلع فجّها إنسان، ولا يعرف ما أقوله إلاّ من ضرب في هذه الصناعة بحق، وجرى فيها على عرق، وما يعقلها إلاّ العالمون.[1]

قال في الشرح: قال شيخنا أبو عثمان رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ يعني الجاحظ وقال أبو عبيدة وزاد فيها في رواية جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام ألا إن أبرار عترتي، وأطائب أرومتي، أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً، ألا وإنا أهل بيت من علم الله علّمنا، وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادق سمعنا، فإن تتّبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا، معنا راية الحق من تبعها لحق، ومن تأخّر عنها غرق، ألا وبنا يدرك ترة كل مؤمن، وبنا يخلع ربقة الذل عن أعناقكم، وبنا فتح الله لا بكم، وبنا يختم الله لا بكم، وساق كلامه في الشرح إلى أن قال: وأما التتمّة المروية عن جعفر بن محمد عليهما السلام فواضحة الألفاظ، وقوله في آخرها، وبنا يختم الله لا بكم، إشارة إلى المهدي الذي يظهر في آخر الزمان، وساق كلامه، وقد ذكرناه في الباب السابق.[2]

قال: قال عليه السلام قد خاضوا بحار الفتن، وأخذوا بالبدع دون السنن، وأرز المؤمنون، ونطق الضالون المكذّبون، نحن الشعار

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٣/١.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٦/١.

والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلاّ من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمّي سارقاً، فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا، فليصدق رائد أهله، وليحضر عقله، وليكن من أبناء الآخرة، فإنه منها قدم، وإليها يتقلّب، فالناظر بالقلب، العامل بالبصر، يكون متبدئاً علمه أن يعلم، أعمله عليه أم له، فإن كان له مضى، وإن كان عليه وقف، وإن العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلا يزيد بعده عن الطريق إلاّ بعداً من حاجته، والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح، فلينظر ناظر سائر أم هو راجع.[1]

قال في الشرح: قوله فيهم يرجع إلى آل محمد عليهم السلام الذي عناهم بقوله نحن الشعار والأصحاب.[2]

وقال: قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري صاحب كتاب السقيفة: حدثني أبو الحسن علي بن سليمان النوفلي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني شريك بن عبد الله، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن زيد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده، قال علي عليه السلام: كنت مع الأنصار لرسول الله على السمع والطاعة له في المحبوب والمكروه، فلما عزّ الإسلام، وكثر أهله، قال: يا علي زد فيها، وعلى أن تمنعوا رسول الله أهل بيته ما تمنعون فيه أنفسكم

---

[1] - نهج البلاغة ٤٣/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٦/٩.

وذراريكم، قال: فحملتها على ظهور القوم، فوفى بها من وفى، وهلك من هلك.[١]

قال: قلت: يطابق ما رواه أبو الفرج الأصفهاني في كتاب مقاتل الطالبيين أن جعفر بن محمد عليه السلام وقف مستتراً خفية يشاهد المحامل التي حمل عليها عبد الله بن الحسن وأهله في القيود والحديد من المدينة إلى العراق، فلما مرّوا به بكى، وقال: ما وفت الأنصار، ولا أبناء الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وآله، بايعهم على أن يمنعوا محمداً وأبناه وأهله وذرّيته مما يمنعون منه أنفسهم وأبناءهم وأهليهم وذراريهم، فلم يفوا، اللهمّ أُشدد وطأتك على الأنصار، وقال عليه السلام نحن النمرقة الوسطى، بها يلحق التالي، وإليها يرجع الغالي.[٢]

قال في الشرح: المراد أن آل محمد ﴿عليه وعليهم السلام﴾ الأمر المتوسط بين الطرفين المذمومين، فكل من جاوزهم فالواجب أن يرجع إليهم، وكل من قصر عنهم فالواجب أن يرجع اليهم، وكل من قصر عنهم فالواجب أن يلحق بهم.[٣]

قوله عليه السلام: زرعوا الفجور، وحصدوا الغرور، وسقوا بالثبور، ولا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٤/٦.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٤/٦.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٣/١٨.

عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة، الآن إذ رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله.[1]

قال في الشرح: إشارته هذه ليست إلى المنافقين كما ذكره الرضي رحمه الله ،وإنما هي إشارة إلى من تغلب عليه، وجحد حقه، كمعاوية وغيره، ولعل الرضي رحمه الله عرف ذلك، وكنّى عنه، ثم عاد إلى الثناء على آل محمد فقال: هم أُصول الدين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، جعلهم كمنقب يسير في فلاة، فالغالي منه، أي الفارط المتقدّم الذي قد غلا في سيره، يرجع إلى ذلك المقنب إذا خاف عدواً، ومن قد تخلّف عن ذلك المقنب فصار تالياً له يلتحق به إذا أشفق من أن يتخطّف، ثم ذكر خصائص حق الولاية، والولاية الإمرة.

فأما الإمامية فيقولون أراد نص النبي صلى الله عليه وآله وعلى أولاده، ونحن نقول لهم خصائص حق ولاية الرسول صلى الله عليه وآله على الخلق، ثم قال عليه السلام وفيهم الوصية والوراثة.

أما الوصية فلا ريب عندنا أن علياً عليه السلام كان وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وإن خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد، ولسنا نعني بالوصية النص والخلافة ولكن أُموراً أُخرى لعلها إذا لمحت أشرف وأجل.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٣٨/١، نهج البلاغة ٣٠/١.

وأما الوراثة فالإمامية يحملونها على ميراث المال والخلافة، ونحن نحملها على وراثة العلم.

ثم ذكر عليه السلام أن الحق رجع الآن إلى حقه، وهذا يقتضي أن يكون فيما قبل في غير أهله، ونحن نتأول على غير ما تذكره الإمامية ونقول أنه عليه السلام كان أولى بالأمر وأحق، لا على وجه النص، بل على وجه الأفضلية، فإنه أفضل البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأحق بالخلافة من جميع المسلمين لكنه ترك حقه لما علمه من المصلحة، وما تفرّس فيه هو والمسلمون من اضطراب الإسلام، وانتشار الكلمة لحسد العرب له، وضغنهم عليه، وجائز لمن كان أولى بشيء فتركه، ثم استرجعه أن يقول قد رجع الأمر إلى أهله، وأما قوله انتقل إلى منتقلة، ففيه مضاف محذوف، تقديره إلى موضع منتقلة، والمنتقل - بفتح القاف- مصدر بمعنى الانتقال.[1]

وقال: قد روي أن أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه: يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيّانا، وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبّونا من الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وقد أخبر أنا أولى الناس بالناس، فتمالئت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه، وأحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا، ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل، فبويع الحسن ابنه وعوهد ثم غدر به، وأسلم، ووثب عليه أهل العراق حتى

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣٩/١.

طعن بخنجر في جنبه، وأنتهب عسكره، وعولجت خلاخيل أُمّهات أولاده، فوادع معاوية، وحقن دمه ودماء أهل بيته، وهم قليل، ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون الفاً ثم غدر به، وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم فقتلوه، ثم لم يزل أهل البيت تستذلّ وتستضام، ونقضي ونمتهن، ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون إلى أوليائهم، وقضاة السوء، وعمّال السوء في كل بلدة فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، وهم رووا عنّا ما لم نقله، ولم نفعله ليبغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن، فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكان من ذكر محبّتنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمن عبيد الله بن زياد، قاتل الحسين عليه السلام، ثم جاء الحجّاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنّة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي، وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير، ولعلّه يكون ورعاً صدوقاً، يحدّث بأحاديث عظيمة من تفضيل من قد سلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها، ولا كانت ولا وقعت، وهو يجيب أنها حق لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب، ولا بقلّة ورع.[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٣/١١.

قال: ومن كلام له وقد أتى إليه بحلوى هدية فقال عليه السلام: صلة أم زكاة أم صدقة فذلك محرّم علينا أهل البيت فقال لا ذا ولا ذاك ولكنّها هدية.[١]

قال في الشرح: قلت: أراد بقوله أهل البيت الأشخاص الخمسة، وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فهؤلاء خاصة دون غيرهم من بني هاشم محرّم عليهم الصلة وقبول الصدقة، فأما غيرهم من بني هاشم فلا يحرم عليهم إلاّ الزكاة الواجبة خاصّة.[٢]

فإن قلت: كيف قلت إن هؤلاء الخمسة يحرم عليهم قبول الصلات، وقد كان حسن وحسين عليهما السلام يقبلان صلات معاوية.

قلت: كلا لم يقبلا صلاته، ومعاذ الله أن يقبلاها، وإنما قبلا منه ما كان يعطي إليهما من جملة حقهما من بيت المال، فإنه سهم ذوي القربى.[٣]

وقال: ومن كلام له عليه السلام: لو ما نهى الله عنه من تزكية المرء لنفسه، لذكر ذاكر فضائل جمّة، تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمجّها آذان السامعين، فدع عنك من مالت به الرمية، فأنا صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا.[٤]

---

[١] - نهج البلاغة ٢١٨/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٨/١١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٤٩/١١.

[٤] - نهج البلاغة ٣١/٣.

قال في الشرح: قال عليه السلام فإنا صنائع ربّنا، والناس بعد صنائع لنا، هذا كلام عظيم عال على الكلام، ومعنى عال على المعاني، وضيعة الملك يصطفيه الملك، ويرفع قدره يقول ليس لأحد من البشر علينا نعمة، بل الله تعالى هو الذي أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة، والناس بأسرهم صنائعنا نحن، فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى، وهذا مقام جليل ظاهره ما سمعت، وباطنه أنهم عبيد الله، وإن الناس عبيدهم.[1]

قال: وروى عبد الله بن مسعود قال: نعى إلينا نبيّنا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر، جمعنا في بيت أُمّنا عائشة، فنظر إلينا ودمعت عينيه، وقال: مرحباً بكم، حياكم الله، رحمكم الله، آواكم الله، حفظكم الله، رفعكم الله، وفّقكم الله، رزقكم الله، هداكم الله، نصركم الله، سلّمكم الله، تقبّلكم الله، أُوصيكم بتقوى الله، وأُوصي الله بكم، وأستخلفه عليكم، إني لكم منه نذير وبشير، ألا تعلو على الله في عباده وبلاده، فإنه قال لي ولكم ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الأخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ فقلنا: يا رسول الله، فمتى أجلك؟ قال: قد دنا الفراق، والمنقلب إلى سدرة المنتهى، والرفيق الأعلى، والعيش المهنأ، قلنا: فمن يغسلك يا رسول الله؟ قال: أهل بيتي الأدنى فالأدنى، قلنا: فيم نكفّنك؟ قال: في ثيابي هذه أو في بياض مصر أو حلّة يمنية، قلنا: فمن يصلّي عليك؟ قال: إذا غسّلتموني وكفّنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري، ثم أخرجوا عنّي ساعة، فإن أول من

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩٤/١٥.

يصلّي عليّ جليسي وحبيبي وخليلي جبرئيل، ثم ميكائيل، ثم اسرافيل، ثم ملك الموت مع جنوده من الملائكة، ثم ادخلوا عليّ فوجاً فوجاً، فصلّوا عليّ وسلّموا، ولا تؤذوني بتزكية ولا ضجّة، ولا رنّة، وليبدأ بالصلاة عليّ رجال أهل بيتي، ثم نساؤهم، ثم أنتم بعد، وأقرأوا لأنفسكم مني السلام، ومن غاب من أهلي فأقرأوه مني السلام، ومن تابعكم بعدي على ديني فاقرأوه مني السلام، فإني أشهدكم أني قد سلّمت على من تابعني على ديني إلى يوم القيامة، قلنا: فمن يدخلك قبرك يا رسول الله؟ قال: أهل بيتي مع الملائكة كثيرة يرونكم ولا ترونهم.[1]

قال: وروى عبد الله بن عمر قال: كنت عند أبي يوماً وعنده نفر من الناس فجرى ذكر الشعر، فقال: من أشعر العرب؟ فقالوا: فلان وفلان، فطلع عبد الله بن عباس فسلّم وجلس، فقال عمر: قد جاءك الخبير، من أشعر الناس يا عبدالله؟ قال: زهير بن أبي سلمة، قال: ما تنشدني ما تستجيده له؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنه مدح قوماً من غطفان يقال لهم بنو سنان فقال:

لو كان يعقد فوق الشمس من كرم
قوم بأوّلهم أو مجدهم قعدوا

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم
طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٩/١٣.

إنس اذا أمـنـوا جـن إذا افزعوا

مـرزؤن بـهـالـيـل إذا جـهـدوا

محسدون على ما كان مـن نـعـم

لا ينزع الله مـنهم مـا لـه حـسـدوا

فقال عمر: قاتله الله، لقد أحسن، ولا أرى هذا المدح إلاّ يصلح لهذا البيت من هاشم، لقرابتهم من رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: وفقك الله يا أمير المؤمنين، فلم تزل موفقاً، قال: يا ابن عباس أتدري ما منع الناس منكم؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، قال: لكني أدري، قال: ما هو؟ قال: كرهت قريش أن يجتمع لكم النبوّة والخلافة، فتجحفوا الناس جحفاً، فنظرت قريش لأنفسها فأختارت، ووفّقت فأصابت، فقال ابن عباس: أيميط أمير المؤمنين عني غضبه فيسمع، قال:قل ما تشاء، قال: أما قول أمير المؤمنين أن قريشاً كرهت فإن الله تعالى قال لقوم ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾، وأما قولك يجحفوا فلو جحفنا بالخلافة لجحفنا بالقرابة، ولكن أخلاقنا مشتقّة من خُلُق رسول الله ﷺ الذي قال الله تعالى: ﴿وَأنكَ لَعَلَى خُلُق عَظِيم﴾ وقال له: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾، إن الله اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت قريش، فقال عمر: على رسلك يا ابن عباس، أبت قلوبكم يا بني هاشم إلاّ غشاً في أمر قريش لا يزول، وحقداً عليها لا يحول، فقال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الغش، فإن قلوبهم من قلب رسول الله ﷺ

الذي طهّره الله وزكّاه، وهم أهل البيت الذين قال الله تعالى: ﴿أنمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، وأما قولك حقد فكيف لا يحقد من غصب شيئه ويراه في يد غيره، فقال عمر: أما أنت يا عبدالله فلقد بلغني كلام أكره أن أُخبرك فتزلّ منزلتك عندي، قال: وما هو أخبرني به؟ فإن يك باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه، وإن يك حقاً فإن منزلتي عندك لا تزول به، قال: بلغني أنك لا تزال تقول أُخذ هذا الأمر منّا حسداً، فقد حسد إبليس آدم، فأخرجه من الجنة، فنحن بنو آدم المحسودون، وأما قولك ظلماً فأمير المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو، ثم قال: يا أمير المؤمنين ألم تحتجّ العرب على العجم بحقّ رسول الله ﷺ، وأحتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله، فنحن أحق برسول الله من سائر قريش، فقال عمر: الآن فأرجع إلى منزلك، فقام، فلما ولى هتف به عمر أيّها المنصرف إني على ما كان منك لراع حقّك، فالتفت ابن عباس فقال: إن لي عليك وعلى كل المسلمين حقاً برسول الله، فمن حفظه فحظ نفسه حفظ، ومن أضاعه فحق نفسه أضاع، ثم مضى، فقال عمر لجلسائه: واهاً لابن عباس ما رأيته لاحى قط أحداً إلاّ خصمه.[1]

قال: وروى يحيى بن سعيد قال: أمر عمر الحسين بن علي عليهما السلام أن يأتيه في بعض الحاجة، فلقي الحسين عبد الله بن عمر فسأله من أين جاء، قال: استأذنت على أبي فلم يأذن لي، فرجع الحسين، ولقيه عمر من الغد، فقال له:

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٢/١٢.

ما منعك ياحسين أن تأتيني؟ قال: قد أتيتك ولكن أخبرني ابنك عبد الله أنه لم يؤذن له عليك فرجعت، فقال عمر: وأنت عندي مثله، وهل أنبت الشعر على الرأس غيركم.[١]

قال: قوله عليه السلام يوم الشورى لما تكلم الحمد لله الذي اتّخذ محمداً منّا نبيّاً، وابتعثه إلينا رسولاً، فنحن أهل بيت النبوة، ومعدن الحكمة، أمان لأهل الأرض، ونجاة لمن طلب، إن لنا حقاً إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب اعجاز الإبل وإن طال السرى، لو عهد إلينا رسول الله عهداً لأنفذنا عهده، ولو قال لنا قولاً لجالدنا عليه حتى نموت، لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق، وصلة رحم، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، والأمر إليك يا ابن عوف على صدق النية، وجهد النصح، وأستغفر الله لي ولكم.[٢]

وقال: ومن كلام له عليه السلام: وآخر قد تسمّى عالماً وليس به، فأقبس جهائل من جهّال، وأضاليل من ضلال، ونصب للناس شركاً من حبال غرور، وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحق على أهوائه، يؤمن الناس من العظائم، ويهون كبير الجرائم، يقول أقف عند الشبهات وفيها وقع، ويقول أعتزل البدع وبينها اضطجع، فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصدّ عنه، وذلك ميت الأحياء، فأين تذهبون، وأنى

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦٦/١٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩٥/١.

تؤفكون، والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم، وكيف تعمهون، وبينكم عترة نبيّكم، وهم أزمّة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردّوهم ورود الهيم العطاش.

أيّها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله إنه من مات منّا وليس بميّت، ويبلى من بلى منّا وليس ببال، فلا تقولوا ما لا تعرفون، فإن أكثر الحق فيما تنكرون، واعذروا من لا حجة لكم وهو أنا، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر، وأترك فيكم الثقل الأصغر، وركّزت فيكم راية الإيمان، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام، وألبستكم العافية من عدلي، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي، فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر، ولا تتغلغل إليه الفكر.[1]

قال في الشرح: والأعلام المعجزات هاهنا، جمع علم، وأصلها الجبل والراية والمنار ينصب في الفلاة ليهتدي بها، قوله فأين يتاه بكم، أي أين يذهب بكم في التيه، ويقال أرض تيها يتحيّر سالكها، ويعمهون يتحيّرون ويضلّون، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله أهله ونسله، وليس بصحيح قول من قال إنه رهطه وإن بعدوا، وإنما قال أبو بكر ﴿رضي الله عنه﴾ يوم السقيفة أو بعده

[1] - نهج البلاغة ١٥٤/١.

نحن عترة رسول الله وبيضته التي فقأت عنه على طريق المجاز، لأنهم بالنسبة إلى الأنصار عترة له لا في الحقيقة، ألا ترى أن العدناني يفاخر القحطاني ويقول له أنا ابن عم رسول الله، ليس يعني أنه ابن عمه على الحقيقة لكنه بالاضافة إلى القحطاني ابن عمه، وإنما استعمل ذلك ونطق به مجازاً، فإن قدر مقدّر أنه على طريق حذف المضافات، أي ابن عم أب، لا أب إلى عدد كثير في البيتين والآباء، فلذلك أراد أبو بكر ﴿رضي الله عنه﴾ أنهم عترة أجداده على طريق حذف المضاف، وقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وآله عترته من هي لما قال إني تارك فيكم الثقلين، فقال: وعترتي أهل بيتي، وبيّن في مقام آخر من أهل بيته حين طرح عليهم الكساء، وقال حين نزل: ﴿**إنما يريد الله**﴾ اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس.[1]

قال: **فإن قلت**: فمن هي العترة التي عناها أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الكلام؟

قلت: نفسه وولديه والأصل في الحقيقة نفسه، لأن ولديه تابعان له، ونسبتهما إليه مع وجوده نسبة الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة، وقد نبّه النبي صلى الله عليه وآله على ذلك بقوله وأبوكما خير منكما، وقوله وهم أزمّة الحقّ جمع زمام، كأنه جعل الحق دائراً معهم حيث ما داروا، ذاهباً معهم حيث ذهبوا، كما أن الناقة طوع زمامها، وقد نبه الرسول صلى الله عليه وآله على صدق هذه القضية بقوله وأدر الحق معه حيث دار، وقوله وألسنة الصدق من الألفاظ

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٥/٦.

الشريفة القرآنية، قال الله تعالى ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ كما كان لا يصدر عنهم حكم ولا قول إلاّ وهو موافق للحق والصواب، جعلهم كأنهم ألسنة الصدق، لا يصدر عنها قول كاذب أصلاً، بل هي كالمطبوعة على الصدق، وقوله فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، تحته سرّ عظيم، وذاك أنه أمر المكلفين بأن يجروا العترة في إجلالها وإعظامها والإنقياد لها، والطاعة لأوامرها مجرى القرآن.[1]

قال: فإن قلت: فهذا القول منه عليه السلام مشعر بأن العترة معصومة فما قول أصحابكم في ذلك؟

قلت: نص أبو محمد بن متويه رحمه الله في كتاب الكفاية على أن علياً عليه السلام معصوم وإن لم يكن واجب العصمة، ولا العصمة شرط في الإمامة لكن أدلة النصوص على عصمته والقطع على باطنه ويقينه، وأن ذلك أمر اختص هو عليه السلام دون غيره من الصحابة، والفرق ظاهر بين قولنا زيد معصوم، وبين قولنا زيد واجب العصمة، لأنه إمام، ومن شرط الإمام أن يكون معصوماً، فالإعتبار الأول مذهبنا، والإعتبار الثاني مذهب الإمامية، ثم قال عليه السلام وردهم ورد الهيم العطاش، أي كونوا ذوي حرص وانكماش على أخذ العلم والدين عنهم، كحرض الهيم الظماء على ورود الماء، ثم قال أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين، إلى قوله وليس ببال، هذا الموضع يحتاج إلى تلطّف في الشرح، لأن لقائل أن يقول ظاهر هذا الكلام متناقض، لأنه قال يموت من يموت منا وليس

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٦/٦.

بميّت، وهذا كما تقول: يتحرك المتحرك وليس بمتحرّك، وكذلك قوله ويبلى من بلى منا وليس ببال، ألا ترى أنه سلب وإيجاب لشيء واحد.

فإن قلتم: أراد بقاء أنفس بعد موت الجسد، كما قاله الأوائل وقوم من المتكلمين.

قيل لكم: فلا اختصاص للنبي وعلي ﴿صلوات الله عليهما﴾ بذلك، بل هي قضية عامة في جميع البشر، والكلام خرج مخرج التمدّح والفخر.[١]

فنقول في الجواب: إن هذا يمكن أن يحمل على وجهين:

أحدهما: أن يكون النبي ﷺ ومن يتلوهما من أطائب العترة أحياء أبدانهم التي كانت في الدنيا بأعيانهم، قد رفعهم الله تعالى إلى ملكوت سمائه وعلى هذا لو قدرنا أن محتفراً حفر تلك الأجداث الطاهرة عقيب دفنهم لم يجد الأبدان في الأرض، وقد ورد في الخبر النبوي مثل ذلك، وهو قوله إن الأرض لم تسلّط عليّ، وإنها لا تأكل لحماً، ولا تشرب لي دماً، نعم يبقى الإشكال في قوله ويبلى من بلى منّا وليس ببال، فإنه إن صح هذا التفسير في الكلام الأول، وهو قوله يموت من مات منّا وليس بميّت، فليس يصح في القضية الثانية، وهو حديث البلى، لأنها تقتضي أن الأبدان تبلى، وذلك الإنسان لم يبل، فأحوج هذا الإشكال إلى تقدير فاعل محذوف، فيكون تقدير الكلام يموت من مات منّا حال موته وليس بميت فيما بعد ذلك من الأحوال والأوقات، ويبلى كفن من بلى كفنه منّا وليس هو ببال، فحذف المضاف

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٦/٦

كقوله تعالى ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾ أي والى أهل مدين، ولما كان الكفن كالجزء من الميت لإشتماله عليه، عبّر بأحدهما عن الآخر للمجاوزة والإشتمال كما عبّروا عن المطر بالسماء، وعن الخارج المخصوص بالغائط، وعن الخمر بالكأس، ويجوز أن يكون الفاعل كقوله تعالى ﴿حتى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ وحتى ﴿إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ﴾، وكقول حاتم إذا حشرجت، وحذف الفاعل كثير.

والثاني: إن أكثر المتكلمين ذهبوا إلى أن للإنسان الحي الفعّال أجزاء أصلية في هذه البنية المشاهدة، وهي أقلّ ما يمكن أن يتألّف منه البنية التي معها يصح كون الحي حياً، وجعلوا الخطاب متوجهاً نحوها، والتكليف وارداً عليها، وما عداها من الأجزاء فهي فاضلة، ليست داخلة في حقيقة الإنسان، فإذا صح ذلك جاز أن ينتزع الله تعالى تلك الأجزاء الأصلية من أبدان الأوصياء والأنبياء، فيرفعها إليه بعد أن يخلق لها من الأجزاء الفاضلة، نظير ما كان لها في الدار الأُولى، كما قاله من ذهب إلى قيامة الأنفس والأبدان معاً، فتنعم عنده وتلتذّ بضروب اللذّات الجسمانية، ويكون هذا مخصوصاً بهذه الشجرة المباركة دون غيرها، ولا عجب فقد ورد في حق الشهداء نحو ذلك في قوله تعالى : ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ﴾ وعلى هذا الوجه لو أن محتفراً احتفر أجداثهم لوجد الأبدان فيها، وإن لم يعلم أن أُصول تلك البنى قد انتزعن منها، ونقلت إلى الرفيع الأعلى، وهذا الوجه لا يحتاج إلى تقدير ما قدّرناه أولاً من الحذف،

لأن الجسد يبلى في القبر عدا ما انتزع منه، ونقل إلى محل القدس، وكذلك أيضاً يصدق على الجسد أنه ميت، وإن كان أصل بنيته لم يمت، وقد ورد في الخبر الصحيح أن أرواح الشهداء من المؤمنين في حواصل طيور خضر تدور في أفناء الجنان، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلّقة في ظلّ العرش، فإذا جاء هذا في الشهداء، فما ظنّك بموالي الشهداء وساداتهم.[1]

فإن قلت: فهل يجوز أن يتناول كلامه عليه السلام فيقال لعله أراد الذكر والصيت.

قلت: إنه لبعيد، لأن غيرهم أشركهم في ذلك، ولأنه أخرج الكلام مخرج المستغرب المستعظم له.

فإن قلت: فهل يمكن أن يقال أن الضمير يعود إلى النبي صلى الله عليه وآله، لأنه قد ذكره في قوله خاتم النبيين، فيكون التقدير أنه يموت من مات منّا والنبي ليس بميّت، ويبلى من بلى منّا والنبي ليس ببال.

قلت: هذا أبعد من الأول، لأنه لو أراد ذلك لقال إن رسول الله صلى الله عليه وآله لا تبليه الأرض، فإنه الآن حي ولم يأت بهذا الكلام الموهم، ولأنه في سياق تعظيم العترة، وتبجيل أمرها، وفخره بنفسه، وتمدّحه بخصائصه ومزاياه، فلا يجوز أن يدخل في غضون ذلك ما ليس منه.[2]

فإن قلت: فهل هذا الكلام منه عليه السلام أم قاله مرفوعاً؟

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٧/٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧٩/٦.

قلت: بل ذكره مرفوعاً، ألا تراه قال خذوها عن خاتم النبيين.

ثم نعود إلى التفسير فنقول: إنه عليه السلام لما قال لهم ذلك علم أنه قال قولاً عجيباً، وذكر أمراً غريباً، وعلم أنهم ينكرون ذلك، ويعجبون منه، فقال لهم فلا تقولوا ما لا تعرفون، أي لا تكذبوا أخباري، ولا تكذبوا أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله لكم بهذا، فتقولوا مما لا تعلمون صحته.

ثم قال: فإن أكثر الحق في الأُمور العجيبة التي تنكرونها كإحياء الموتى في القيامة، وكالصراط، والميزان، والنار والجنة، وسائر أحوال الآخرة، هذا إن كان خاطب من لا يعتقد الإسلام، فإن كان الخطاب لمن يعتقد الإسلام فإنه يعني بذلك أن أكثرهم كانوا مرجئة ومشبهة ومجبرة، ومن يعتقد أفضلية غيره عليه، ومن يعتقد أنه أشرك في دم عثمان، ومن يعتقد أن معاوية صاحب حجة في حربه أو شبهة يمكن أن يتعلّق بها متعلّق، ومن يعتقد أنه أخطأ في التحكيم الى غير ذلك من ضروب الخطأ التي كان أكثرهم عليها، ثم قال واعذروا من لا حجة لكم عليه، وهو أنا، يقول قد عدلت فيكم، وأحسنت السيرة، فأقمتكم على المحجة البيضاء التي لا يبق أحد منكم حجة يحتج بها عليّ، ثم شرح ذلك فقال عملت فيكم بالثقل الأكبر، يعني الكتاب، وخلفت فيكم الثقل الأصغر، يعني ولديه عليهما السلام، لأنهما بقية الثقل الأصغر، فجاز أن يطلق عليهما بعد ذهاب من ذهب منه أنهما الثقل الأصغر، وإنما سمّى النبي صلى الله عليه وآله الكتاب والعترة الثقلين، لأن الثقل في اللغة متاع المسافر وحشمه، فكأن النبي صلى الله عليه وآله لما شارف الانتقال إلى جوار ربّه تعالى، جعل نفسه كالمسافر الذي

ينتقل من منزل إلى منزل، وجعل الكتاب والعترة كمتاعه وحشمه، لأنهما أخصّ الأشياء به، قوله عليه السلام وركّزت فيكم راية الإيمان، أي عزّزتها وأثبتها، وهذا من باب الاستعارة، وكذلك قوله ووقفتكم على حدود الحرام والحلال من الاستعارة أيضاً، مأخوذ من حدود الدار، وهي الجهات الفاصلة بينها وبين غيرها، قوله وألبستكم العافية من عدلي، استعارة فصيحة، وأفصح منها قوله وأفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، أي جعلته لكم فراشاً، وفرش هاهنا يتعدّى إلى من، يقال فرشته كذا، أي أوسعته إيّاه ثم نهاهم أن يستعملوا الرأي فيما ذكره لهم من خصائص العترة، وعجائب ما منحها الله تعالى، إن أمرنا صعب لا يهتدي إليه العقول، ولا تدرك الأبصار قعره، ولا يتغلغل الأفكار إليه، والتغلغل الدخول من تغلغل الماء بين الشجر إذا تخلّلها ودخل بين أُصولها.[1]

وقال: قال عليه السلام: **واستودعهم في أفضل مستودع، وأقرّهم في خير مستقر، تناسختهم كرائم الاصلاب إلى مطهّرات الأرحام، كلما مضى سلف، قام منهم بدين الله خلف، حتى أفضت كرامة الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله، فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً، وأعزّ الأرومات مغرساً، من الشجرة التي صدع بها أنبياءه، وانتجب منها، أبناء عترته خير العتر، وأُسرته خير الأُسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فروع طوال، وثمرة لا تنال، فهو إمام من اتّقى، وبصير من اهتدى، سراج لمع ضوؤه، وشهاب سطع نوره، وزند برق لمعه، سيرته**

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٨٠/٦.

القصد، وسنّته الرشد، وكلامه الفصل، وحكمه العدل، أرسله على حين فترة من الرسل، وهفوة عن العمل، وغباوة من الأُمم.[١]

قال في الشرح: بنا يختم، أي بناقلهم، والناسخ في الميراث أن يموت ورثة بعد ورثة، وأصل الميراث قائم لا تقسم كان ذلك بناقل من أحد إلى آخر، ومنه نسخت الكتاب وانتسخته، أي نقلت ما فيه، ويروى تناسلتهم، والسلف المتقدّمون، والخلف الباقون، ويقال خلف صدق - بالتحريك- وخلف سوّياً - بالتسكين- وأفضت كرامة الله إلى محمد، أي انتهت، والأرومات جمع أرومة، هي الأصل، ويقال أروم بغير هاء، وصدع انشق، وانتجب اصطفى، والأُسرة رهط الرجل، وقوله نبت في حرم، يجوز أن يعني به مكة ويجوز أن يعني به المنعة، وبسقت طالت، ومعنى قوله وثمر لا تنال ليس على أن يريد به أن ثمرها لا ينتفع به، لأن ذلك ليس ينال قهراً، ولا يجتنى غصباً، ويجوز أن يريد بثمرها نفسه عليه السلام، ومن يجري مجراه من أهل البيت عليهم السلام، لأنهم ثمرة تلك الشجرة، ولا ينال، أي لا ينال مساعيهم ومآثرهم، ولا يباريهم أحد، وقد ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله فضل قريش وبني هاشم لكن المستفيض نحو قوله عليه السلام قدّموا قريشاً، ولا تقدموها، وقوله الأئمّة من قريش، وقوله إن الله اصطفى من العرب معداً، واصطفى من معد النضر بن كنانة، واصطفى هاشماً من بني النضر، واصطفاني من بني هاشم، وقوله إن جبرئيل عليه السلام قال لي يا محمد قد طفت الأرض شرقاً وغرباً، فلم أجد فيها أكرم في

[١] - نهج البلاغة ١٨٥/١.

أرومتي منذ إسماعيل بن إبراهيم إلى عبد الله بن عبد المطلب، وقوله سادة أهل الحشر، سادة أهل الدنيا، أنا وعلي، وحسن وحسين، وحمزة وجعفر، وقوله وقد سمع أحداً ينشد:

يا أيها الرجل المحوّل وجهه   هــــلاّ نزلت بآل عبدالدار

أهكذا قال يا أبا بكر، منكر لما سمع، فقال أبو بكر: لا يارسول الله، إنه لم يقل هكذا ولكنه قال:

يا أيها الرجل المحوّل رحــلــه   هلاّ نــزلــت بــآل عبد مناف

عمرو العلى هشم الثريد لقومــه   ورجال مكة مسنتون عــجــاف

فسرّ رسول الله ﷺ، وكقوله أذلّ الله من أذلّ قريشاً، قالها ثلاثاً، وكقوله أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب، وكقوله الناس تبع لقريش برّهم لبرّهم، وفاجرهم لفاجرهم، وكقوله أنا ابن الأكرمين، وكقوله لبني هاشم والله لا يبغضكم أحد إلاّ أكبّه الله على منخريه في النار، وقوله لرجال يزعمون أن قرابتي غير نافعة، بلى إنها النافعة، وإنه لا يبغض أحد أهلي إلاّ حرّمه الله الجنة، والأخبار الواردة في فضل قريش، وبني هاشم وشرفهم، كثير جداً، لا نرى الإطالة هاهنا بإستقصائها، وسطع الصبح يسطع سطوعاً، أي ارتفع، والسطيع الصبح، والزند العود تقدح به النار، وهو الأعلى، والزندة السفلى فيها ثقب، وهي الأُنثى، فإذا اجتمعا قيل زندان، ولم يقل زندتان تغليباً للتذكير، والجمع زناد وازند وازناد، والقصد الاعتدال، وكلامه الفصل، أي الفاصل الفارق بين الحق والباطل، وهو مصدر بمعنى الفاعل، كقولك رجل عدل، أي عادل،

والهفوة الزلة، هفا يهفو، والغباوة الجهل، وقلة الفطنة، يقال غبيت عن الشيء وغبيت الشيء أيضاً، أغبى غباوة إذا لم يفطن له، وغبى عليّ الشيء كذلك إذا لم يعزم، وفلان غبى على فعيل، أي قليل العطيّة.[1]

قال قال عليه السلام انظروا أهل نبيّكم، فالزموا سمتهم، واتّبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فألبدوا، وإن نهضوا فأنهضوا ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا، لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، فما أرى أحد يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، قد باتوا سجّداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله أهملت أعينهم حتى تبتلّ جنوبهم، ومادوا كما تميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب، ورجاء للثواب.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٢/٧.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٦/٧، نهج البلاغة ١٨٩/١.

الباب
الخامس والستون
في إسلام أبي طالب رحمه الله وحمايته عن النبي صلى الله عليه وآله
في الشعب بمكة

ابن أبي الحديد قال: ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة والمغازي، فإنه كتاب معتمد عند أصحاب الحديث والمؤرخين، ومصنّفة شيخ الناس كلهم، قال محمد بن إسحاق: لم يسبق علياً عليه السلام إلى الإيمان بالله ورسالة محمد صلى الله عليه وآله أحد من الناس، اللهم أن يكون خديجة زوج رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد كان صلى الله عليه وآله يخرج معه علي مستخفياً من الناس، فيصلّيان الصلوات في بعض شعاب مكة، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا بذلك ما شاء الله أن يمكث لا ثالث لهما، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً، وهما يصلّيان، فقال لمحمد صلى الله عليه وآله: يا ابن أخي ما هذا الذي تفعله؟ فقال: أي عم، هذا دين الله، ودين ملائكته ورسله، ودين أبينا إبراهيم عليه السلام أو كما قال: بعثني الله تعالى به رسولاً إلى العباد، وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه، وأعانني عليه، أو كما قال: فقال أبو طالب: إني لا أستطيع يا ابن أخي أن أُفارق ديني ودين آبائي، وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك شيء تكرهه ما بقيت، فزعموا أنه قال لعلي: أي بني ما هذا الذي تصنع؟ قال: يا أبتاه آمنت بالله ورسوله، وصدّقته فيما جاء به، وصلّيت

إليه، واتّبعت قول نبيّه، فزعموا أنه قال له: أما إنه لا يدعوك أو لن يدعوك إلاّ إلى خير فألزمه.[١]

قال ابن إسحاق: ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، فكان أول من أسلم وصلّى معه بعد علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة، فكان الثالث لهما، ثم أسلم عثمان بن عفان، وطلحة والزبير، وعبدالرحمن وسعد، فصاروا ثمانية، فهم الثمانية الذين سبقوا الناس إلى الإسلام بمكة، ثم أسلم بعد هؤلاء الثمانية أبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة ابن عبد الأشد، والأرقم بن أبي الأرقم، ثم انتشر الإسلام بمكة، وفشا ذكره، وتحدّث الناس به، وأمر الله رسوله أن يصدع بما أمر به، فكانت مدّة اخفاء رسول الله ﷺ لنفسه وشأنه إلى أن أمر بإظهار الدين ثلاث سنين فيما بلغني.[٢]

قال محمد بن إسحاق: ولم تكن قريش تنكر أمره حينئذ كل الإنكار حتى ذكر آلهتهم وعابها، فأعظموا ذلك وأنكروه، وأجمعوا على عداوته وخلافه، وحدب عليه عمه أبو طالب فمنعه، وقام دونه حتى قضى، فظهر أمر الله لا يردّه عنه شيء.

قال: فلما رأت قريش محاماة أبي طالب عنه، وقيامه دونه وامتناعه من أن يسلّمه، مشى إليه رجال من أشراف قريش، منهم عتبة بن ربيعة، وشيبة أخوه، وأبو سفيان بن حرب، وأبو البختري بن هشام، والأسود بن المطلب،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٢/١٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٣/١٤.

والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، ونبيه ومنبه ابنا الحجّاج وأمثالهم من رؤساء قريش، فقالوا له: يا أبا طالب أن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلّل آراءنا، فإما أن تكفّه عنّا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً، وردّهم ردّاً جميلاً، فأنصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله، ويدعو إليه، ثم شارف الأمر بينه وبينهم تباعداً، وتضاعفت حتى أكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها، وتذامروا فيه، وحضر بعضهم بعضاً إليه، فمشوا إلى أبي طالب مرة ثانية، فقالوا: يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة، وإنا قد استنهيناك عن ابن أخيك فلم تنه عنا، وإنا والله لا نصبر على شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، فإما أن تكفّه عنّا أو ننازله وإيّاك حتى يهلك أحد الفريقين، ثم أنصرفوا، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم تطب نفسه بإسلام ابن أخيه إليهم ولا خذلانه، فبعث إليه، فقال: يا ابن أخي، إن قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا للذي قالوا، فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحمّلني من الأمر على ما لا أُطيقه، قال: فظن رسول الله ﷺ، أنه قد بدا لعمه فيه بدا، وأنه خاذله ومسلّمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام دونه، فقال: يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهر أمر الله أو أهلك، ثم استعبر باكياً وقام، فلما ولّى ناداه أبو

طالب أقبل يا ابن أخي، فأقبل راجعاً، فقال له: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.[1]

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب يذكر ما أجمعت عليه قريش من حربه لما قام بنصر محمد ﷺ:

والله لن يصلوا اليك بجمعهم	حتى أُوسّد في التراب دفينا
فانفذ لأمرك ما عليك مخافة	وابشر وقرّ بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي	ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت ديناً قد علمت بأنه	من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبّة	لوجدتني سمحاً بذاك مبينا[2]

قال محمد بن إسحاق: ثم إن قريشاً عرفت أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه إليهم، ورأوا إجماعه على مفارقتهم وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان أجمل فتى في قريش، فقالوا له: يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أبهى فتى في قريش وأجمله، فخذه إليك فاتّخذه ولداً، فهو لك، وأسلم لنا هذا ابن أخيك الذي قد خالف دينك، ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك لنقتله، فإنما هو رجل برجل، فقال أبو طالب: والله ما أنصفتموني، تعطوني ابنكم اغدوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبداً، فقال له المطعم بن عدي بن نوفل، وكان له صديقاً

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٣/١٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٥/١٤.

مصافياً: والله يا أبا طالب ما أراك تريد أن تقتل من قومه شيئاً، لعمري لقد جهدوا في التخلّص ممّا تكره، وأراك لا تنصفهم، فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني ولا أنصفتني، لكنك قد أجمعت على خذلاني، ومظاهرة القوم عليّ، فأصنع ما بدا لك، قال: فعند ذلك تنابذ القوم، وثارت الأحقاد، ونادى بعضهم بعضاً، وتذامروا بينهم على من في القبائل من المسلمين الذين اتّبعوا محمداً ﷺ، فوثبت كل قبيلة على من فيها منهم يعذّبونهم، ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسوله منهم بعمه أبي طالب، وقام في بني هاشم، وبني المطلب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ، والقيام دونه، فأجتمعوا إليه وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه من الدفاع عن رسول الله ﷺ سوى ما كان من أبي لهب، فإنه لم يجتمع معهم على ذلك، فكان أبو طالب يرسل إليه الأشعار، ويناشده النصر، منها القطعة التي أولها:

حديث عن أبي لهب أتانا ... وكانفه على ذاكم رجال

ومنها القطعة التي أولها:

أظننت أني قد خذلت وغالني ... منك الغوائل بعد شيب المكبر

ومنها القطعة التي أولها:

تستعرض الأقوام توسعهم ... عذراً وما إن قلت من عذر[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٥/١٤.

قال محمد بن إسحاق: فلم يؤثر عن أبي لهب خير قط إلاّ ما يروى أن أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي لما وثب عليه قومه ليعذّبوه ويفتنوه عن الإسلام، هرب منهم فاستجار بأبي طالب، وأُمّ أبي طالب مخزومية، وأُمّ عبدالله والد رسول الله، فأجاره، فمشى إليه رجال من بني مخزوم، وقالوا له يا أبا طالب هبك منعت منّا ابن أخيك محمد، فمالك ولصاحبنا تمنعه منّا، قال: إنه استجار بي، وهو ابن أُختي، وأنا لم أمنع ابن أُختي فأرتفعت أصواتهم وأصواته، فقام أبو لهب ولم ينصر أبا طالب قبلها ولا بعدها، فقال: يا معشر قريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ، لا تزالون تتوثّبون عليه في جواره من بين قومه، أما والله لتنتهنّ عنه أو لنقومنّ معه فيما قام فيه حتى يبلغ ما أراد، فقالوا: بل ننصرف عمّا تكره يا أبا عتبة، فقاموا فأنصرفوا، وكان ولياً لهم، ومعيناً على رسول الله ﷺ وأبي طالب فأتقوه، وخافوا أن تحمله الحميّة على الإسلام، فطمع فيه أبو طالب حيث سمعه قال ما قال، وأمل أن يقوم معه في نصرة رسول الله ﷺ، فقال يحرضه على ذلك:

إن أمــــرء أبـــو عــتـيـبـــة عـــمـــه
لفي معزل مـــن أن يـــســـام الـمظالـما

ولا تـقـبـلـن الـدهـر ما عشت خطة
تـــســـب بـــهـــا إمـــا هبطت المواسما

أقـول لـه وأيـن مـنـه نـصيحتي
أبـا عـتبـة ثـبـت سـوادك قـائـمـا

وولّ سبيل العجز غيرك منهم
فإنك لم تخلق على العجز لازما
وحارب فإن الحرب نصف ولن ترى
أخا الحرب يعطي الخسف حتى تسالما
كذبتم وبيت الله نبزي محمداً
ولما تروا يوماً من الشعب قائما[1]

وقال يخاطب أبا لهب أيضاً:

عجبت لحلم يا ابن شيبة عازب
وأحلام أقوام لديك سخاف
يقولون شأيع من أراد محمداً
بظلم وقم في أمره بخلاف
أضاميم إما فاسد ذو خيانة
وإما قريب عنك غير مصاف
فلا تركبن الدهر منه ذمامة
وأنت أمرء من خير عبد مناف
ولا تتركنّه ما حييت لمعظم
وكن رجلاً ذا نجدة وعفاف

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٦/١٤.

يــذود الــعــدا عــن ذروة هاشمية
إلافـهـم فـي الـنـاس خير إلاف
فــإن لــه قــربــى لديـك قريبة
ولـيـس بـــذي حلف ولا بمضاف
ولـكـنـه مـــن هاشم في صميمها
إلـى أبـحـر فـوق البحور طواف
وزاحـم جـميـع الناس عنه وكن له
وزيـراً عـلـى الأعداء غير مجاف
وإن غـضـبـت منه قريش فقل لها
بـنـي عـمـنـا ما قومكم بضعاف
فـمـا بـالـكـم تـغـشون منه ظلامة
ومـا بـال أحـقـاد هناك خوافي
فـمـا قـومـنـا بالقوم يخشون ظلمنا
ومـا نـحـن فـيـما ساءهم بخفاف
ولـكـنـنـا أهـل الحفائظ والنهى
وعــزّ بـبـطـحـاء المشاعر واف[1]

محمد بن إسحاق: فلما طال البلاء على المسلمين والفتنة والعذاب، وارتدّ كثير عن الدين باللسان لا بالقلب، كانوا إذا عذّبوهم يقولون نشهد أن

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٦/١٤.

هذا الله، وأن اللات والعزّى هي الآلهة، فإذا خلوا عنهم عادوا إلى الإسلام فحبسوهم وأوثقوهم بالقد، وجعلوهم في حر الشمس على الصخر والصفا، وامتدّت أيام الشقى عليهم، ولم يصلوا إلى محمد ﷺ لقيام أبي طالب دونه، فأجمعت قريش على أن يكتبوا بينهم وبين بني هاشم صحيفة، يتعاقدون فيها أن لا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، فكتبوها وعلّقوها في جوف الكعبة تأكيداً على أنفسهم، وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي، فلما فعلوا ذلك انحازت هاشم والمطلب، فدخلوا كلهم مع أبي طالب في الشعب، فأجتمعوا إليه، وخرج منهم أبو لهب إلى قريش، فظاهرها على قومه.[1]

قال محمد بن إسحاق: فضاق الأمر ببني هاشم، وعدموا القوت إلاّ ما كان يحمل إليهم سرّاً وخفية، وهو شيء قليل لا يمسك أرماقهم، وأخافتهم قريش، ولم يكن يظهر منهم أحد، ولا يدخل إليهم أحد، وذلك أشدّ ما لقي رسول الله ﷺ وأهل بيت في مكة.

قال محمد بن إسحاق: فأقاموا على ذلك سنتين وثلاثاً حتى جهدوا لا يصل إليهم شيء إلاّ القليل سرّاً بمن يريد صلتهم من قريش، وقد كان أبو جهل بن هشام لقى حكيم بن خزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد، وهي عند رسول الله ﷺ محاصرة في الشعب، فتعلق به، وقال: أتحمل الطعام إلى بني هاشم، والله لا

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٨/١٤.

تبرح أنت وطعامك حتى نفضحك بمكة، فجاء أبو البختري العاص بن هشام بن الحرث بن أسد بن عبدالعزّى، فقال: ما لك وله؟ قال: إنه يحمل الطعام إلى بني هاشم، فقال أبو البختري: ياهذا إن طعاماً كان لعمته عنده بعثت إليه فيه، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها على سبيل الهزل، فأتى أبو جهل حتى نال كل منهما من صاحبه، فأخذ له أبو البختري لحى بعير فضربه به فشجّه ووطئه وطأً شديداً، فأنصرف وهو يكره أن يعلم رسول ﷺ وبنو هاشم بذلك، فيشمتوا، فلما أراد الله تعالى من ابطال الصحيفة، والفرج عن بني هاشم من الضيق والأذى الذي كانوا فيه، إن هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي قام في ذلك أحسن قيام، وذلك أن أباه عمرو بن الحارث كان أخاً لنفلة بن هاشم بن عبد مناف بن قصي من أُمه، فكان هشام بن عمرو يحسب ذلك واصلاً لبني هاشم، وكان ذا شرف في قومه بني عامر بن لؤي، فكان يأتي البعير ليلاً وقد أوقره طعاماً، وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب حتى إذا أقبل به في الشعب وضع بخطامه من رأسه، ثم يضربه على جنبه، فيدخل الشعب عليهم، ثم يأتي بهم مرّة أُخرى قد أوقره تمراً، فيصنع به مثل ذلك، ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أُميّة بن المغيرة المخزومي، فقال: يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام، وتشرب الشراب، وتلبس الثياب، وتنكح النساء، واخوانك حيث قد علمت، لا يبتاعون، ولا يبتاع منهم، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم، ولا يواصلون ولا يزارون، أما إني أحلف لو كان أخوال أبي الحكم بن هشام ودعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك أبداً، قال:

ويحك يا هشام، فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقض هذه الصحيفة القاطعة، قال: قد وجدت رجلاً، قال: من هو؟ قال: أنا، قال زهيرك ابغينا ثالثاً، فذهب إلى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف فقال له: يا مطعم أرضيت أن يهلك بطنان من عبد مناف جوعاً وجهداً، وأنت شاهد على ذلك، موافق لقريش فيه، أما والله لئن أمكنتموهم من هذا لتجدنّ قريشاً إلى مساكنكم سغيرة سريعة، قال: ويحك، ماذا أصنع، إنما أنا رجل واحد، قال: قد وجدت لك ثانياً، قال: من هو؟ قال: أنا، قال ابغيني ثالثاً، قال: قد وجدت لك، قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أُميّة، قال: ابغنا رابعاً، فذهب إلى أبي البختري بن هشام فقال له نحو ما قال للمطعم، قال: وهل من أحد يعينني على هذا؟ قال: نعم، قم فسمّى له القوم، فأتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة، فأجمعوا أمرهم، وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضونها، وقال زهير: أنا أبدأكم، وأكون أولكم يتكلم، فلما أصبحوا أعدّوا إلى أنديتهم، وغدا زهير بن أبي أُميّة عليه حلة، فطاف بالبيت سبعاً، ثم أقبل على الناس، فقال: يا أهل مكة، أناكل الطعام، ونشرب الشراب، ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكى، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة، وكان أبو جهل في ناحية المسجد، فقال: كذب والله لا تشق، فقال زمعة بن الأسود لأبي جهل: أنت والله أكذب، ما رضينا والله بها حين كتبت، فقال أبو البختري معه: صدق والله زمعة، لا نرضى بها، ولا نقرّ بما كتبت فيها، فقال المطعم بن عدي: صدقا والله، وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله، وما كتب

فيها، وقال هشام بن عمرو مثل قولهم، فقال أبو جهل: هذا أمر قضى بليل، وقام مطعم بن عدي إلى الصحيفة فحطّها وشقّها، فوجد الأرضة وقد أكلتها إلاّ ما كان من بإسمك اللهم.

قالوا: وأما كاتبها منصور بن عكرمة فشلّت يده فيما يذكرون، فلما مزّقت الصحيفة خرج بنو هاشم من حصار الشعب.

قال محمد بن إسحاق: فلم يزل أبو طالب ثابتاً صابراً مستمرّاً على نصر رسول الله ﷺ وحمايته، والقيام دونه حتى مات في أول السنة الحادية عشرة من مبعث رسول الله ﷺ، فطمعت فيه قريش حينئذ، ونالت منه، فخرج عن مكة خائفاً يطلب أحياء العرب، يعرض عليهم نفسه، فلم يزل كذلك حتى دخل مكة في جوار مطعم بن عدي، ثم ما كان من أمره مع الخروج ما كان ليلة العقبة.

قال ومن شعر أبي طالب يذكر فيه رسول الله ﷺ وقيامه دونه:

ارقت وقد تصوّبت النجوم ... وبت ولا تسالمك الهموم

لظلم عشيرة ظلموا وعقوا ... وغب عقوقهم لهم وخيم

هم انتهكوا المحارم من أخيهم ... وكل فعالهم دنس ذميم

وراموا خطّة جوراً وظلماً ... وبعض القول ذو جنف مليم

لتخرج هاشماً فيكون منها ... بلاقع بطن مكة فالحطيم

فمهلاً قومنا لا تركبونا ... بمظلمة لها خطب جسيم

فيندم بعضكم ويذلّ بعض ... وليس بمفلج أبداً ظلوم

أرادوا قتل أحمد زاعميه … وليس بقتله منهم زعيم

ودون محمد منّا ندي … هم العرنين والعضو الصميم

ومن ذلك قوله:

وقالوا لأحمد أنت أمرء … خلوف الحديث ضعيف السبب

وإن كان أحمد قد جاءهم … بصدق ولم يأتهم بالكذب

فإنا ومن حج من راكب … وكعبة مكة ذات الحجب

تنالون أحمد أو تصطلوا … ظباة الرماح وحد القضب

وتغترفروا بين أبياتكم … صدور العوالي وخيلاً شزب

تراهن من بين ضافي السبب … قصير الحزام طويل اللبب

عليها صناديد من هاشم … هم الأنجبون من المنتجب[1]

وروى عبد الله بن مسعود قال: لما فرع رسول الله ﷺ من قتلى بدر وأمر بطرحهم في القليب، جعل يتذكّر من شعر أبي طالب بيتاً فلا يحضره، فقال له أبو بكر لعله قوله يا رسول الله:

وإنا لعمر الله إن جدّ جدّنا … لتلتبسن أسيافنا بالأماثل

فسرّ بظفره بالبيت وقال: إي لعمر الله لقد التبست.[2]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦١/١٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٢/١٤.

ومن شعر أبي طالب:

ألا أبلغا عني لؤياً رسالة
بحق وما تغني رسالة مرسل

بني عمنا الأدنين فيما يخصهم
وإخواننا من عبد شمس ونوفل

أظاهرتم قوماً علينا سفاهة
وأمراً غوياً من غواة وجهل

يقولون لو أنا قتلنا محمداً
أقرت نواصي هاشم بالتذلل

كذبتم ورب الهدي تدمى نحوره
بمكة والبيت العتيق المقبل

تنالونه أوتصطلوا دون نيله
صوارم تفري كل عضو ومفصل

فمهلاً ولما تنتج الحرب بكرها
بخيل تمام أو بآخر معجل

وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً
على ربوة في رأس عنقاء عيطل

وتأوي إليه هاشم إن هاشماً
عرانين كعب آخر بعد أول

فـإن كـنـتـم تـرجون قتل محمـد
فـرومـوا بما جمعتم نقل يـذبـل
فـإنـا سـنـحـمـيـه بـكـل طمرة
وذي مـيـعـة نـهد المراكل هيكل
وكـل رديـنـي ظـمـاء كعوبه
وعضب كإيماض الغمامة مفصل[1]

قال: كان صديقنا علي بن يحيى البطريق يقول: لولا خاصّية النبوّة وسرّها، لما كان مثل أبي طالب، وهو شيخ قريش ورئيسها، وذو شرفها، يمدح ابن أخيه محمداً، وهو شاب قد ربّاه في حجره، وهو يتيمه ومكفوله، وجاري مجرى أولاده بمثل قوله:

ويلقوا ربيع الأبطحين مـحـمـداً   على ربوة في رأس عنقاء عيطل
وتـأوي إلـيـه هاشم إن هاشماً   عرانين كـعب آخـر بـعـد أول

ومثل قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عـصـمـة للأرامل
يطيف به الهلاك مـن آل هاشم   فـهـم عـنـده في نعمة وفواضل

فإن هذا الأُسلوب من الشعر لا يمدح به التابع والذنابى من الناس، وإنما هو مديح الملوك والعظماء، فإذا تصوّرت أنه شعر أبي طالب ذاك الشيخ المبجّل العظيم في محمد ﷺ، وهو شاب مستجير به، معصتم بظله من

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٢/١٤.

قريش، ربّاه في حجره غلاماً، وعلى عاتقه طفلاً، وبين يديه شاباً، يأكل من زاده، ويأوي إلى داره، علمت موضع خاصّية النبوّة وسرّها، وأن أمره كان عظيماً، وأن الله تعالى أوقع في القلوب والأنفس له منزلة رفيعة، ومكاناً جليلاً.[١]

وقرأت في أمالي أبي جعفر محمد بن حبيب رحمه الله، قال: كان أبو طالب إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله أحياناً يبكي ويقول: إذا رأيته ذكرت أخي، وكان عبد الله أخاه لأبويه، وكان شديد الحب له، والحنو عليه، وكذلك كان عبدالمطلب، شديد الحب له، وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله صلى الله عليه وآله البيات إذا عرف مضجعه، فكان يقيمه ليلاً من منامه، ويضجع ابنه علياً مكانه، فقال له علي ليلة: ياأبة إني مقتول فقال له:

اصبرن يا بني فالصبر أحجى ... كل حي مصيره لشعوب

قد بذلناك والبلاء شديد ... لفداء الحبيب وابن الحبيب

لفداء الأعزّ ذي الحسب الثاقب ... والبارع الكريم النجيب

إن تصبك المنون فالنبل تترى ... فمصيب منها وغير مصيب

كل حي وإن تملى بعمر ... آخذ من مذاقها بنصيب[٢]

فأجابه علي عليه السلام فقال له:

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد ... فوالله ما قلت الذي قتل جازعا

ولكنني أحببت أن ترى نصرتي ... وتعلم أني لم أزل لك طائعا

---

[١] – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦٣/١٤.

[٢] – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦٤/١٤.

سأسعى لوجه الله في نصر أحمد نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعا[١]

قال: في تفسير قوله عليه السلام مؤمننا يبغي بذلك الآخرة، وكافرنا يحامي عن الأصل، ومن أسلم من قريش خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه أو عشيرة تقوم دونه، فهم من القتل بمكان آمن.

فنقول: إن بني هاشم لما حضروا في الشعب بعد أن منعوا رسول الله صلى الله عليه وآله من قريش، كانوا صنفين، مؤمنين وكفار، كان علي عليه السلام وحمزة بن عبدالمطلب مسلمين، وأختلف في جعفر بن أبي طالب هل حضر في الشعب معهم أم لا؟ فقيل: حضر في الشعب، وقيل: كان قد هاجر إلى الحبشة ولم يشهد حصار الشعب، وهذا هو القول الأصح.[٢]

وكان من المسلمين المحصورين معه في الشعب مع بني هاشم عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، وهو وإن لم يكن من بني هاشم إلاّ أنه يجري مجراهم، لأن بني المطلب وبني هاشم كانوا يداً واحدة، لم يتفرّقوا في جاهلية ولا إسلام، وكان العباس رحمه الله في حصار الشعب معهم إلاّ أنه كان على دين قومه، وكذلك عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب، وابنه الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وكان شديداً على رسول الله صلى الله عليه وآله يبغضه ويهجوه بالأشعار إلاّ أنه كان لا يرضى بقتله، ولا يقار قريشاً على دمه، محافظة على النسب،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦٤/١٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦٤/١٤.

وكان سيد المحصورين في الشعب، ورئيسهم وشيخهم أبو طالب بن عبد المطلب، وهو الكافل والمحامي، وأختلف الناس فيه، فقالت الإمامية وأكثر الزيدية ما مات إلاّ مسلماً.[١]

وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك، منهم الشيخ أبو القاسم البلخي، وأبو جعفر الاسكافي وغيرهما، وقال أكثر الناس من أهل الحديث والعامة من شيوخنا البصريين وغيرهم مات على دين قومه، ويروون في ذلك حديثاً مشهوراً أن رسول الله ﷺ قال عند موته يا عم قل كلمة أشهد لك بها غداً عند الله تعالى فقال: لولا أن تقول العرب أن أبا طالب جزع عند الموت لأقررت بها عينك.[٢]

ويروى أنه قال: أنا على دين الأشياخ، وقيل: أنه قال: أنا على دين عبدالمطلب، وقيل غير ذلك.[٣]

وأورد كثير من المحدّثين أن قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أنهَمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إبراهيم لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلما تَبَيَّنَ لَهُ أنهُ عَدُوٌّ لله تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ الآية أُنزل في أبي طالب،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٤/١٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٦/١٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٦/١٤.

لأن رسول الله ﷺ استغفر له بعد موته، وروى أن قوله تعالى: **﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾** نزلت في أبي طالب.[1]

وروى أن علياً عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ بعد موت أبي طالب فقال له: إن عمك الضال قد قضى، فما الذي تأمرني فيه، وأحتجّوا بأنه لم ينقل أحد عنه أنهم رأوه يصلّي، والصلاة هي الفرقة بين المسلم والكافر، وأن علياً وجعفراً لم يأخذا من تركته شيئاً، ورووا عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله قد وعدني بتخفيف عذابه ما صنع في حقّي، وأنه في ضحضاح من نار، ورووا عنه أيضاً أنه قيل له: لو استغفرت لأبيك وأُمّك، فقال: لو استغفرت لهما لأستغفرت لأبي طالب، فإنه صنع بي ما لم يصنعا، وإن عبد الله وآمنة وأبا طالب جمرات من جمرات جهنم.[2]

فأما الذين زعموا أنه كان مسلماً، فقد رووا خلاف ذلك، فأسندوا خبراً إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ قال لي جبرئيل: إن الله شفّعك في ستة، بطن حملتك آمنة بنت وهب، وصلب أنزلك عبد الله بن عبدالمطلب، وحجر كفلك أبي طالب، وبيت آواك عبد المطلب، وأخ كان لك في الجاهلية، فقيل: يا رسول الله، وما كان فعله؟ قال: كان سخياً، يطعم الطعام، ويجود بالنوال، وثدي أرضعك، حليمة بنت أبي ذؤيب.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٦/١٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٦/١٤.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٧/١٤.

قال: قلت: سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد عن هذا الخبر وقد قرأته عليه، هل كان لرسول الله ﷺ أخ من أبيه أو من أُمه أو منهما في الجاهلية فقال: لا، إنما يعني أخاً له في المودّة والصحبة، قلت له: فمن هو؟ قال: لا أدري.[١]

قالوا: وقد نقل الناس كافة عن رسول الله ﷺ أنه قال نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية، فوجب لهذا أن يكون آباءه كلهم منزّهين عن الشرك، لأنهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهرين.[٢]

قالوا: وما ذكر في القرآن من إبراهيم وأبيه آزر، وكونه كان ضالاً مشركاً، فلا يقدح في مذهبنا، لأن آزر كان عم إبراهيم، فأما أبوه فكان تارخ ابن ناخور، وسمّى العم أباً، كما قال: ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم﴾، ثم عدّ فيهم إسماعيل، وليس من آبائه ولكنه عمه.[٣]

قال: قلت: وهذا الاحتجاج عندي ضعيف، لأن المراد من قوله عليه السلام نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية، تنزيه آبائه وأجداده وأُمّهاته عن السفاح لا غير، وهذا مقتضى سياقة الكلام، لأن العرب كانت تعيب بعضها بعضاً بإختلاف المياه، واشتباه الأنساب، ونكاح الشبهة، وقولهم لو كانوا عبدة

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٧/١٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٧/١٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٧/١٤.

أصنام لما كانوا طاهرين الأصلاب، فإنه لا منافاة بين طهارة الأصلاب، وعبادة الأصنام، ألا ترى أنه لو أراد ما زعموه لما ذكر الأصلاب والأرحام، بل جعل عوضها العقائد، واعتذارهم عن إبراهيم وأبيه يقدح في قولهم في أبي طالب، لأنه لم يكن أبا محمد ﷺ، بل كان عمه، فإذا جاز عندهم أن يكون العم وهو آزر مشركاً كما قد اقترحوه في تأويلهم، لم يكن لهم حجة من هذا الوجه على إسلام أبي طالب.

وأحتجوا في إسلام الآباء بما روي عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: يبعث الله عبد المطلب يوم القيامة وعليه سيماء الأنبياء، وبهاء الملوك.[1]

وروي أن العباس بن عبد المطلب قال لرسول الله ﷺ بالمدينة، يا رسول الله ما ترجو لأبي طالب؟ فقال: أرجو له كل خير من الله عز وجل.[2]

وروى أن رجلاً من رجال الشيعة وهو أبان بن محمود كتب إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام جعلت فداك، إني قد شككت في إسلام أبي طالب، فكتب إليه ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾، الآية، وبعدها إنك وإن لم تقرّ بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٧/١٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٨/١٤.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٨/١٤.

وقد روى عن محمد بن علي الباقر أنه سئل عليه السلام عما يقوله الناس أن أبا طالب في ضحضاح من نار، فقال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفّة ميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأُخرى لرجح إيمانه، ثم قال: ألم تعلموا أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر أن يحج عن عبد الله وأمه وأبي طالب في حياته، ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم.[1]

وقد روى أن أبا أبي بكر جاء بأبي قحافة الى النبي صلى الله عليه وآله عام الفتح يقوده، وهو شيخ كبير أعمى، فقال رسول الله: ألا تركت الشيخ حتى نأتيه، فقال: أردت يارسول الله أن يأجره الله، أما والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشدّ فرحاً بإسلام عمّك أبي طالب مني بإسلام أبي، ألتمس بذلك قرّة عينك، فقال: صدقت.[2]

وروى أن علي بن الحسين عليه السلام سئل عن هذا، فقال: وا عجباً إن الله تعالى نهى رسوله أن يقرّ مسلمة على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتى ماتت.[3]

ويروي قوم من الزيدية أن أبا طالب أسند المحدثون عنه حديثاً ينتهي إلى أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قد سمعت أبا طالب يقول بمكة:

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٨/١٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٩/١٤.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٩/١٤.

حدثني محمد بن أخي أن ربه بعثه بصلة الرحم، وأن نعبده وحده، لا نعبد معه غيره، ومحمد عندي الصادق الأمين.[١]

وقال قوم: إن قول النبي ﷺ أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، إنما عنى به أبا طالب.[٢]

وقالت الإمامية:إن ما يرويه العامة من أن علياً وجعفراً لم يأخذا من تركة أبي طالب شيئاً، حديث موضوع، ومذهب أهل البيت بخلاف ذلك، فإن المسلم عندهم يرث الكافر، ولا يرث الكافر المسلم، ولو كان أعلى درجة منه في النسب، قالوا وقوله ﷺ لا توارث بين أهل ملّتين نقول بموجبه، لأن التوارث تفاعل، ولا تفاعل عندنا في ميراثهما، واللفظ يستدعي الطرفين، كالتضارب لا يكون إلاّ من اثنين.

قالوا: وحب رسول الله ﷺ لأبي طالب معلوم مشهور، ولو كان كافراً لما جاز له حبه لقوله تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الأْخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية.[٣]

وقد اشتهر واستفاض الحديث وهو قوله ﷺ لعقيل أنا أحبك حبّين، حباً لك، وحباً لأبي طالب، فإنه كان يحبك.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦٩/١٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦٩/١٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦٩/١٤.

قالوا: وخطبة النكاح مشهورة، خطبها أبو طالب عند نكاح محمد ﷺ وهي قوله: الحمد لله الذي جعلنا من ذرّية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محجوباً، وروى محجوجاً، وجعلنا الحكّام على الناس، ثم إن محمداً بن عبد الله أخي، من لا يوازن به فتى من قريش إلاّ رجح عليه، برّاً وفضلاً، وحزماً وعقلاً، ورأياً ونبلاً، وإن كان في المال قلّ، فإنما المال ظلّ زائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعليّ، وله والله بعد نبأ شائع، وخطب جليل.[1]

قالوا: فتراه يعلم بنبأه الشائع، وخطبه الجليل، ثم يعانده ويكذبه، وهو من أُولي الألباب، هذا غير سائغ في العقول.[2]

قالوا: وقد روى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: إن أصحاب الكهف اسروا الإيمان وأظهروا الشرك، فأتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسرّ الإيمان، وأظهر الشرك، فأتاه الله أجره مرتين.[3]

وفي الحديث الصحيح المشهور إن جبرائيل عليه السلام قال له ليلة مات أبي طالب: أخرج منها فقد مات ناصرك.[4]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٠/١٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٠/١٤.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٠/١٤.

[4] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٠/١٤.

قالوا: وأما حديث الضحضاح من النار، فإنما يرويه الناس كلهم عن رجل واحد، وهو المغيرة بن شعبة، وبغضه لبني هاشم وعلى الخصوص لعلي عليه السلام مشهور معلوم، وقصته وفسقه غير خاف.[١]

قالوا: وقد روى بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبد المطلب، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة إن أبا طالب ما مات حتى قال لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، والخبر مشهور أن أبا طالب عند الموت قال كلاماً خفياً، فأصغى إليه أخوه العباس، ثم رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا ابن أخي والله لقد قالها عمك ولكنه ضعف عن أن يبلغك صوته.[٢]

وروى عن علي عليه السلام أنه قال: ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله من نفسه الرضا.[٣]

قالوا: وأشعار أبي طالب تدل على أنه كان مسلماً، ولا فرق بين الكلام المنظوم والمنثور اذا تضمنا إقراراً بالإسلام، ألا ترى أن يهودياً لو توسط جماعة من المسلمين وأنشد شعراً قد ارتجله، ونظمه يتضمّن الاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وآله لكان نحكم بإسلامه، كما لو قال أشهد أن محمداً رسول الله.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٠/١٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧١/١٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧١/١٤.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧١/١٤.

فمن تلك الأشعار قوله:

يــرجــون مــنـــا خطة دون نيلها
ضـراب وطـعـن بالوشيـج المقوم

يرجون أن نسخى بقتـل مـحـمـد
ولم تختضب سمر العوالي من الدم

كـذبـتـم وبـيـت الله حتى تفلقوا
جـمـاجـم تـلـقـى بالحـطيم وزمز م

ويقطع أرحام وننسى حـليلة حليلاً
ويـغـشـى مـحـرم بـعـد محرم

على ما مضى من مقتكم وعقوقكم
وغشيانكم في أمـركـم كـل مأثم

وظلم نبي جاء يدعو إلـى الـهـدى
وأمر أتى من عند ذي الـعـرش قيم

فـلا تـحـسـبـونا مسلموه فمثله
إذا كان فـي قـوم فليس بمسلم[1]

ومن شعر أبي طالب في أمر الصحيفة التي كتبتها قريش في قطيعة بني هاشم :

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧١/١٤.

ألا أبلغا مني على ذات بينها
لؤياً وخصّا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً
رسولاً كموسى خطّ في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة
ولا حيف فيمن خصّه الله بالحب
وأن الذي رقشتم في كتابكم
يكون لكم يوماً كراغية السقب
أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبا
ويصبح من لم يجن ذنباً كذي الذنب
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا
أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما
أمر على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا وبيت الله نسلم أحمداً
لعزاء من عضّ الزمان ولا كرب
ولما تبن منّا ومنكم سوالف
وأيد أترت بالمهنّدة الشهب

بمعترك ضيق تـرى قصد الـقـنـا
بـه والضباع العرج تعكف كالـشرب
كـأن مـجـال الخيل فـي حـجراته
وغمغمة الأبطال معـركـة الـحـرب
أليس أبـونـا هـاشـم شـد أزره
وأوصـى بـنـيـه بالطعان وبالضرب
ولـسـنـا نـمـلّ الحـرب حتى تملنا
ولا نشتكي مـمـا ينوب مـن النكب
ولكنّنا أهـل الـحـفـائـظ والنهى
إذا طار أرواح الكماة مـن الرعب[1]

ومن ذلك قوله:

فـلا تـسـفـهوا أحلامكم في محمد
ولا تـتـبـعـوا أمـر الغواة الأشايم
تـمـنـيـتـم أن تـقـتـلوه وأنـمـا
أمـانـيـكـم هـذي كأحلام نائم
وأنـكـم والله لا تـقـتـلـونـه
ولما تروا قطـف اللحى والجماجم

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٢/١٤.

زعمتم بأنا مسلمون محمداً
ولما نقاذف دونه ونزاحم
من القوم مفضال أبي على العدى
تمكّن في الفرعين من آل هاشم
أمين حبيب في العباد مسوم
بخاتم ربّ قاهر في الخواتم
يرى الناس برهاناً عليه وهيبة
وما جاهل في قومه مثل عالم
نبي أتاه الوحي من عند ربه
فمن قال لا يقرع بها سن نادم[١]

ومن ذلك قوله وقد غضب لعثمان بن مظعون الجمحي حين عذبته قريش ونالت منه:

أمن تذكر دهر غير مأمون
أصبحت مكتئباً تبكي لمحزون
أم من تذكر أقوام ذوي سفه
يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين
ألا يرون أذلّ الله جمعكم
أنا غضبنا لعثمان ابن مظعون

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٣/١٤.

ونمنع الضيم من يبغي مضامتنا
بكل مطرد في الكف مسنون
ومرهفات كأن الملح خالطها
يشفى به الداء من هام المجانين
حتى يقرّ رجال لا حلوم لها
بعد الصعوبة بالأسماء واللين
أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب
على نبي كموسى أو كذي النون[1]

قال: وجاء في الخبر أن الحكم بن هشام جاء مرة إلى رسول الله ﷺ وهو ساجد وبيده حجر يريد أن يرضخ به رأسه، فلصق بكفه فلم يستطع ما أراد، فقال أبو طالب في ذلك من جملة أبيات:

أفيقوا بني عمنا وانتهوا عن الغي من بعض ذي المنطق
وإلاّ فإني إذاً خائف بوائق في داركم تلتقي
كما ذاق من كان من قبلكم ثمود وعاد ومن ذا بقي

ومنها:

وأعجب من ذاك في أمركم عجائب في الحجر الملصق
بكف الذي قام من حينه إلى الصابر الصادق المتّقي

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٣/١٤.

فـأثـبـتــه الله فــي كـــفـه على رغـمــة الخائن الأحمق[1]

قالوا: وقد اشتهر عن عبد الله المأمون أنه كان يقوله أسلم أبو طالب والله بقوله:

نصرت الرسول رسول المليك ببيض تلألأ كلمع البـــروق

أذب وأحمي رسـول الإلــه حماية حــام عليه شـفـيـق

ومـــا إن أذب لأعـــدائـــه ذبـيـب البكار حذار الفنيق

ولـكـن أزيــر لـهــم سامياً كما زار ليث بغيل مـضيــق[2]

قالوا: وجاء في السيرة، وذكره أكثر المؤرخين من أن عمرو بن العاص لما خرج إلى بلاد الحبشة ليكيد جعفر بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه عند النجاشي قال:

تقول ابـنـتي أيـن أيــن الرحيل

ومـا الـبـيــن مــنـي بـمـسـتـنكر

فـقـلـت دعـيـنـي فـإنـي امرؤ

أُريـــد النجاشي فـي جـعـفــر

لأكـــويـــه عـــنـــده كـيـــة

أُقـيـم بـهـا نـخـوة الأصـعـر

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٤/١٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٤/١٤.

ولـن أنـثـنـي عـن بنـي هاشم
بما استطعت في الغيب والمحضر
وعـن عايب اللات فـي قـولـه
ولـولا رضـا اللات لـم تمطر
وإنـي لأشـنـى قـريـش لـه
وإن كـان كـالـذهـب الأحمر[١]

قال: فكان عمرو يسمّى الشاني، لأن أباه كان إذا مر عليه رسول الله ﷺ بمكة يقول: والله أني لأشنؤك، وفيه أنزل إن شانئك هو الأبتر، فكتب أبو طالب إلى النجاشي يحرّضه فيه على إكرام جعفر وأصحابه والإعراض عما يقوله عمرو فيه وفيهم من جملته:

ألا ليت شعري لـيت في الناس جعفر
وعـمـرو وأعـداء النبي الأقـارب
وهـل نـال إحسان النجاشي جعفراً
وأصحابه أم عـاق عن ذاك شاغب

في أبيات كثيرة.[٢]

قالوا: وقد روي عن علي عليه السلام أنه قال: قال لي أبي: يا بني الزم ابن عمك، فإنك تسلم به من كل بأس عاجل وآجل، ثم قال لي:

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٥/١٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٥/١٤.

إن الوثيقة في لزوم محمد فاشدد بصحبته علي يديكا[١]

قالوا: ومن شعره المناسب لهذا المعنى قوله:

إن علياً وجعفراً ثقتي عند ملمّ الزمان والنوب

لا تخذلا وانصر ابن عمّكما أخي لأُمّي من بينهم وأبي

والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بني ذو حسب[٢]

قالوا: وجاءت الرواية أبا طالب لما مات جاء علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو محمول على رؤوس الرجال، فقال له: وصلتك رحمه يا عم، وجزيت خيراً، فلقد ربيت وكفلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً، ثم تبعه إلى حفرته فوقف عليه، وقال: أما والله لأستغفرن لك، ولأشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان.[٣]

قالوا: والمسلم لا يجوز يتولّى غسل الكافر، ولا يجوز للنبي أن يرقّ للكافر، ولا أن يدعو له بخير، ولا أن يعده الاستغفار والشفاعة، وإنما تولّى علي عليه السلام غسله، وطالباً وعقيلاً لم يكونا أسلما بعد، وكان جعفر بالحبشة، ولم يكن صلاة الجنازة شرعت بعد، ولا صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجة، وإنما كان تشييع ورقة ودعاء.[٤]

قالوا: ومن شعر أبي طالب يخاطب أخاه حمزة، وكان يكنى أبا يعلى:

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٥/١٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٦/١٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٦/١٤.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٦/١٤.

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد
وكن مظهراً للدين وفقت صابرا
وحطّ من أتى بالحق من عند ربه
بصدق وعزم لا تكن حمز كافرا
فقد سرّني إذ قلت إنك مسلم
فكن لرسول الله في الله ناصرا
وباد قريشاً بالذي قد أتيته
جهاراً وقل ما كان أحمد ساحرا[1]

قالوا ومن شعره المشهور:

أنت النبي محمد قرم أعزّ مسود
لمسودين أكارم طابوا وطاب المولد
نعم الأرومة أصلها عمرو الخضم الأوحد
هشم الربيكة في الجفان وعيش مكة أنكد
فجرت بذلك سنّة فيها الخبيزة تثرد
ولنا السقاية للحجيج بها يماث العنجد
والمازمان وما حوت عرفاتها والمسجد
أنى تضام ولم أمت وأنا الشجاع العربد
وبطاح مكة لا يرى فيها نجيع أسود

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٦/١٤.

وبنو أبيك كأنهم أسد العرين توقد
ولقد عهدتك صادقاً في القول لا تتزيّد
ما زلت تنطق بالصواب وأنت طفل أمرد[1]

قالوا: ومن شعره المشهور أيضاً قوله يخاطب محمد ﷺ ويسكّن جأشه ويأمره بإظهار الدعوة:

لا تمنعنّك من حق تقوم به
يد تصول ولا سلق بأصوات
فإن كفك كفي إن بليت بهم
ودون نفسك نفسي في الملمات[2]

ومن ذلك قوله، ويقال إنها لطالب بن أبي طالب:

إذا قيل من خير هذا الورى قبيلاً وأقربهم أسرة
أناف لعبد مناف أب وفضله هاشم الغزة
لقد حلّ مجد بني هاشم مكان النعايم والنثرة
وخير بني هاشم أحمد رسول الإله على فترة[3]

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٧/١٤.
[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٧/١٤.
[3] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٨/١٤.

ومن ذلك قوله:

لقد أكرم الله النبي محمداً فأكرم خلق الله في الناس أحمد

وشق له من اسمه ليجله فذا العرش محمود وهذا محمد[١]

وقوله أيضاً وقد يروى لعلي عليه السلام:

يا شاهد الله عليّ فأشهد أني على دين النبي أحمد

من ضلّ في الدين فإني مهتدي[٢]

قالوا: فكل هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر، لأنه إن لم يكن آحادها متواترة، فمجموعها يدل على أمر واحد مشترك، وهو تصديق محمد صلى الله عليه وآله، ومجموعها متواتر، كما أن كل واحدة من قتلات علي عليه السلام الفرسان منقولة آحاد، مجموعها متواتر يفيدها العلم الضروري بشجاعته، وكذلك القول فيما روي من سخاء حاتم، وحلم الأحنف ومعاوية، وذكاء أياس، وخلاعة أبي نواس، وغير ذلك.[٣]

قالوا: وأتركوا هذا كله جانباً، ما قولكم في القصيدة اللامية التي شهرتها كشهرة ﴿قفا نبك﴾ وإن جاز الشك فيها أو في شيء من أبياتها، جاز الشك في ﴿قفا نبك﴾ وفي بعض أبياتها، ونحن نذكر منها هاهنا قطعة وهي قوله:

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٨/١٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٨/١٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد٧٨/١٤.

أعــوذ بــرب البيت من كل طاعن
عـلـيـنـا بــسـوء أو مـلـح بباطل
ومـن فـاجـر يـغـتـابـنـا بمغيبة
ومن ملحق في الدين مـا لم نحاول
كـذبـتـم وبـيت الله يبزى محمد
ولـمـا نـطـاعـن دونـه ونناضل
ونـنـصـره حـتـى نـصـرع دونـه
ونـذهـل عـن أبـنـائنـا والحلائل
وحتى نـرى ذا الردع يركب ردعه
مـن الـطـعن فعل الأنكب المتحامل
ويـنـهـض قـوم في الحديد إليكم
نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وإنـا وبـيـت الله إن جـدّ جـدّنـا
لـتـلـتـبـسـن أسـيـافـنـا بالأماثل
بـكـل فـتـى مـثـل الشهاب سميدع
أخـي ثـقـة عـنـد الحفيظة باسل
ومـا تـرك قـوم لا أبـاً لك سيداً
يـحـوط الـذمار غير نكس مواكل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاّك من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل
وميزان صدق لا يخيس شعيره
ووزان صدق وزنه غير عائل
ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب
لدينا ولا يعبأ بقول الأباطل
لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد
وأحببته حب الحبيب المواصل
وجدت بنفسي دونه فحميته
ودافعت عنه بالذرى والكواهل
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها
وشيناً لمن عادى وزين المحافل
وأيده رب العباد بنصره
وأظهر ديناً حقه غير باطل[١]

وورد في السير والمغازي أن عتبة بن ربيعة أو شيبة لما قطع رجله عبيدة بن الحارث بن المطلب يوم بدر، استمال عليه علي وحمزة ﰈ

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧٨/١٤.

فأستنقذاه منه، وخبطا عتبة بسيفهما حتى قتلاه، وأحتملا صاحبهما من المعركة إلى العريش، فألقياه بين يدي رسول الله ﷺ، وإن مخ ساقه ليسيل، فقال: يا رسول الله لو كان أبو طالب حياً لعلم أنه قد صدق في قوله:

كذبتم وبيت الله نخلّي محمداً   ولما نطاعن دونه ونناضل

وننصره حتى نصرع حوله   ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقالوا: إن رسول الله ﷺ استغفر له ولأبي طالب يومئذ، وبلغ عبيدة مع النبي ﷺ إلى الصفراء ومات فدفن بها.[1]

قالوا: وروي أن اعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ في عام جدب، فقال: أتيناك يا رسول الله، ولم يبق لنا صبي يرتضع، ولا شارف يجتر، ثم أنشده:

أتيناك والعذراء تدمى لبانها

وقد شغلت أم الرضيع عن الطفل

والقى بكفيه الفتى لإستكانة

من الجوع حتى ما يمر ولا يحلي

ولا شيء مما يأكل لناس عندنا

سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل

وليس لنا إلاّ إليك فرارنا

وأين فرار الناس إلاّ إلى الرسل

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٠/١٤

فقام النبي ﷺ يجرّ رداءه حتى صعد إلى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: اللهمّ اسقنا غيثاً مغيثاً، مرياً هنيئاً، مريعاً سحاً سجالاً، غدقاً طبقاً، طابقاً دائماً، دراً، تحيي به الأرض، وتنبت به الزرع، وتدرّ به الضرع، وأجعله سقياً نافعاً، عاجلاً غير رائث، فوالله ما ردّ رسول الله يده الى نحره حتى ألقت السماء أرواقها، وجاء الناس يضجّون الغرق الغرق يا رسول الله، فقال: اللهمّ حوالينا ولا علينا، فأنجاب السحاب عن المدينة حتى استدار حولها كالإكليل، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: لله درّ أبي طالب لو كان حياً لقرّت عينه، من ينشدنا قوله؟ فقام علي فقال: يا رسول الله لعلك أردت وأبيض يستسقى الغمام بوجهه قال: أجل، فأنشده أبياتاً من هذه القصيدة، ورسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر، ثم قام رجل من كنانة:

لك الحمد والحمد ممن شكر ... سقينا بوجه النبي المطر

دعا الله خالقه دعوة ... إليه وأشخص منه البصر

فما كان إلاّ كما ساعة ... أو أقصر حتى رأينا المطر

دفاق العزالى وجم البعاق ... أغاث به الله عليا مضر

فكان كما قاله عمه ... أبو طالب ذو رواء غرر

به يسر الله صوب الغمام ... فهذا العيان وذاك الخبر

فمن يشكر الله يلق المزيد ... ومن يكفر الله يلق الغير

فقال رسول الله ﷺ إن يكن شاعر أحسن فقد أحسنت.[١]

قالوا: وإنما لم يظهر أبو طالب لإسلامه ويجاهر، لأنه لو أظهره لم يتهيّأ له من نصرة النبي ﷺ ما تهيّأ له، وكان كواحد من المسلمين الذين اتّبعوه نحو أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهما ممن أسلم، ولم يتمكّن من نصرته والقيام دونه حينئذ، وإنما تمكّن أبو طالب من المحامات عنه بالثبات في الظاهر على دين قريش، وإن أبطن الإسلام، كما لو أن إنساناً يبطن التشيع مثلاً وهو في بلاد الكرامية، ويحفظ ناموسه بينهم بذلك، وكان في ذلك البلد نفر يسير من الشيعة لا يزالون ينالون بالأذى والضرر من أهل ذلك البلد ورؤسائه، فإنه ما دام قادراً على إظهار مذهب أهل البلد، يكون أشدّ تمكناً من المدافعة والمحاماة عن أُولئك النفر، فلو أظهر ما يجوز من التشيع، وكاشف أهل البلد بذلك، صار حكمه حكم واحد من أُولئك النفر، ولحقه من الأذى والضرر ما يلحقهم، ولم يتمكّن من الدفاع أحياناً عنهم كما كان أولاً.[٢]

قال: قلت: فأما أنا فإن الحال ملتبسة عندي، والأخبار متعارضة، والله أعلم بحقيقة حاله كيف كانت، ويقف في نفسي رسالة النفس الزكية إلى المنصور وقوله فيها: فأنا ابن خير الأخيار، وأنا ابن شر الأشرار، وأنا ابن سيد أهل الجنة، وأنا ابن سيد أهل النار، فإن هذه شهادة منه على أبي طالب بالكفر

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٠/١٤

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨١/١٤

وهو ابنه، وغير متهم فيه، وعهده قريب من عهد النبي ﷺ، لم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلاً.

وجملة الأمر أنه روي في إسلامه أخبار كثيرة، وروي في موته على دين قومه أخبار كثيرة، فتعارض الجرح والتعديل، فكان كتعارض البيّنتين عند الحاكم، وذلك يقتضي التوقّف، فأنا في أمره من المتوقّفين، فأما الصلاة وكونه لم ينقل عنه أنه صلّى، فيجوز أن يكون، لأن الصلاة لم تكن بعد قد فرضت، وإنما كانت نفلاً غير واجب، فمن شاء صلّى، ومن شاء ترك، ولم تفرض إلاّ بالمدينة، ويمكن أن يقول أصحاب الحديث إذا تعارض الجرح والتعديل كما قد أشرتم إليه، فالترجيح عند أصحاب أُصول الفقه لجانب الجرح، لأن الجارح قد اطّلع على زيادة لم يطلع عليها المعدل، ولخصومهم أن يجيبوا عن هذا فنقول: هذا إنما يقال ويذكر في أُصول الفقه في طعن مفصل في مقابله تعديل مجمل، مثاله أن يروي شعبة حديثاً عن رجل، فهو بروايته عنه قد وثّقه، ويكفي في توثيقه له أن يكون مستور الحال عنده، ظاهر العدالة، فيطعن فيه الدارقطني مثلاً، بأن يقول كان مدلّساً أو كان يرتكب الذنب الفلاني، فيكون قد طعن مفصلاً في مقابلة تعديل مجمل، وفيما نحن بصدده الروايتان متعارضتان تفصيلاً لا إجمالاً، لأن هؤلاء يروون أنه تلفّظ بكلمتي الشهادة عند الموت، وهؤلاء يروون أنه قال عند الموت أنا على دين الأشياخ، وبمثل هذا يجاب من يقول من الشيعة روايتنا في إسلامه أرجح، لأنا نروي حكماً إيجابياً،

ونشهد على إثبات، وخصومنا يشهدون على النفي، وذلك إن الشهادة في الجانبين معاً إنما هي على إثبات، ولكنه إثبات متضاد.[١]

وصنّف بعض الطالبيين في هذا العصر كتاباً في إسلام أبي طالب وبعثه لي، وسألني أن أكتب عليه بخطي نظماً ونثراً، أشهد فيه بصحة ذلك، وبوثاقة الأدلة عليه، فتحرّجت أن أحكم بذلك حكماً قاطعاً، لما عندي من التوقّف فيه، ولم أستجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب، فإني أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام دعامة، وأعلم أن حقه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة، فكتبت على ظاهر المجلد:

ولولا أبو طالب وابنه ... لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى ... وهذا بيثرب جس الحماما
تكفّل عبد مناف بأمر ... وأودى فكان علي تماما
فقل في ثبير مضى بعدما ... قضى ما قضاه وأبقى شماما
فلله ذا فاتحاً للهدى ... ولله ذا للمعالي ختاما
وما ضرّ مجد أبي طالب ... جهول لغا أو بصير تعاما
كما لا يضرّ إياة الصباح ... من ظن ضوء النهار الظلاما

فوفيته حقّه من التعظيم والإجلال، ولم أجزم بأمر عندي فيه وقفة.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨١/١٤

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٣/١٤

أقول: من نظر بأدنى تأمّل علم [أن] أدلة الإسلام أكثر وأظهر دلالة من غير طعن إسناد ولا اشتباه في دلالة، بخلاف ما ذكر مما استدل به على أنه مات على دين المشايخ، واهية مطعون فيها كما ذكره من رواية المغيرة بن شعبة، وهي أقوى ما استدلوا به.

والعجب من توقف ابن أبي الحديد وعدم جزمه [بإسلامه] بعدما ذكره هنا من الأدلة الأكثرية على إسلامه، بل رواية الإسلام لا يعارضها ما قابلها، لأنه ادّعى التواتر في طريق الإسلام، [والتواتر] يفيد العلم، فلا يعارضه ظني، كما تقرّر في أُصول الفقه.

وأيضاً بيّنة الإثبات أعني بيّنة الإسلام مقدّمة على بيّنة نفي الإسلام، [وبيّنة] الإثبات ناقلة، وبيّنة النفي مقرّرة، والناقل مقدّم على المقرّر، كما تقرّر في أُصول الفقه، وإن التأسيس خير من التأكيد.

وبالجملة إيمان أبي طالب يكفي فيه إجماع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم على ذلك، والروايات الأكثرية من الجمهور يقال فيها مرحباً بالوفاق، والحمد لله.

قال: قال أبو جعفر الاسكافي: روي أن أبا طالب فقد النبي صلى الله عليه وآله يوماً وكان يخاف عليه من قريش أن يغتالوه، فخرج معه ابنه جعفر يطلبان النبي صلى الله عليه وآله فوجده قائماً يصلّي، وعلي عليه السلام عن يمينه، فلما رآهما أبو طالب قال لجعفر تقدّم فصل جناح ابن عمك، فقام جعفر عن يساره، فلما صاروا ثلاثة تقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله وتأخّر الاخوان، فبكا أبو طالب ودخلته رقة الرحم وقال:

إن علياً وجـعـفراً ثـقـتـي عند ملم الخطوب والـنـوب
لا تخذلا وانصر ابن عمّكما أخي لأُمّي من بينهم وأبـي
والله لا أخـذل الـنبـي ولا يخذله من بني ذو حسـب

فذكر الرواة أن جعفر أسلم منذ ذلك اليوم، لأن أباه أمره بذلك، فأطاع أمره.[١]

وقال ابن أبي الحديد: إن من قرأ علوم السير عرف أن الإسلام لولا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً.[٢]

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٦٩/١٣.
[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤٢/١.

الباب
السادس والستون
في إسلام سلمان الفارسي وفضله

ابن أبي الحديد قال ومن كتاب كتبه عليه السلام إلى سلمان الفارسي وقيل أيام خلافته: أما بعد: فإنما مثل الدنيا كمثل الحيّة، ليّن مسّها، قاتل سمّها، فأعرض عمّا يعجبك فيها، لقلّة ما يصبحك منها، وضع عنك همومها لما أيقنت به من فراقها، وتصرّف حالاتها، وكن آنس ما تكون منها احذر ما تكون منها، فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور، أشخصه عنه إلى محذور، والسلام.[1]

قال في الشرح: سلمان رجل من فارس من رامهرمز، وقيل: من اصفهان من قرية يقال لها جي، وهو معدود من موالي رسول الله صلى الله عليه وآله، وكنيته أبو عبد الله، وكان إذا قيل له ابن من أنت؟ يقول: أنا سلمان ابن الإسلام، أنا من بني آدم.

وقد روي أنه تداوله أرباب كثيرة بضعة عشر رباً من واحد إلى آخر حتى أفضى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وروى أبو عمرو بن عبد البر في كتاب الاستيعاب أن سلمان أتى رسول الله صلى الله عليه وآله بصدقة، فقال له: هذه صدقة عليك

---

[1] - نهج البلاغة ١٢٨/٣.

وعلى أصحابك، فلم يقبلها، وقال: إنه لا يحل لنا الصدقة، فرفعها، ثم جاء من الغد بمثلها، وقال: هذه هدية، فقال لأصحابه: كلوا، وأشتراه من أربابه، وهم قوم يهود بدراهم وعلى أن يغرس لهم من النخل كذا وكذا، ويعمل فيها حتى يدرك، فغرس رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك النخل كله إلاّ نخلة واحدة غرسها عمر بن الخطاب، فأطعم النخل كله إلاّ تلك النخلة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من غرسها؟ فقيل: عمر، فقطعها فغرسها رسول الله صلى الله عليه وآله بيده، فأطعمت.[١]

قال أبو عمرو: وكان سلمان يسف الخوص، وهو أمير على المدائن ويبيعه، ويأكل منه، ويقول: لا أُحبّ أن آكل إلاّ من عمل يدي، وكان قد تعلّم سف الخوص من المدينة، وأول مشاهده الخندق، وهو الذي أشار بحفره، فقال أبو سفيان وأصحابه لما رأوه: هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها.[٢]

قال أبو عمرو: وقد روي أن سلمان شهد بدراً وأُحداً وهو عبد يومئذ، والأكثر أن أول مشاهده الخندق، ولم يفته بعد ذلك مشهداً.[٣]

قال: وكان سلمان حبراً فاضلا خيراً عالماً زاهداً متقشفاً.[٤]

[١] - الاستيعاب ١٩١/١.

[٢] - الاستيعاب ١٩١/١.

[٣] - الاستيعاب ١٩١/١.

[٤] - الاستيعاب ١٩١/١.

قال: وذكر هشام بن حسان، عن الحسن البصري، قال: كان عطاء سلمان خمسة آلاف، وكان إذا خرج تصدّق به، وأكل من عمل يده، وكانت له عباءة يفرش بعضها، ويلبس بعضها.[١]

قال: وذكر ابن وهب، وابن نافع أن سلمان لم يكن له بيت، إنما كان يستظلّ بالجدر والشجر، وإن رجلاً قال له: ألا أبني لك بيتاً تسكن فيه، قال: لا حاجة لي في ذلك، فما زال به الرجل حتى قال له: أنا أعرف البيت الذي يوافقك، فقال: فصفه لي، فقال: أبني لك بيتاً إذا أنت قمت فيه أصاب رأسك سقفه، وإن أنت مددت فيه رجليك أصابهما الجدار، قال: نعم، فبنى له.[٢]

قال أبو عمرو: وقد روى عن رسول الله ﷺ من وجوه أنه قال: لو كان الدين في الثريا لناله سلمان.

وفي رواية أُخرى لنالها رجل من فارس.[٣]

قال: وقد روينا عن عائشة قالت: كان لسلمان مجلس من رسول الله ﷺ ينفرد به بالليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله ﷺ.[٤]

---

[١] - الاستيعاب ١٩١/١.

[٢] - الاستيعاب ١٩٢/١.

[٣] - الاستيعاب ١٩٢/١.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٤/١٨، الاستيعاب

قال: وقد روي من حديث ابن بريدة، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: أمرني ربي بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم، علي، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان.[١]

قال: وقد روى أبو قتادة، عن أبي هريرة قال: سلمان صاحب الكتابين، الانجيل، والقرآن.[٢]

قال: وقد روى الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن علي ﴿رضي الله عنه﴾ أنه سئل عن سلمان، قال: علم العلم الأول، والعلم الآخر، ذاك بحر لا ينزف، وهو منا أهل البيت.[٣]

قال: وفي رواية زاذان، عن علي عليه السلام: سلمان الفارسي كلقمان الحكيم.[٤]

قال: قال فيه كعب الأحبار سلمان حشي علماً وحكمة.

قال: وفي الحديث المروي أن أبا سفيان مر على سلمان، وصهيب، وبلال في نفر من المسلمين، فقالوا: ما أخذت السيوف من عنق عدو الله مأخذها، وأبو سفيان يسمع قولهم، فقال لهم أبو بكر: تقولون هذا لشيخ قريش وسيدها، وأتى النبي فأخبره، فقال: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لئن كنت

---

[١] شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٦/١٨، الاستيعاب ١٩٢/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٦/١٨. الاستيعاب ١٩٢/١.

[٣] - الاستيعاب ١٩٢/١.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٦/١٨، الاستيعاب ١٩٢/١.

أغضبتهم، لقد أغضبت الله، فأتاهم أبو بكر فقال: يا اخوتاه لعلي أغضبتكم؟ قالوا: لا يا أبا بكر، يغفر الله لك.[1]

قال: وآخا رسول الله ﷺ بينه وبين أبي الدرداء لما آخى بين المسلمين.

قال: ولسلمان فضائل جمّة وأخبار حسان، وتوفى في آخر خلافة عثمان، سنة خمس وثلاثين، وقيل: توفى في أول سنة ست وثلاثين، وقال قوم: توفى في خلافة عمر، والأول أكثر.[2]

وأما حديث إسلام سلمان فقد ذكره كثير من المحدثين ورووه عنه، قال: كنت ابن دهقان قرية جي من اصفهان، وبلغ من حب أبي إليّ أن حبسني في البيت كما يحبس الجارية في البيت، فأجتهدت في المجوسية حتى صرت قطن بيت النار، فأرسلني أبي يوماً إلى ضيعة له، فمررت بكنيسة الأنصار فدخلت عليهم، فأعجبني صلاتهم، فقلت: دين هؤلاء خير من ديني، فسألتهم أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام، فهربت من والدي حتى قدمت الشام، فدخلت على الاسقف، وجعلت أُحدّثه وأتعلّم منه حتى حضرته الوفاة، فقلت: إلى من توصي بي؟ فقال: قد هلك الناس، وتركوا دينهم إلاّ رجلاً بالموصل فألحق به، فلما قضى نحبه، لحقت بذلك الرجل، فلم يلبث إلاّ قليلاً حتى حضرته الوفاة، فقلت: إلى من توصي بي؟ قال: قد ترك الناس دينهم إلاّ واحداً

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٦/١٨، الاستيعاب ١٩٢/١.

[2] - الاستيعاب ١٩٢/١.

بنصيبين، فلحقت بصاحب نصيبين، قالوا: وتلك الصومعة باقية، وهي التي تعبّد فيها سلمان قبل الإسلام.

قال: ثم احتضر صاحب نصيبين، فبعثني إلى رجل بعمورية من أرض الروم، فأتيته وأقمت عنده، وأكتسبت بقرات وغنيمات، فلما نزل به الموت قلت: بمن توصي بي؟ قال: قد ترك الناس دينهم وما بقي أحد منهم على الحق، وقد أطل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض الرعب مهاجراً إلى أرض بين حرتين، بها نخل، قلت: فما علامته؟ قال: يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، قال: ومر بي ركب من كلب، فخرجت معهم، فلما بلغوا بي وادي القرى ظلموني وباعوني من يهودى، فكنت أعمل في زرعه ونخله، فبينا أنا عنده إذ قدم ابن عم له فابتاعني منه، وحملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلاّ أن رأيتها فعرفتها، وبعث الله محمداً بمكة، ولا أعلم بشيء من أمره، فبينا أنا في رأس نخلة إذ أقبل ابن عم لسيدي، فقال: قاتل الله بني قتيلة، قد أجتمعوا على رجل بقبا قدم عليهم من مكة يزعمون أنه نبي، قال: فأخذني الغرواء والانتفاض، ونزلت عن النخلة، وجعلت أستقصي السؤال فما كلمني سيدي بكلمة، بل قال: أقبل على شاتك، ودع ما لا يعنيك، فلما أمسينا أخذت شيئاً كان عندي من التمر، وأتيت به النبي ﷺ، فقلت له: بلغني أنك رجل صالح، وأن لك أصحاباً غرباء ذوي حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، فقال ﷺ لأصحابه: كلوا وأمسك، فلم يأكل، فقلت في نفسي: هذه واحدة وأنصرفت، فلما كان الغد أخذت ما كان

بقي عندي، وأتيت به، فقلت له: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية، فقال: كلوا وأكل معهم، فقلت: إنه لهو، فأكببت عليه أُقبّله وأبكي، فقال لي: ما لك؟ فقصصت عليه القصة فأعجبه، ثم قال: يا سلمان كاتب صاحبك، فكاتبته على ثلاثمائة نخلة، وأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ للأنصار: أعينوا أخاكم، فأعانوني بالنخل حتى جمعت ثلاثمائة ودية، فوضعها رسول الله ﷺ بيده، فصحت كلها، وأتاه مال من بعض المغازي فأعطاني منه، وقال: أد كتابتك، فأدّيت وعتقت.[١]

وكان سلمان من شيعة علي عليه السلام وخاصته، وتزعم الإمامية أنه أحد الأربعة الذين حلقوا رؤوسهم متقلدي سيوفهم في خبر يطول، وليس هذا موضع ذكره، وأصحابنا لا يخالفونهم في أن سلمان كان من الشيعة، وإنما يخالفونهم في أمر أزيد من ذلك، ولم يذكره المحدثون من قوله للمسلمين يوم السقيفة كرديد ونكريد، محمول هذا عند أصحابنا على أن المراد صنعتم شيئاً، وما صنعتم، أي استخلفتم خليفة ونعم ما فعلتم إلاّ أنكم عدلتم عن أهل البيت، فلو كان الخليفة منهم كان أولى، والإمامية تقول معناه أسلمتم، وما أسلمتم، واللفظة المذكورة في الفارسية لا تعطي هذا المعنى، وإنما تدل على الفعل والعمل لا غير، ويدل على صحة قول أصحابنا أن سلمان عمل لعمر على المدائن، فلو كان ما ينسبه الإمامية إليه حقاً لم يعمل.[٢]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٧/١٨.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣٩/١٨.

وقال: قال أبو وائل: ذهبت أنا وصاحب لي إلى سلمان الفارسي فجلست عنده، فقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهى عن التكلف لتكلفت لكم، ثم جاء بخبز وملح ساذج لا ابزار عليه، فقال صاحبي: لو كان لنا في ملحنا هذا سعتر، فبعث سلمان بمطهرته فرهنها على سعتر، فلما أكلنا، قال صاحبي: الحمد لله قنعنا بما رزقنا، فقال سلمان: لو قنعت بما رزقك لم تكن مطهرتي مرهونة.[١]

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٥٥/٣.

الباب
السابع والستون
في الجماعة الذين أنكروا بيعة من تقدّم على علي عليه السلام
سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار

ابن أبي الحديد قال: قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري صاحب كتاب السقيفة: روى أبو زيد، عن حباب بن يزيد، عن جرير، عن المغيرة، أن سلمان والزبير، وبعض الأنصار كان هواهم أن يبايعوا علياً عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله، فلما بويع أبو بكر قال سلمان ﴿رضي الله عنه﴾ للصحابة: أصبتم الخيرة ولكن أخطأتم المعدن.

قال وفي رواية أُخرى: أصبتم ذا السن منكم، ولكنكم أخطأتم، أهل بيت نبيكم، أما لو جعلتموها فيهم ما أختلف منكم اثنان، ولأكلتموها رغداً.[1]

قال: قلت: هذا الخبر هو الذي يرويه المتكلمون في باب الإمامة عن سلمان ﴿رضي الله عنه﴾ قال: كرديد ونكرديد، وتفسره الشيعة فتقول: أراد أسلمتم وما أسلمتم، ويفسره أصحابنا فيقولون معناه: أصبتم وأخطأتم.

قال: وروى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز، عن حباب بن يزيد، عن جرير، عن المغيرة، أن سلمان والزبير والأنصار كان هواهم أن يبايعوا علياً

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٣/٦.

عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله، فلما بويع أبو بكر، قال سلمان الفارسي رحمه الله: أصبتم الخيرة، وأخطأتم المعدن.[1]

قال: قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن هاشم، قال: حدثنا عمرو بن ثابت، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: قال سلمان يومئذ: أصبتم ذا السن منكم، وأخطأتم أهل بيت نبيكم، لو جعلتموها فيهم ما أختلف عليكم إثنان، ولأكلتموها رغداً.[2]

وقال: روى أحمد بن عبد العزيز في أخبار السقيفة، عن محمد بن قيس الأسدي، عن المعروف بن سويد، قال: كنت بالمدينة أيام بويع عثمان، فرأيت رجلاً جالساً في المسجد، وهو يصفق بإحدى يديه على الأُخرى، والناس حوله ويقول: وا عجباً من قريش وإستئثارهم بهذا الأمر على أهل هذا البيت، معدن الفضل، ونجوم الأرض، ونور البلاد، والله إن فيهم لرجلاً ما رأيت رجلاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أولى منه بالحق، ولا أقضى بالعدل، ولا آمر بالمعروف، ولا أنهى عن المنكر، فسألت عنه، فقيل: هذا المقداد، فتقدّمت إليه وقلت: أصلحك الله، من الرجل الذي تذكره؟ فقال: ابن عم نبيك علي بن أبي طالب، قال: فلبثت ما شاء الله، ثم إني لقيت أبا ذر رحمه الله فحدثته بما قال المقداد، فقال: صدق، قلت: فما يمنعكم أن تجعلوا هذا الأمر فيهم، قال: أبى

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٣/٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٩/٢.

ذلك قومهم، قلت: فما يمنعكم أن تعينوهم؟ قال: مه لا تقل هذا، إياكم والفرقة والاختلاف، قال: فسكت عنه، ثم كان بعد من الأمر ما كان.[1]

قال: قال أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن سهل بن سعد الأنصاري، وذكر حديث الشورى إلى أن قال: قال علي عليه السلام: اعطني يا عبدالرحمن موثقاً من الله لتؤثرن الحق، ولا تتبع الهوى، ولا تمل إلى صهر، ولا ذي قرابة، ولا تعمل إلاّ بالله، ولا تألوا هذه الأُمة أن تختار لها غيرها، قال: فحلف له عبد الرحمن بالله الذي لا إله إلاّ هو لأجهدنّ بنفسي، ولكم، وللأُمة، ولا أميل إلى هوى، ولا صهر، ولا ذي قرابة، قال: فخرج عبد الرحمن، فمكث ثلاثة أيام يشاور الناس، ثم رجع وأجتمع الناس، وأكثروا على الباب لا يشكون أنه يبايع علي بن أبي طالب، وكان هوى قريش كافة ما عدا بني هاشم في عثمان، وهوى طائفة من الأنصار مع علي، وهوى طائفة أُخرى مع عثمان، وهي أقلّ الطائفتين، وطائفة لا يبالون أيّهما بويع، قال: فأقبل المقداد بن عمرو والناس مجتمعون فقال: أيّها الناس اسمعوا ما أقول، أنا المقداد بن عمرو، إنكم إن بايعتم علياً سمعنا وأطعنا، وإن بايعتم عثمان سمعنا وعصينا، فقام عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي فنادى: أيّها الناس إنكم إن بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا، وإن بايعتم علياً سمعنا وعصينا، فقال له المقداد: يا عدو الله وعدو رسوله، وعدو كتابه، ومتى كان مثلك يسمع له الصالحون، فقال له عبد الرحمن: يا ابن الحليف العسيف، ومتى كان مثلك يجترىء على الدخول في أمر قريش، فقال

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢١/٩.

عبد الله بن أبي سرح: أيّها الملأ إن أردتم أن لا تختلف قريش فيما بينها، فبايعوا عثمان، فقال عمار بن ياسر: إن أردتم لا يختلف المسلمون فيما بينهم، فبايعوا علياً، ثم أقبل على عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فقال: يا فاسق يا ابن الفاسق، لأنت من يستنصحه المسلمون أو يشيرونه في أُمورهم، وأرتفعت الأصوات، ونادى مناد لا يدري من هو، قريش تزعم أنه رجل من بني مخزوم، والأنصار تزعم أنه رجل طوال أدم مشرف على الناس لا يعرفه أحد منهم، ياعبد الرحمن اقرع من أمرك، وامض على ما في نفسك، فإنه الصواب.

قال الشعبي: فأقبل عبد الرحمن على علي بن أبي طالب، فقال: عليك عهد الله وميثاقه، وأشدّ ما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق، إن بايعتك لتعملنّ بكتاب الله، وسنّة رسوله، وسيرة أبي بكر، فقال علي عليه السلام: على طاقتي ومبلغ علمي، وجهد رأيي، والناس يسمعون، وأقبل على عثمان فقال له مثل ذلك، فقال: نعم، لا أزول عنه، ولا أدع شيئاً، ثم أقبل على علي عليه السلام فقال له: ذلك ثلاث مرات في كل ذلك يجيب علي مثل ما أجاب به، قال: ابسط يدك يا عثمان، فبسط يده فبايعه، وقام القوم فخرجوا، وقد بايعوا إلاّ علي بن أبي طالب، فإنه لم يبايع، قال: فخرج عثمان إلى الناس ووجهه متهلّل، وخرج علي عليه السلام وهو كاسف البال مظلم، وهو يقول: يا ابن عوف، وليس هذا بأول يوم تظاهرتم علينا فيه من دفعنا عن حقنا، والإستئثار علينا، وإنها لسنة علينا، وطريقة تركتموها، فقال المغيرة بن شعبة لعثمان: أما والله لو بويع غيرك لما بايعناه، فقال له عبد الرحمن بن عوف: كذبت والله، لو بويع غيره لبايعته، وما

أنت وذاك يا ابن الدبّاغة، والله لو وليها غيره لقلت له مثل ما قلت الآن تقرّباً إليه، وطمعاً في الدنيا، فأذهب إليك، فقال المغيرة: أما لولا مكان أمير المؤمنين لأسمعتك ما تكره، ومضيا.

قال الشعبي: فلما دخل عثمان رحله دخل إليه بنو أُميّة حتى امتلأت بهم الدار، ثم أغلقوها عليهم، فقال أبو سفيان بن حرب: أعندكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا قال: يا بني أُميّة تلقّفوها تلقّف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب، ولا جنة ولا نار، ولا بعث ولا قيامة، قال: ف فأنتهره عثمان، وساءه ما قال، وأمر بإخراجه.

قال الشعبي: فدخل عبد الرحمن بن عوف على عثمان فقال له: ما صنعت؟ فوالله ما وقفت حيث تدخل رحلك على أن تصعد المنبر فتحمد الله وتثني عليه، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتعد الناس خيراً، قال: فخرج عثمان فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: هذا مقام لم نكن نقومه، ولم نعد له من الكلام الذي يقام به في مثله، وسأهيء ذلك إن شاء الله، ولن آلو أُمة محمد خيراً، والله المستعان، ثم نزل.[1]

قال عوانة: فحدثني يزيد بن جرير، عن الشعبي، عن شقيق بن مسلمة، في أن علي بن أبي طالب لما انصرف إلى رحله قال لبني هاشم: يا بني عبدالمطلب إن قومكم عادوكم بعد وفاة النبي، كعداوتهم النبي في حياته، وإن تطع قومكم لا تؤمروا أبداً، والله لا ينيب هؤلاء إلى الحق إلاّ بالسيف،

[1] – شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥١/٩.

قال: وعبد الله بن عمر بن الخطاب داخل إليهم، قد سمع الكلام كله، فدخل فقال: يا أبا الحسن أتريد أن تضرب بعضهم ببعض؟ فقال: اسكت ويحك، فوالله لولا أبوك وما ركب مني قديماً وحديثاً ما نال مني ابن عفان ولا ابن عوف، فقام عبد الله فخرج.

فقال: وأكثر الناس في أمر الهرمزان وعبيد الله بن عمر وقتله إياه، وبلغ عثمان ما قال فيه علي بن أبي طالب، فقام فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيّها الناس إنه لمن قضاء الله أن عبيد الله بن عمر بن الخطاب أصاب الهرمزان، وهو رجل من المسلمين، وليس له وارث إلاّ الله والمسلمون، وأنا إمامكم وقد عفوت، أفتعفون عن عبيد الله ابن خليفتكم بالأمس؟ قالوا: نعم، فعفى عنه، فلما بلغ علياً تضاحك، وقال: سبحان الله لقد بدأ بها عثمان، أيعفو عن حق أمرء ليس بواليه، تالله إن هذا لهو العجب. قالوا: فكان ذلك أول ما بدا من عثمان ممّا نقم عليه.[1]

قال الشعبي: وخرج المقداد من الغد فلقى عبد الرحمن، فأخذ بيده وقال: إن كنت أردت مما صنعت وجه الله، فأثابك الله ثواب الدنيا والآخرة، وإن كنت إنما أردت الدنيا، فأكثر الله مالك، فقال عبد الرحمن: اسمع رحمك الله، قال: لا أسمع والله، وجذب يده من يده، ومضى حتى دخل علي عليه السلام فقال: قم فقاتل حتى نقاتل معك، قال علي: فيمن أُقاتل رحمك الله، وأقبل عمار بن ياسر ينادي:

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٤/٩.

يـا ناعي الإسلام قم فأنعه قد مات عرف وبدا منكر

أما والله لو أن لي أعواناً لقاتلتهم، والله لئن قاتلهم واحد لأكون له ثانياً، فقال علي: يا أبا اليقظان، والله لا أجد عليهم أعواناً، ولا أُحبّ أن أُعرّضكم لما لا تطيقون، وبقي علي في داره وعنده نفر من أهل بيته، وليس يدخل إليه أحد مخافة عثمان.[١]

قال الشعبي: وأجتمع أهل الشورى على أن تكون كلمتهم واحدة على أن يبايع، فقاموا إلى علي، فقالوا: قم فبايع عثمان، قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: نجاهدك، قال: فمشى إلى عثمان حتى بايعه، وهو يقول: صدق الله، وصدق رسوله، فلما بايع أتاه عبد الرحمن بن عوف فاعتذر إليه، وقال: إن عثمان أعطانا يده ويمينه، ولم تفعل أنت، فأحببت أن أتوثق للمسلمين، فجعلتها فيه، فقال: إيهاً عنك، إنما آثرته بها لتنالها بعده، دقّ الله بينكما عطر منشم.[٢]

قال الشعبي: وقدم طلحة من الشام بعد ما بويع عثمان، فقيل له ردّ هذا الأمر حتى ترى فيه رأيك، فقال: والله لو بايعتم شرّكم لرضيت، وكيف وقد بايعتم خيركم، قال: عدا عليه بعد ذلك وصاحبه حتى قتلاه، ثم زعما أنهما يطلبان بدمه.[٣]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩/٥٥.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩/٥٥.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩/٥٦.

قال الشعبي: فأما ما يذكره الناس من المناشدة وقول علي عليه السلام لأهل الشورى: أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله كذا فإنه لم يكن يوم البيعة، وإنما كان بعد ذلك بقليل، دخل علي على عثمان وعنده جماعة من الناس منهم أهل الشورى، وقد كان بلغه عنهم هنات وقوارص، فقال لهم: أفيكم أفيكم، كل ذلك يقولون لا، قال: لكني أُخبركم عن أنفسكم، أما أنت يا عثمان ففررت يوم حنين، وتولّيت يوم التقى الجمعان، وأما أنت يا طلحة فقلت إن مات محمد لنركضنّ بين خلاخل نسائه، كما ركض بين خلاخل نسائنا، وأما أنت يا عبد الرحمن فصاحب قراريط، وأما أنت يا سعد فتدق عن أن تذكر، قال: ثم خرج، فقال عثمان: أما كان فيكم أحد يردّ عليه؟ قالوا: وما منعك من ذلك، وأنت أمير المؤمنين، وتفرّقوا.[1]

قال عوانة: قال إسماعيل: قال الشعبي: فحدثني عبد الرحمن بن جندب عن أبيه جندب بن عبد الله الأزدي، قال: كنت جالساً بالمدينة حيث بويع عثمان، فجئت فجلست إلى المقداد بن عمرو، فسمعته يقول: والله ما رأيت مسلماً أتى به إلى أهل هذا البيت، وكان عبد الرحمن بن عوف جالساً، فقال: وما أنت وذاك يا مقداد، قال المقداد: إني والله أُحبّهم لحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وإني لأعجب من قريش وتطاولهم على الناس بفضل رسول الله، ثم انتزاعهم سلطانه عن أهله، قال عبد الرحمن: أما والله لقد أجهدت نفسي لكم، قال المقداد: أما والله لقد تركت رجلاً من الذين يأمرون بالحق وبه يعدلون، أما

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد٥٦/٩.

والله ولو إن لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إيّاهم ببدر وأُحد، فقال عبدالرحمن: ثكلتك أُمّك لا يسمعنّ هذ الكلام الناس، فإني أخاف أن تكون فتنة وفرقة، قال المقداد: إن من دعا إلى الحق وأهله وولاة الأمر لا يكون صاحب فتنة، ولكن من أقحم الناس في الباطل، وآثر الهوى على الحق فذلك صاحب الفتنة والفرقة، قال: فتربّد وجه عبد الرحمن، ثم قال: لو أعلم أنك إياي تعني لكان لي ولك شأن، قال المقداد: إيّاي تهدّد يا ابن أُم عبد الرحمن، ثم قام فأنصرف، قال جندب بن عبد الله فاتّبعته، وقلت له: يا عبد الله أنا من أعوانك، فقال: رحمك الله، إن هذا الأمر لا يغني فيه الرجلان ولا الثلاثة، قال: فدخلت من فوري ذلك على علي عليه السلام، فلما جلست إليه، قلت: يا أبا الحسن والله ما أصاب قومك بصرف هذا الأمر عنك، فقال: صبر جميل، والله المستعان، فقلت: إنك لصبور، قال: فإن لم أصبر فماذا أصنع؟ قلت: جلست إلى المقداد بن عمرو آنفاً وعبد الرحمن بن عوف، فقالا كذا وكذا، ثم قام المقداد فاتّبعته فقلت له كذا، فقال لي كذا، فقال علي عليه السلام: لقد صدق المقداد، فما أصنع؟ فقلت: تقوم في الناس فتدعوهم إلى نفسك، وتخبرهم أنك أولى بالنبي صلى الله عليه وآله، وتسألهم النصر على هؤلاء المظاهرين عليك، فإن أجابك عشرة من مائة شددت على الباقين، فإن دانوا لك فذاك وإلاّ قاتلتهم وكنت أولى بالعذر، قتلت أو بقيت، وكنت أعلى عند الله حجة، فقال: أترجو يا جندب من كل عشرة واحد؟ قلت: أرجو ذلك، قال: لكني لا أرجو ذلك، لا والله ولا من المائة واحد، وسأُخبرك أن الناس إنما ينظرون إلى قريش

فيقولون هم قوم محمد وقبيلته، وأما قريش بينها فتقول إن آل محمد يرون لهم الناس بنبوّته فضلاً، ويرون أنهم أولياء هذا الأمر دون قريش، ودون غيرهم من الناس، وأنهم إن ولّوه لم يخرج السلطان منهم إلى أحد أبداً، ومتى كان في غيرهم تداولته قريش فيما بينها، لا والله لا يدفع الناس هذا الأمر طائعين أبداً، فقلت: جعلت فداك، يا ابن عم رسول الله، لقد صدعت قلبي بهذا القول، فلا أرجع إلى مصر فآذن الناس بمقالتك، وأدعوا الناس إليك، فقال: يا جندب ليس هذا زمان ذاك، فأنصرفت إلى العراق، فكنت أذكر فضل علي على الناس، فلا أعدم رجلاً يقول لي ما أكره، وأحسن ما أسمعه قولاً من يقول دع عنك هذا، وخذ فيما ينفعك، فأقول إن هذا ينفعني وينفعك، فيقوم عني ويدعني.[1]

وزاد أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري حتى رفع ذلك من قولي إلى الوليد بن عقبة والينا، فبعث إليّ فحبسني حتى تكلم فيّ فخلّى سبيلي.

قال: قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز: وحدثنا أحمد، قال: حدثني سعيد بن كثير، قال: حدثني ابن لهيعة أن رسول الله ﷺ توفى وأبو ذر غائب، فقدم وقد ولي أبو بكر، فقال: أصبتم قناعة، وتركتم قرامة، لو جعلتم هذا الأمر في أهل بيت نبيّكم ما أختلف عليكم اثنان.

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٦/٩.

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبه، قال: حدثنا أبو قبيصة محمد بن حرب، قال: لما توفى النبي صلى الله عليه وآله وجرى في السقيفة ما جرى تمثّل علي عليه السلام :

وأصبح أقوام يقولون ما اشتهوا   ويطغون لما غال زيداً غوائله[1]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٥٨/٩.

الباب
الثامن والستون
في فضل شيعة أمير المؤمنين ومحبيه عليه السلام

ابن أبي الحديد قال: قال صاحب كتاب الغارات قال: روى يونس بن أرقم، عن زيد بن أبي زيد، عن أبي فاختة مولى أُم هاني، قال: كنت عند علي عليه السلام وقد أتاه رجل عليه زي السفر، فقال: يا أمير المؤمنين إني أتيتك من بلدة ما رأيت لك محباً، قال: من أين أتيت؟ قال: من البصرة، قال: أما إنهم لو يستطيعون أن يحبوني لأحبوني، إني وشيعتي في ميثاق الله، لا يزداد فينا رجل، ولا ينقص إلى يوم القيامة.[1]

قال: وروى أبو غسان النهدي قال: دخل قوم من الشيعة على علي عليه السلام في الرحبة، وهو على حصير خلق، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: حبّك يا أمير المؤمنين، قال: أما إنه من أحبّني رآني حيث يحب أن يراني، ومن أبغضني رآني حيث يكره أن يراني، قال: ما عبد الله أحد قبلي إلاّ نبيّه عليه السلام، ولقد هجم أبو طالب علينا وأنا وهو ساجدان، فقال: أو فعلتموها، ثم قال لي وأنا غلام: ويحك انصر ابن عمك، ويحك لا تخذله، وجعل يحثني على مؤازرته

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩٤/٤.

ومكانفته، فقال له رسول الله ﷺ: أفلا تصلّي أنت يا عم معنا؟ فقال: لا أفعل يا ابن أخي، لا تعلوني استي، ثم انصرف.[١]

وروى جعفر بن الأحمر، عن مسلم بن الأعور، عن حبّة العرني، قال: قال علي عليه السلام: من أحبّني كان معي، أما إنك لو صمت الدهر كله، وقمت الليل كله، ثم قتلت بين الصفا والمروة، وقال: بين الركن والمقام، لما بعثك الله إلاّ مع هواك بالغاً ما بلغ، إن في جنة ففي جنة، وإن في نار ففي نار.[٢]

وروى جابر الجعفي، عن علي عليه السلام أنه قال: من أحبّنا أهل البيت فليستعد عدّة للبلاء.[٣]

وروى أبو الأحوص، عن أبي حيّان، عن علي عليه السلام أنه قال: يهلك فيّ رجلان محب غال، ومبغض قال.[٤]

وروى حماد بن صالح، عن أيّوب، عن أبي كهمس، عن علي عليه السلام، قال: يهلك فيّ ثلاثة اللاعن، والمستمع المقرّ، وحامل الوزر، وهو الملك المترف الذي يتقرّب إليه بلعني، ويبرأ عنده من ديني، وينتقص عنده لحبي، وإنما حبي لحب رسول الله ﷺ، وديني دينه، وينجو فيّ ثلاثة من أحبني،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠٤/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠٥/٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠٥/٤.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠٥/٤.

وأحب محبي، ومن عادى عدوي، فمن أشرب قلبه بغضي، وألّب عليّ، أو انتقصني، فليعلم أن الله عدوه، وجبرئيل، والله عدو الكافرين.[١]

قال: روى محمد بن الصلت، عن محمد بن الحنفية، قال: من أحبّنا نفعه الله بحبنا، ولو كان أسيراً بالديلم.[٢]

وروى أبو صادق، عن ربيعة بن ناجد، عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إن في قلبك لشبهاً من عيسى بن مريم، أحبّته النصارى حتى أنزلته بالمنزلة التي ليست له، وأبغضته اليهود حتى بهتت أمه.[٣]

قال: وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من سرّه أن يحيا حياتي، ويموت موتتي، ويتمسّك بالقضيب الياقوتة التي خلقها[٤] الله تعالى بيده، ثم قال لها: كوني فكانت، فليتمسك بولاء علي بن أبي طالب.

ذكره أبو نعيم الحافظ في كتاب حلية الاولياء،[٥] ورواه أبو عبد الله بن حنبل في المسند، وفى كتاب فضائل علي بن أبى طالب، وحكاية لفظ أحمد

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٥/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٥/٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٠٥/٤.

[٤] - ما بعد هذه الكلمة مقطوع من أصل النسخة وإنما اضفناه من كتاب شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد.

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٨/٩ ، حلية الاولياء ١٧٤/٤.

﴿رضى الله عنه﴾: من أحب أن يتمسك بالقضيب الاحمر الذي غرسه الله في جنة عدن بيمينه ، فليتمسك بحب علي بن أبي طالب.[١]

الخبر السادس: والذى نفسي بيده، لولا أن تقول طوائف من أمتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمر بملأ من المسلمين إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة.[٢]

ذكره أبو عبد الله أحمد بن حنبل في المسند.

الخبر السابع: خرج ﷺ على الحجيج عشية عرفة، فقال لهم: إن الله قد باهى بكم الملائكة عامة، وغفر لكم عامة، وباهى بعلي خاصة، وغفر له خاصة، إنى قائل لكم قولاً غير محاب فيه لقرابتي، إن السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته.[٣]

رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في كتاب فضائل على عليه السلام،[٤] وفي المسند أيضاً.

الخبر الثامن: رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في الكتابين المذكورين: أنا أول من يدعى به يوم القيامة، فأقوم عن يمين العرش في ظله، ثم أكسى حلة، ثم يدعى بالنبيين بعضهم على أثر بعض، فيقومون عن يمين

---

[١] - فضائل الصحابة ٦٦٤/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٨/٩.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٨/٩.

[٤] - فضائل الصحابة ٦٥٨/٢.

العرش، ويكسون حللاً، ثم يدعى بعلي ابن أبي طالب لقرابته مني ومنزلته عندي، ويدفع إليه لوائي لواء الحمد، آدم ومن دونه تحت ذلك اللواء.[١]

ثم قال لعلي: فتسير به حتى تقف بيني وبين إبراهيم الخليل، ثم تكسى حلة ، وينادى مناد من العرش: نعم العبد أبوك إبراهيم! ونعم الأخ أخوك علي، أبشر فإنك تدعى إذا دعيت، وتكسى إذا كسيت، وتحيا إذا حييت.[٢]

الخبر التاسع: يا أنس، اسكب لي وضوءاً، ثم قام فصلى ركعتين، ثم قال: أول من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتقين، وسيد المسلمين، ويعسوب الدين، وخاتم الوصيين، وقائد الغر المحجلين.

قال أنس: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، وكتمت دعوتي، فجاء علي، فقال: صلى الله عليه وسلم: من جاء يا أنس؟ فقلت: علي، فقام إليه مستبشراً، فاعتنقه، ثم جعل يمسح عرق وجهه، فقال علي: يا رسول الله، ﴿صلى الله عليك وآلك﴾، لقد رأيت منك اليوم تصنع بي شيئاً ما صنعته بي قبل! قال: وما يمنعني وأنت تؤدي عني، وتسمعهم صوتي، وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه بعدى.[٣]

رواه أبو نعيم الحافظ في حلية الاولياء.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٩/٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٩/٩.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٩/٩.

[٤] - حلية الاولياء ٦٣/١.

الخبر العاشر: ادعوا لي سيد العرب علياً، فقالت عائشة: ألست سيد العرب؟ فقال: أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب، فلما جاء أرسل إلى الأنصار فأتوه، فقال لهم: يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هذا علي، فأحبوه بحبي، وأكرموه بكرامتي، فإن جبرائيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل.[١]

رواه الحافظ أبو نعيم في حلية الاولياء.[٢]

الخبر الحادى عشر: مرحباً بسيد المؤمنين، وإمام المتقين، فقيل لعلي عليه السلام: كيف شكرك؟ فقال: أحمد الله على ما آتاني، وأسأله الشكر على ما أولاني وأن يزيدني مما أعطاني.[٣] ذكره صاحب الحلية أيضاً.[٤]

الخبر الثاني عشر: من سره أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالائمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهماً وعلماً، فويل للمكذبين من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي.[٥]

ذكره صاحب الحلية أيضاً.[٦]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٠/٩.

[٢] - حلية الاولياء ٦٣/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٠/٩.

[٤] - حلية الاولياء ٦٦/١.

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٠/٩.

[٦] - حلية الاولياء ٨٦/١

الخبر الثالث عشر: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في سرية، وبعث علياً عليه السلام في سرية أخرى، وكلاهما إلى اليمن، وقال: إن اجتمعتما فعلي على الناس، وإن افترقتما فكل واحد منكما على جنده، فاجتمعا وأغارا وسبيا نساء، وأخذا أموالاً، وقتلا ناساً، وأخذ علي جارية فأختصها لنفسه، فقال خالد لاربعة من المسلمين، منهم بريدة الاسلمي: اسبقوا إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فأذكروا له كذا، وأذكروا له كذا، لأمور عددها على علي، فسبقوا إليه فجاء واحد من جانبه، فقال: إن علياً فعل كذا، فأعرض عنه، فجاء الآخر من الجانب الاخر، فقال: إن علياً فعل كذا، فأعرض عنه، فجاء بريدة الاسلمي فقال: يا رسول الله، إن علياً فعل ذلك، فأخذ جارية لنفسه، فغضب ﷺ حتى احمر وجهه، وقال: ادعوا لي علياً! يكررها، إن علياً مني، وأنا من علي، وإن حظه في الخمس أكثر مما أخذ، وهو ولي كل مؤمن من بعدي.[١]

رواه أبو عبد الله أحمد في المسند غير مرة،[٢] ورواه في كتاب فضائل علي،[٣] ورواه أكثر المحدثين.

الخبر الرابع عشر: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم قسم ذلك فيه وجعله جزأين، فجزء أنا، وجزء علي.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧٠/٩.

[٢] - مسند احمد ٤٣٧/٤.

[٣] - فضائل الصحابة ٦٨٩/٢.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧١/٩.

رواه أحمد في المسند، وفي كتاب فضائل علي عليه السلام،[١] وذكره صاحب كتاب الفردوس وزاد فيه: ثم انتقلنا حتى صرنا في عبد المطلب، فكان لي النبوة، ولعلي الوصية.

الخبر الخامس عشر: النظر إلى وجهك يا علي عبادة، أنت سيد في الدنيا، وسيد في الآخرة، من أحبك أحبني، وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، الويل لمن أبغضك.[٢]

رواه أحمد في المسند، قال: وكان ابن عباس يفسره، ويقول: إن من ينظر إليه يقول: سبحان الله! ما أعلم هذا الفتى! سبحان الله ما أشجع هذا الفتى! سبحان الله، ما أفصح هذا الفتى![٣]

الحديث السادس عشر: لما كانت ليلة بدر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من يستقي لنا ماء؟ فأحجم الناس، فقام علي فأحتضن قربة، ثم أتى بئراً بعيدة القعر مظلمة، فأنحدر فيها، فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل وإسرافيل: أن تأهبوا لنصر محمد وأخيه وحزبه، فهبطوا من السماء، لهم لغط يذعر من يسمعه، فلما حاذوا البئر، سلموا عليه من عند آخرهم إكراماً له وإجلالاً.[٤]

---

[١] - فضائل الصحابة ٦٦٢/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧١/٩.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧١/٩.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧٢/٩.

رواه أحمد في كتاب فضائل علي عليه السلام، وزاد فيه في طريق أخرى عن أنس بن مالك: لتؤتين يا علي يوم القيامة بناقة من نوق الجنة فتركبها، وركبتك مع ركبتي، وفخذك مع فخذي حتى تدخل الجنة.[1]

الحديث السابع عشر: خطب صلى الله عليه وآله الناس يوم جمعة، فقال: أيها الناس، قدموا قريشاً ولا تقدموها، وتعلموا منها ولا تعلموها، قوة رجل من قريش تعدل قوة رجلين من غيرهم، وأمانة رجل من قريش تعدل أمانة رجلين من غيرهم.

أيها الناس، أوصيكم بحب ذي قرباها، أخي وابن عمي علي بن أبي طالب، لا يحبه إلاّ مؤمن، ولا يبغضه إلاّ منافق، من أحبه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني عذبه الله بالنار.

رواه أحمد ﴿رضي الله عنه﴾ في كتاب فضائل على عليه السلام.[2]

الحديث الثامن عشر: الصديقون ثلاثة: حبيب النجار، الذي جاء من أقصا المدينة يسعى، ومؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، وعلي بن أبي طالب، وهو أفضلهم.[3] رواه أحمد في كتاب فضائل على عليه السلام.[4]

---

[1] - فضائل الصحابة ٦١٢/٢.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٢/٩.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٢/٩.

[4] - فضائل الصحابة ٦٢٧/٢و ٦٥٥/٢.

الحديث التاسع عشر: أعطيت في على خمساً، هن أحب إليّ من الدنيا وما فيها، أما واحدة فهو كاب بين يدي الله عز وجل حتى يفرغ من حساب الخلائق، وأما الثانية فلواء الحمد بيده آدم ومن ولد تحته، وأما الثالثة فواقف على عقر حوضي، يسقي من عرف من أمتي، وأما الرابعة فساتر عورتي ومسلمي إلى ربي، وأما الخامسة فإني لست أخشى عليه أن يعود كافراً بعد إيمان، ولا زانياً بعد إحصان.[1] رواه أحمد في كتاب الفضائل.[2]

الحديث العشرون: كانت لجماعة من الصحابة أبواب شارعة في مسجد الرسول ﷺ، فقال ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ يوماً: سدوا كل باب في المسجد إلاّ باب علي، فسدت، فقال في ذلك قوم حتى بلغ رسول الله ﷺ فقام فيهم، فقال: إن قوماً قالوا في سد الأبواب، وتركي باب علي، إني ما سددت ولا فتحت، ولكني أمرت بأمر فاتبعته.[3] رواه أحمد في المسند مراراً،[4] وفى كتاب الفضائل.[5]

الحديث الحادى والعشرون: دعا ﷺ علياً في غزاة الطائف فأنتجاه، وأطال نجواه حتى كره قوم من الصحابة ذلك، فقال قائل منهم: لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه، فبلغه ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ ذلك فجمع منهم قوماً، ثم قال:

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٢/٩.

[2] - فضائل الصحابة ٦٦١/٢.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٣/٩.

[4] - مسند احمد ٣٦٩/٤.

[5] - فضائل الصحابة ٥٨١/٢.

إن قائلاً قال لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه، أما إني ما انتجيته، ولكن الله انتجاه.[١]

رواه أحمد رَحِمَهُ اللهُ في المسند.

الحديث الثاني والعشرون: اخصمك يا علي بالنبوة فلا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع، لا يجاحد فيها أحد من قريش، أنت أولهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسوية، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم عند الله مزية.[٢]

الخبر الثالث والعشرون: قالت فاطمة: إنك زوجتني فقيراً لا مال له، فقال: زوجتك أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً، ألا تعلمين أن الله اطلع إلى الأرض اطلاعة، فاختار منها أباك، ثم اطلع إليها ثانية فاختار منها بعلك.[٣] رواه أحمد في المسند.

الحديث الرابع والعشرون: لما أنزل ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح**﴾ بعد انصرافه عليه السلام من غزاة حنين، جعل يكثر من سبحان الله! أستغفر الله، ثم قال: يا على إنه قد جاء ما وعدت به، جاء الفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وإنه ليس أحد أحق منك بمقامي، لقدمك في الاسلام، وقربك مني، وصهرك، وعندك سيدة نساء العالمين، وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب عندي حين

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٣/٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٣/٩.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٤/٩.

نزل القرآن، فأنا حريص على أن أراعي ذلك لولده.[١] رواه أبو إسحاق الثعلبي في تفسير القرآن.[٢]

وأعلم أنا إنما ذكرنا هذه الأخبار هاهنا، لأن كثيراً من المنحرفين عنه عليه السلام إذا مروا على كلامه في نهج البلاغة وغيره المتضمن التحدث بنعمة الله عليه من اختصاص الرسول له صلى الله عليه وآله، وتمييزه إياه عن غيره، ينسبونه إلى التيه والزهو والفخر، ولقد سبقهم بذلك قوم من الصحابة.

قيل لعمر: ول علياً أمر الجيش والحرب، فقال: هو أتيه من ذلك!

وقال زيد بن ثابت: ما رأينا أزهى من علي وأسامة!

فأردنا بإيراد هذه الأخبار ها هنا عند تفسير قوله: نحن الشعار والأصحاب، ونحن الخزنة والأبواب، أن ننبه على عظم منزلته عند الرسول صلى الله عليه وآله، وأن من قيل في حقه ما قيل لو رقى إلى السماء، وعرج في الهواء، وفخر على الملائكة والأنبياء، تعظماً وتبجحاً، لم يكن ملوماً، بل كان بذلك جديراً، فكيف وهو عليه السلام لم يسلك قط مسلم التعظم والتكبر في شيء من أقواله ولا من أفعاله، وكان ألطف البشر خلقاً، وأكرمهم طبعاً، وأشدهم تواضعاً، وأكثرهم احتمالاً، وأحسنهم بشراً، وأطلقهم وجهاً، حتى نسبه من نسبه إلى الدعابة والمزاح، وهما خلقان ينافيان التكبر والاستطالة، وإنما كان يذكر أحياناً ما يذكره من هذا النوع، نفثة مصدور، وشكوى مكروب، وتنفس

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧٤/٩.

[٢] - تفسير الثعلبي

مهموم، ولا يقصد به إذا ذكره إلاّ شكر النعمة، وتنبيه الغافل على ما خصه الله به من الفضيلة، فإن ذلك من باب الأمر بالمعروف، والحض على اعتقاد الحق والصواب في أمره، والنهي عن المنكر الذي هو تقديم غيره عليه في الفضل، فقد نهى الله سبحانه عن ذلك فقال: ﴿**أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون**﴾.[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧٤/٩.

الباب
التاسع والستون
في السب والبراءة منه عليه السلام للتقية

المسألة الرابعة: أن يقال : كيف قال عليه السلام: فأما السب فسبوني، فإنه لي زكاة، ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تبرءوا مني.

وأي فرق بين السب والبراءة؟ وكيف أجاز لهم السب، ومنعهم عن التبرؤ ، والسب أفحش من التبرؤ![1]

والجواب: أما الذى يقوله أصحابنا في ذلك، فإنه لا فرق عندهم بين سبه والتبرؤ منه، في أنهما حرام وفسق وكبيرة، وأن المكره عليهما يجوز له فعلهما عند خوفه على نفسه، كما يجوز له إظهار كلمة الكفر عند الخوف.[2]

ويجوز ألا يفعلهما وإن قتل، إذا قصد بذلك إعزاز الدين، كما يجوز له أن يسلم نفسه للقتل، ولا يظهر كلمة الكفر إعزاز للدين، وإنما استفحش عليه السلام البراءة، لأن هذه اللفظة ما وردت في القرآن العزيز إلاّ عن المشركين، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين**﴾، وقال تعالى: ﴿**إن الله بريء من المشركين ورسوله**﴾، فقد صارت بحسب العرف الشرعي مطلقة على المشركين خاصة، فإذن يحمل هذا

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٣/٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٣/٤.

النهي على ترجيح تحريم لفظ البراءة على لفظ السب، وإن كان حكمهما واحداً، أ لا ترى أن إلقاء المصحف في القذر أفحش من إلقاء المصحف في دن الشراب، وإن كانا جميعاً محرمين، وكان حكمهما واحداً.[١]

فأما الإمامية فتروي عنه عليه السلام أنه قال: إذا عرضتم على البراءة منا فمدوا الأعناق.

ويقولون: إنه لا يجوز التبرؤ منه، وإن كان الحالف صادقاً، وإن عليه الكفارة.

ويقولون: إن حكم البراءة من الله تعالى ومن الرسول ومنه عليه السلام ومن أحد الائمة عليهم السلام حكم واحد.[٢]

ويقولون: إن الإكراه على السب يبيح إظهاره، ولا يجوز الاستسلام للقتل معه، وأما الإكراه على البراءة، فإنه يجوز معه الاستسلام للقتل، ويجوز أن يظهر التبرؤ، والأولى أن يستسلم للقتل.[٣]

المسألة الخامسة: أن يقال: كيف علل نهيه لهم على البراءة منه عليه السلام، بقوله: فإني ولدت على الفطرة، فإن هذا التعليل لا يختص به عليه السلام، لأن كل أحد يولد على الفطرة، قال النبي صلى الله عليه وآله: كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه وينصرانه.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٣/٤.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٤/٤.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٤/٤.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٥/٤.

والجواب: أنه عليه السلام علل نهيه لهم عن البراءة منه بمجموع أمور وعلل، وهي كونه ولد على الفطرة، وكونه سبق إلى الإيمان والهجرة، ولم يعلل بآحاد هذا المجموع، ومراده هاهنا بالولادة على الفطرة أنه لم يولد في الجاهلية، لأنه ولد عليه السلام لثلاثين عاماً مضت من عام الفيل، والنبي صلى الله عليه وآله أرسل لأربعين سنة مضت من عام الفيل، وقد جاء في الأخبار الصحيحة أنه صلى الله عليه وآله مكث قبل الرسالة سنين عشراً يسمع الصوت، ويرى الضوء، ولا يخاطبه أحد، وكان ذلك إرهاصاً لرسالته عليه السلام، فحكم تلك السنين العشر حكم أيام رسالته صلى الله عليه وآله، فالمولود فيها إذا كان في حجره، وهو المتولي لتربيته، مولود في أيام كأيام النبوة، وليس بمولود في جاهلية محضة، ففارقت حاله حال من يدعى له من الصحابة مماثلته في الفضل.[1]

وقد روي أن السنة التي ولد فيها علي عليه السلام هي السنة التى بديء فيها برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأسمع الهتاف من الأحجار والأشجار، وكشف عن بصره، فشاهد أنواراً وأشخاصاً، ولم يخاطب فيها بشيء.[2]

وهذه السنة هي السنة التي ابتدأ فيها بالتبتل والإنقطاع والعزلة في جبل حراء، فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة، وأنزل عليه الوحي، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتيمن بتلك السنة، وبولادة علي عليه السلام فيها، ويسميها سنة الخير، وسنة البركة، وقال لأهله ليلة ولادته، وفيها شاهد ما شاهد من الكرامات والقدرة

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٥/٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٥/٤.

الإلهية، ولم يكن من قبلها شاهد من ذلك شيئاً، لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة، وكان كما قال ﴿صلوات الله عليه﴾ فإنه عليه السلام كان ناصره، والمحامي عنه، وكاشف الغماء عن وجهه، وبسيفه ثبت دين الإسلام، ورست دعائمه، وتمهدت قواعده عليه السلام.[1]

وفي المسألة تفسير آخر، وهو أن يعني بقوله عليه السلام: فإني ولدت على الفطرة، أي على الفطرة التي لم تتغير ولم تحل، وذلك أن معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: كل مولود يولد على الفطرة، أن كل مولود، فإن الله تعالى قد هيأه بالعقل الذي خلقه فيه، وبصحة الحواس والمشاعر، لأن يعلم التوحيد والعدل، ولم يجعل فيه مانعاً يمنعه عن ذلك، ولكن التربية والعقيدة في الوالدين والإلف لإعتقادهما، وحسن الظن فيهما يصده عما فطر عليه، وأمير المؤمنين عليه السلام دون غيره، ولد على الفطرة التي لم تحل، ولم يصد عن مقتضاها مانع، لا من جانب الأبوين ولا من جهه غيرهما، وغيره ولد على الفطرة، ولكنه حال عن مقتضاها، وزال عن موجبها.[2]

ويمكن أن يفسر بأنه عليه السلام أراد بالفطرة العصمة، وأنه منذ ولد لم يواقع قبيحاً، ولا كان كافراً طرفة عين قط، ولا مخطئاً ولا غالطاً في شيء من الأشياء المتعلقة بالدين، وهذا تفسير الإمامية.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٥/٤.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٥/٤.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٥/٤.

الباب السبعون

في أن من به الأبنة فهو مبغض لأهل البيت عليهم السلام

الاصل: منها: ولو تعلمون ما أعلم، مما طوي عنكم غيبه، إذاً لخرجتم إلى الصعدات، تبكون على أعمالكم، وتلتدمون على أنفسكم، ولتركتم أموالكم لا حارس لها، ولا خالف عليها، ولهمت كل امرء منكم نفسه، لا يلتفت إلى غيرها، ولكنكم نسيتم ما ذكرتم، وأمنتم ما حذرتم، فتاه عنكم رأيكم، وتشتت عليكم أمركم، ولوددت أن الله فرق بيني وبينكم، وألحقني بمن هو أحق بي منكم، قوم والله ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، متاريك للبغي، مضوا قدماً على الطريقة، وأوجفوا على المحجة، فظفروا بالعقبى الدائمة، والكرامة الباردة.

أما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف، الذيال الميال، يأكل خضرتكم، ويذيب شحمتكم، إيه أبا وذحة.[١]

قال الرضي ﴿رحمه الله تعالى﴾: الوذحة: الخنفساء.

وهذا القول يوميء به إلى الحجاج، وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره.[٢]

---

[١] - نهج البلاغة ٢٣٠/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٨/٧.

قال في الشرح: الصعيد التراب، ويقال وجه الأرض، والجمع صعد وصعدات، كطريق وطرق وطرقات، والالتدام، ضرب النساء صدورهن في النياحة، ولا خالف عليها، لا مستخلف.

قوله: ولهمت كل امريء منكم نفسه، أي أذابته وأنحلته، هممت الشحم، أي أذبته، ويروى: ولا همت كل امريء، وهو أصح من الرواية الأولى، أهمنى الأمر، أي أحزنني، وتاه عن فلان رأيه، أي عزب وضل.

ثم ذكر أنه يود ويتمنى أن يفرق الله بينه وبينهم، ويلحقه بالنبي ﷺ وبالصالحين من أصحابه، كحمزة وجعفر عليهما السلام وأمثالهما ممن كان أمير المؤمنين يثني عليه، ويحمد طريقته من الصحابة، فمضوا قدماً، أي متقدمين غير معرجين، ولا معردين، وأوجفوا، أسرعوا، ويقال: غنيمة باردة، وكرامة باردة، أي لم تؤخذ بحرب ولا عسف، وذلك لأن المكتسب بالحرب جار في المعنى لما يلاقي ويعاني في حصوله من المشقة، وغلام ثقيف المشار إليه، هو الحجاج بن يوسف، والذيال التائه، وأصله من ذال، أي تبختر، وجر ذيله على الأرض، والميال الظالم، ويأكل خضرتكم، يستأصل أموالكم، ويذيب شحمتكم مثله، وكلتا اللفظتين استعارة.[١]

ثم قال له كالمخاطب لإنسان حاضر بين يديه: إيه أبا وذحة، إيه كلمة يستزاد بها من الفعل، تقديره: زد وهات أيضاً ما عندك، وضدها إيهاً، أي كف وأمسك.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٨/٧.

قال الرضي رحمه الله: والوذحة الخنفساء، ولم أسمع هذا من شيخ من أهل الأدب، ولا وجدته في كتاب من كتب اللغة، ولا أدري من أين نقل الرضي رحمه الله ذلك، ثم إن المفسرين بعد الرضي رحمه الله قالوا: في قصة هذه الخنفساء وجوهاً:

منها: أن الحجاج رأى خنفساء تدب إلى مصلاه، فطردها فعادت، ثم طردها فعادت، فأخذها بيده، وحذف بها، فقرصته قرصاً ورمت يده منها ورماً كان فيه حتفه.

قالوا: وذلك لأن الله تعالى قتله بأهون مخلوقاته، كما قتل نمرود بن كنعان بالبقة التي دخلت في أنفه، فكان فيها هلاكه.[١]

ومنها: أن الحجاج كان إذا رأى خنفساء تدب قريبة منه، يأمر غلمانه بإبعادها، ويقول: هذه وذحة من وذح الشيطان، تشبيهاً لها بالبعرة.[٢]

قالوا: وكان مغرى بهذا القول، والوذح، ما يتعلق بأذناب الشاة من أبعارها فيجف.[٣]

ومنها: أن الحجاج قال وقد رأى خنفساوات مجتمعات: وا عجباً لمن يقول إن الله خلق هذه! قيل: فمن خلقها أيها الامير؟ قال: الشيطان، إن ربكم لأعظم شأناً أن يخلق هذه الوذح![٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٩/٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٩/٧.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٩/٧.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٩/٧.

قالوا: فجمعها على فعل كبدنة وبدن، فنقل قوله هذا إلى الفقهاء في عصره فأكفروه.[١]

ومنها: أن الحجاج كان مثفاراً، وكان يمسك الخنفساء حية ليشفي بحركتها في الموضع حكاكه.[٢]

قالوا: ولا يكون صاحب هذا الداء إلاّ شانئاً مبغضاً لأهل البيت.

قالوا: ولسنا نقول كل مبغض فيه هذا الداء، وإنما قلنا: كل من فيه هذا الداء فهو مبغض.[٣]

قالوا: وقد روى أبو عمر الزاهد - ولم يكن من رجال الشيعة - في أماليه وأحاديثه، عن السياري، عن أبي خزيمة الكاتب، قال: ما فتشنا أحداً فيه هذا الداء إلاّ وجدناه ناصبياً.[٤]

قال أبو عمر: وأخبرني العطافي، عن رجاله، قال: سئل جعفر بن محمد عليه السلام عن هذا الصنف من الناس، فقال: رحم منكوسة، تؤتى ولا تأتي، وما كانت هذه الخصلة في ولي الله قط، ولا تكون أبداً، وإنما تكون في الكفّار والفسّاق، والناصب للطاهرين، وكان أبو جهل عمرو بن هاشم المخزومي من القوم، وكان أشدّ الناس عداوة للرسول صلى الله عليه وآله.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٩/٧.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٩/٧.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٧٩/٧.

[٤] - هذا آخر ما نقلناه من شرح ابن ابي الحديد في هذاالفصل لعدم وجوده في أصل النسخة التي بين أيدينا.

قالوا: ولذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر يا مصفر استه.[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٨٠/٧.

الباب
الحادي والسبعون
في الحوض وأن أمير المؤمنين عليه السلام الساقي والذائد وحامل اللواء يوم القيامة

[قال:] **ابن أبي الحديد**: قال أبو الفرج: فحدثني محمد بن أحمد بن عبيد، قال: حدثني الفضل إن الحسن البصري، قال: حدثنا أبو غزويه، قال: حدثنا علي بن إبراهيم، قال: حدثنا أسرى بن إسماعيل، عن الشعبي، عن سفيان بن الليل، قال أبو الفرج: وحدثني به أيضاً محمد بن الحسين الآشناندانى وعلي بن العباس المقانعي، عن عباد بن يعقوب، عن عمر بن ثابت، عن الحسن بن الحلم، عن عدي بن ثابت، عن سفيان بن الليل، قال: أتيت الحسن بن علي ﴿رضي الله عنه﴾ حين بايع معاوية فوجدته بفناء داره وعنده رهط فقلت: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين، قال: وعليك السلام يا سفيان، فنزلت فعقلت راحلتي، ثم أتيته فجلست إليه، فقال: كيف قلت يا سفيان؟ قلت: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين، فقال له: جزا هذا منك إلينا؟ قلت: أنت والله بأبي أنت وأُمّي أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة، وسلّمت الأمر إلى اللعين ابن آكلة الأكباد، ومعك مائة الف كلهم يموت دونك، وقد جمع الله عليك أمر الناس، فقال: يا سفيان إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسّكنا به، وإني سمعت علياً يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا تذهب الأيام

والليالي حتى يجمع أمر هذه الأُمة على رجل واسع السرم، ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع، لا ينظر الله إليه، ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر، وإنه لمعاوية، وإني لعرفت أن الله بالغ أمره، ثم أذّن المؤذّن، فقمنا على حالب يحلب ناقته، فتناول الإناء فشرب قائماً، ثم سقاني وخرجنا نمشي إلى المسجد، فقال لي: لَمَ جاء بك يا سفيان؟ قلت: حبكم والذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق، قال: فأبشر يا سفيان، فإني سمعت علياً يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: يرد عليّ الحوض أهل بيتي ومن أحبّهم من أُمّتي، كهاتين يعني السبابتين أو كهاتين يعني السبابة والوسطى، أحدهما تفضل على الأُخرى، أبشر يا سفيان، فإن الدنيا تسع البرّ والفاجر حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد.

قال: قال رسول الله ﷺ: أُعطيت في علي خمساً هنّ أحب إليّ من الدنيا وما فيها، أما واحدة فهو بمكاني بين يدي الله عز وجل حتى يفرغ من حساب الخلائق، وأما الثانية فلواء الحمد بيده، آدم ومن ولد تحته، وأما الثالثة فواقف على عقر حوضي يسقي من عرف من أُمّتي، وأما الرابعة فساتر عورتي، ومسلّمي إلى ربي، وأما الخامسة فإني لست أخشى عليه أن يعود كافراً بعد إيمان، ولا زانياً بعد احصان.[1] قال: رواه أحمد في كتاب الفضائل.[2]

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٤٤/١٦.

[2] - فضائل الصحابة ٦٦١/٢.

قال: قال المدائني: روى أبو الطفيل، قال: قال ﴿رضي الله عنه﴾ لمولى له: أتعرف معاوية بن خديج؟ قال: نعم، قال: فإذا رأيته فأعلمني، فرآه خارجاً من دار عمرو بن حريث، فقال: هو هذا، فدعاه، فقال: أنت الشاتم علياً عند ابن آكلة الأكباد، أما والله لئن وردت الحوض، ولن ترده، لترينّه مشمراً عن ساقيه، حاسراً عن ذراعيه يذود عنه المنافقين.[1]

قال أبو الحسن: وروى هذا الخبر أيضاً قيس بن الربيع، عن بدر بن الخليل، عن مولى الحسن ﴿رضي الله عنه﴾.

وقال: قال أبو عمرو: وروى عن سلمان الفارسي قال: أول هذه الأُمة وروداً على نبيّها الحوض، أولها إسلاماً علي بن أبي طالب.

قال أبو عمرو: ورفعه أولى، لأن مثله لا يدرك بالرأي.[2]

قال أبو عمر: فأما إسناده المرفوع قال: أحمد بن قاسم، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا الحرث بن أبي أُسامة، قال: حدثنا يحيى بن هاشم، قال: حدثنا سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن أبي صادق، عن خنيس بن القاسم، عن عليم الكندي، عن سلمان الفارسي، قال: قال رسول الله ﷺ أولكم وارداً عليّ الحوض أولكم إسلاماً علي بن أبي طالب.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٨/١٦.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١١٧/٤، الاستيعاب ٣٣٦/١.

[3] - الاستيعاب ٣٣٦/١.

وقال في الحديث أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال للأنصار: ستلقون بعدي اثرة، فإذا كان ذلك فاصبروا حتى تردوا عليّ الحوض.[1]

وروى أبو عبدالله أحمد بن حنبل في مسنده، وكتاب فضائل علي عليه السلام قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أنا أول من يدعى يوم القيامة، فأقوم عن يمين العرش في ظله، ثم أُكسى حلة، ثم يدعى بالنبيين بعضهم على إثر بعض فيقومون عن يمين العرش، ويكسون حللاً، ثم يدعى بعلي بن أبي طالب لقرابته مني ومنزلته عندي، ثم يدفع لوائي لواء الحمد، آدم ومن دونه تحت ذلك اللواء، ثم قال لعلي عليه السلام: فتسير به حتى تقف بيني وبين إبراهيم الخليل، وتكسى حلة، ثم ينادي مناد من العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك نوح، فأبشر فإنك تدعى إذا دعيت، وتكسى إذا كسيت، وتحيى إذا حييت.[2]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٢/٦.

[2] - فضائل الصحابة ٦٦٣/٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٩/٩.

الباب
الثاني والسبعون
في فضل القرآن وشرح دعائم الإيمان
وذكر حكم له عليه السلام حسان

ابن أبي الحديد قال عليه السلام اعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغشّ، والهادي الذي لا يضلّ، والمحدّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلاّ قام عنه إلاّ بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى، أو نقصان من عمى، وأعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد بعد القرآن من غنى، فاستسقوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإن فيه شفاء من كل داء، وهو الكفر والنفاق، والعمى والضلال، فاسألوا الله به، وتوجّهوا إليه بحبّه، ولا تسألوا به خلقه، ما توجّه العباد إلى الله بمثله، واعلموا أنه شافع مشفّع، وقائل مصدّق، وأنه من ينفع له القرآن يوم القيامة ينتفع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فإنه ينادي مناد يوم القيامة ألا إن كل حازن مبتلى في حزنه وعافية، علمه خير خزنة القرآن، فكونوا من خزنته وأتباعه،

واستدلّوه على ربّكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتّهموا عليه آراءكم، وأستغشوا فيه أهواءكم.[١]

قال في الشرح: اعلم أن هذا الفصل أحسن ما ورد في تعظيم القرآن وإجلاله، وقد قال الناس في هذا الباب فأكثروا في الكلام المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام، وذكر القرآن أيضاً ما رواه ابن قتيبة في كتاب عيون الأخبار عنه عليه السلام، وهو مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، طعمها طيب، ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيبة، وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن، مثل الحنظلة، طعمها وريحها منتنة.[٢]

وقال: وسئل عليه السلام عن الإيمان، فقال: الإيمان على أربع دعائم على الصبر واليقين، والعدل والجهاد، فالصبر منها على أربع شعب، على الشوق والشفق، والزهد، والترقّب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات، ومن زهد في الدنيا، استهان بالمصيبات، ومن ارتقب الموت، سارع في الخيرات، واليقين منها على أربع شعب، تبصرة الفطنة، وتأوّل الحكمة، وموعظة العبرة، وسنّة الأولين، فمن تبصر في الفطنة

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٩/١٠، نهج البلاغة ٩١/٢.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢٠/١٠.

تبينت له الحكمة، ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين.

والعدل منها على أربع شعب، على غائص الفهم، وغور العلم، وزهرة الحكمة، ورساخة الحكم، فمن فهم على غور العلم، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحلم، ومن حلم لم يفرط في أمره، وعاش في الناس حميداً.

والجهاد منها على أربع شعب، على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنأ الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شدّ ظهر المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أُنوف الفاسقين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه، ومن شنأ الفاسقين وغضب لله، غضب الله له وأرضاه يوم القيامة.

والكفر على أربع دعائم، على التعمّق والتنازع، والزيغ والشقاق، فمن تعمّق لم ينب إلى الحق، ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق، ومن زاغ شانت عنده الحسنة، وحسنت عنده السيئة، وسكر سكر الضلالة، ومن شاق وعرت عليه طرقه، وأعضل عليه أمره، وضاق مخرجه.

والشك على أربع شعب، التماري، والهول، والتردّد، والاستسلام، فمن جعل المراء ديدناً لم يصبح ليله، ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه، ومن تردّد في الريب وطأته سنابك الشياطين، ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما.[1]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٢/١٨.

قال: قال الرضي رحمه الله: وبعد هذا كلام تركنا ذكره خوف الاطالة، والخروج عن الغرض المقصود في هذا الكتاب.[١]

ومن كتاب كتبه إلى الحارث الهمداني وتمسّك بحبل القرآن وانتصحه، وأحلّ حلاله، وحرّم حرامه، وصدّق بما سلف من الحق، واعتبر بما مضى من الدنيا، لما بقي منها، فإن بعضها يشبه بعضاً، وآخرها لاحق بأوّلها، وكلها حايل مفارق، وعظم اسم الله أن يذكره على حق، وأكثر ذكر الموت، ولا تتمنى الموت إلاّ بشرط وثيق، واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه، ويكرهه لعامة المسلمين، وأحذر كل عمل في السر، ويستحي منه في العلانية، واحذر كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره، واعتذر منه، ولا تجعل عرضك غرضاً لنبال القوم، ولا تحدث الناس بكل ما سمعت به، فكفى بذلك كذباً، ولا تردّ على الناس كلما حدّثوك به، فكفى بذلك جهلاً، واكظم الغيظ، واحلم عند الغضب، وتجاوز عند المقدرة، واصفح مع الدولة، تكن لك العاقبة، واستصلح كل نعمة أنعمها الله عليك، ولا تضيّعن نعمة من نعم الله عندك، وليرى عليك أثر ما أنعم الله به عليك، وأعلم أن أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمة من نفسه، وأهله وماله، وإنك ما تقدّم من خير يبق لك ذخره، وما تؤخره يكن لغيرك خيره، واحذر صحابة من يقبل رأيه،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٤٢/١٨.

وينكر عمله، فإن الصاحب معتبر بصاحبه، واسكن الأمصار العظام، فإنها جماع المسلمين، واحر منازل الغفلة والجفاء، وقلّة الأعوان على طاعة الله، واقصر رأيك على ما يعنيك، وإيّاك ومقاعد الأسواق، فإنها محاضر الشيطان، ومعاريض الفتن، وأكثر أن تنظر إلى من فضلت عليه، فإن ذلك من أبواب النكر، ولا تسافر في يوم الجمعة حتى تشهد الصلاة إلاّ قاصداً في سبيل الله أمر تعذر به، وأطع الله في جل أُمورك، فإن طاعة الله فاضلة على ما سواها، وخادع نفسك في العبادة، وارفق بها ولا تقهرها، وخذ عفوها ونشاطها إلاّ ما كان مكتوباً عليك من الفريضة، فإنه لا بدّ من قضائها، وتعاهدها عند محلّها، وإيّاك أن ينزل بك الموت، وأنت آبق من ربّك في طلب الدنيا، وإيّاك ومصاحبة الفسّاق، فإن الشرّ بالشرّ ملحق، ووقّر الله، وأحبّ أحبّاءه، واحذر الغضب، فإنه جند عظيم من جنود إبليس، والسلام.[١]

---

[١] - نهج البلاغة ١٢٩/٣.

الباب
الثالث والسبعون
في ذكر أربعة وعشرين خبراً من طريق الجمهور
في فضل أمير المؤمنين عليه السلام

ابن أبي الحديد قال: قال عليه السلام قد خاضوا بحار الفتن، وأخذوا في البدع دون السنن، وآزر المؤمنون، ونطق الضالّون المكذّبون، نحن الشعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلاّ من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمّي سارقاً.[1]

قال في الشرح: هذا الكلام متصل بكلام لم يحكه الرضي رحمه الله، وهو ذكر قوم من أهل الضلال قد كان أخذ في ذمّهم، ونعى عليهم عيوبهم، وأرز المؤمنون، أي اأنقبضوا، والمضارع يأرز – بالكسر- أرزاً وأروزاً، ورجل أروز، أي منقبض، وفي الحديث إن الإسلام ليأرز إلى المدينة، كما تأرز الحية إلى جحرها، أي تضمّ إليها وتجتمع.

ثم قال: نحن الشعار والأصحاب، يشير إلى نفسه، وهو أبداً يأتي بلفظ الجمع، ومراده الواحد، والشعار ما يلي الجسد من الثياب، فهو أقرب من سائرها إليه، ومراده الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وآله، والخزنة والأبواب يمكن أن يعني به خزنة العلم، وأبواب العلم، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله أنا مدينة العلم،

---

[1] - نهج البلاغة ٤٣/٢.

وعلي بابها، فمن أراد المدينة، فليأت الباب، وقوله فيه: خازن علمي، وتارة أُخرى عيبة علمي، ويمكن أن يريد به خزنة الجنة، وأبواب الجنة، لا يدخل الجنة إلاّ من وافى بولايتنا، فقد جاء في الخبر الشائع المستفيض أنه قسيم النار والجنة.[١]

وذكر أبو عبيد الهروي في الجمع بين الغريبين أن قوماً من أئمة العربية فسروه، فقالوا لأنه لما كان محبه من أهل الجنة، ومبغضه من أهل النار، كان بهذا الإعتبار قسيم النار والجنة.[٢]

قال أبو عبيد: وقال غير هؤلاء، بل هو قسيمهما بنفسه في الحقيقة، يدخل قوماً إلى الجنة، وقوماً إلى النار، وهذا الذي ذكره أبو عبيد أخيراً، هو يطابق الأخبار الواردة فيه، يقول للنار هذا لي فدعيه، وهذا لك فخذيه، ثم ذكر أن هذه البيوت لا تؤتى إلاّ من أبوابها قال الله تعالى: ﴿**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾.[٣]

ثم قال: من أتاها من غير أبوابها سمّي سارقاً، وهذا حق ظاهراً وباطناً، أما الظاهر، فلأن من يتسوّر البيوت من غير أبوابها هو السارق، وأما الباطن فلأن من طلب العلم من غير استاد محقق، فلم يأته من بابه، فهو أشبه بالسارق.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٥/٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٥/٩.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٥/٩.

وأعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه، وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التي آتاه الله إياها، واختصه بها، وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة، لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق ﴿صلوات الله عليه﴾ في أمره، ولست أعني الأخبار العامة السابقة التي يحتج بها الإمامية على إمامته، كخبر الغدير، والمنزلة، وقصة براءة، وخبر المناجاة، وقصة خيبر، وخبر الدار بمكة في ابتداء الدعوة، ونحو ذلك، بل الأخبار الخاصة التي رواها أئمة الحديث التي لم يحصل أقلّ القليل منها لغيره، وأنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً مما رواه علماء الحديث الذي لا يتهمون فيه، وجلّهم قائلون بتفضيل غيره عليه، فروايتهم فضائله، توجب سكون النفس، ما لا يوجبه رواية غيرهم.[١]

الخبر الاول: يا علي إن الله قد زيّنك بزينة، لم يزيّن العباد بزينة أحب إليه منها، زينة الأبرار عند الله تعالى الزهد في الدنيا، جعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً، ووهب لك حب المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، ويرضون بك إماماً.[٢]

رواه أبو نعيم الحافظ في كتابه المعروف بحلية الأولياء،[٣] وزاد فيه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في المسند: فطوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك.

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٦/٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٦/٩.

[٣] - حلية الاولياء ٧١/١.

الخبر الثاني: قال لوفد ثقيف: لتسلمنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلاً مني، وقال: عديل نفسي عليه السلام فليضربن أعناقكم، وليسبينّ ذراريكم، وليأخذنّ أموالكم، قال عمر: فما تمنيت الإمارة إلاّ يومئذ، وجعلت أنصب صدري رجاء أن يقول هو هذا، فألتفت فأخذ بيد علين وقال: هو هذا مرتين.[1] رواه أحمد في المسند، ورواه في كتاب فضائل علي عليه السلام أنه قال: لتنتهينّ يا بني وليعة أو لأبعثنّ إليكم رجلاً كنفسي، يمضي فيكم أمري، يقتل المقاتلة، ويسبي الذرية، قال أبو ذر: فما راعني إلاّ برد كف عمر في حجري من خلفي يقول: من تراه يعني؟ فقلت: إنه لا يعنيك، وإنما يعني خاصف النعل بالبيت، وإنه قال: هو هذا.[2]

الخبر الثالث: إن الله عهد إلي عهداً، فقلت: وما هو بيّنه لي؟ قال: اسمع إن علياً راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، من أحبه فقد أحبني، ومن أطاعه أطاعني، فبشّره بذلك، فقلت: اللهمّ أجعل قلبه وأجعل ربيعه الإيمان، بل قال: قد فعلت ذلك غير أني مختصّه بشيء من البلاء، لم أختص به أحداً من أوليائي، فقلت: رب أخي وصاحبي، قال: إنه سبق في علمي أنه لمبتلى ومبتلي.[3]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٧/٩.

[2] - فضائل الصحابة ٥٧١/٢.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٧/٩.

ذكره أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء عن أبي بردة الأسلمي،[١] ثم رواه بإسناد آخر بلفظ آخر، عن أنس بن مالك إن رب العالمين عهد إليّ عهداً في علي أنه راية الهدى، ومنار الإيمان، وإمام أوليائي، ونور جميع من أطاعني، إن علياً أميني غداً في القيامة، وصاحب رايتي، بيد علي مفاتيح خزائن رحمة ربي.[٢]

الخبر الرابع: من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه، وإلى آدم في علمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في فطنته، وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى علي بن أبي طالب.[٣]

رواه أحمد بن حنبل في المسند، ورواه أحمد البيهقي في صحيحه.

الخبر الخامس: من سرّه أن يحيى حياتي، ويموت ميتتي، ويتمسّك بالقضيب الياقوتة التي خلقها الله بيده تعالى، ثم قال لها كوني فكانت، فليتمسّك بولاء علي بن أبي طالب.[٤]

---

[١] - حلية الأولياء ٦٦/١.

[٢] - حلية الأولياء ٦٦/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٨/٩.

[٤] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٨/٩.

ذكره أبو نعيم في كتاب حلية الأولياء،[١] ورواه أحمد بن حنبل في المسند، وفي كتاب الفضائل علي بن أبي طالب، وحكاية لفظ أحمد رحمه الله من أحب أن يتمسك بالقضيب الأحمر الذي غرسه الله في جنة عدن بيمينه، فليتمسك بحب علي بن أبي طالب.

الخبر السادس: والدي نفس محمد بيده لولا أن تقول طوائف من أُمّتي ما قالت النصارى في ابن مريم لقلت فيك مقالاً لا تمر بملأ من المسلمين إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة.[٢] ذكره أبو عبدالله أحمد بن حنبل في المسند.

الخبر السابع: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله على الحجيج عشية عرفة فقال لهم: إن الله باهى بكم الملائكة عامة، وغفر لكم عامة، وباهى بعلي خاصة، وغفر له خاصة، إني قائل لكم قولاً غير محاب فيه لقرابتي، إن السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته.[٣] رواه أبو عبدالله أحمد بن حنبل في كتاب فضائل علي عليه السلام،[٤] وفي المسند أيضاً.

الخبر الثامن: رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في الكتابين المذكورين، أنا أول من يدعى به يوم القيامة، فأقوم عن يمين العرش في ظلّه،

---

[١] - حلية اولياء ٦٣/١.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٨/٩.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٨/٩.

[٤] - فضائل الصحابة ٦٥٨/٢.

فأكسى حلة، ثم يدعى بالنبيين بعضهم على اثر بعض، فيقومون عن يمين العرش ويكسون حللاً، ثم يدعى بعلي بن أبي طالب لقرابته مني، ومنزلته عندي، ثم أدفع إليه لوائي لواء الحمد، آدم ومن دونه تحت ذلك اللواء، ثم قال لعلي عليه السلام: فتسير به حتى تقف بيني وبين إبراهيم الخليل، ثم تكسى حلة وينادى مناد من العرش، نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك نوح، أبشر فإنك تدعى إذا دعيت، وتكسى إذا كسيت، وتحيى إذا حييت.[1]

الخبر التاسع: يا أنس اسكب لي وضوءاً، ثم قام فصلى ركعتين، ثم قال: أول من يدخل من هذا الباب إمام المتقين، وسيد المسلمين، ويعسوب المؤمنين، وخاتم الوصيين، وقائد الغرّ المحجّلين، قال أنس: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، وكتمت دعوتي، فجاء علي عليه السلام، فقال صلى الله عليه وآله: من جاء يا أنس؟ فقلت: علي، فقام إليه مستبشراً فأعتنقه، ثم جعل يمسح عرق وجهه، فقال علي: يا رسول الله، لقد رأيتك اليوم تصنع بي شيئاً ما صنعته بي قبل، قال: وما يمنعني، وأنت تؤدّي عني، وتسمعهم صوتي، وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه بعدي.[2] رواه أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء.[3]

الخبر العاشر: ادعو لي سيد العرب علياً، فقالت عائشة: ألست سيد العرب؟ فقال: أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب، فلما جاء أرسل إلى

---

[1] - مسند احمد ، فضائل الصحابة ٦٦٣/٢، شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٩/٩.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٦٩/٩.

[3] - حلية الاولياء ٦٣/١.

الأنصار فأتوه، فقال لهم: يا معشر الأنصار، ألا أدلّكم على ما أن تمسكتم به لن تضلّوا أبداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: علي فأحبّوه بحبي، وأكرموه بكرامتي، ثم قال: جبرئيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل.[١] رواه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء.[٢]

الخبر الحادي عشر: مرحباً بسيد المؤمنين، وإمام المتقين، فقيل لعلي: كيف شكرك؟ فقال: الحمد لله على ما آتاني، وأسأله الشكر على ما أولاني، وأن يزيدني مما أعطاني.[٣] ذكره صاحب الحلية أيضاً.[٤]

الخبر الثاني عشر: من سرّه أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن التي غرسها لي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتدي بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، فرزقوا فهماً وعلماً، فويل للمكذّبين من أُمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي.[٥] ذكره صاحب الحلية أيضاً.[٦]

الخبر الثالث عشر: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في سرية وبعث علياً عليه السلام في سرية أُخرى، وكلاهما إلى اليمن، وقال: إن اجتمعتما

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٠/٩.

[٢] - حلية الاولياء ٦٣/١.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٠/٩.

[٤] - حلية الاولياء ٦٦/١.

[٥] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٠/٩.

[٦] - حلية الاولياء ٨٦/١

فعلي على الناس، وإن افترقتما فكل واحد منكما على جنده، فأجتمعا وأغارا، وسبيا نساء، وأخذا أموالاً، وقتلا ناساً، فأخذ علي عليه السلام جارية فأختصها لنفسه، فقال خالد لأربعة من المسلمين منهم بريدة الأسلمي، استبقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأذكروا له كذا، وأذكروا له أموراً عدّدها على علي عليه السلام، فسبقوا إليه، فجاء أحد من جانبه، فقال: إن علياً فعل كذا، فأعرض عنه، فجاء الآخر من الجانب الآخر، فقال: إن علياً فعل كذا، فأعرض عنه، فجاء بريدة الأسلمي فقال: يا رسول الله، إن علياً فعل كذا، وأخذ جارية لنفسه، فغضب صلى الله عليه وآله حتى احمرّ وجهه، وقال: ادعو لي علياً، يكرّرها، إن علياً منين وأنا من علي، وإن حظّه في الخمس أكثر فما أخذ، وهو ولي كل مؤمن بعدي.[1] أبو عبد الله أحمد في المسند غير مرة، ورواه في كتاب فضائل علي عليه السلام، ورواه أكثر المحدّثين.

الخبر الرابع عشر: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر الف عام، فلما خلق آدم قسّم ذلك النور فيه، وجعله حزءين، فجزء أنا، وجزء علي.[2] رواه أحمد في المسند، وفي كتاب فضائل علي عليه السلام،[3] وذكره صاحب كتاب الفردوس وزاد فيه: ثم انتقلنا حتى صرنا في عبد المطلب، فكان لي النبوة، ولعلي الوصية.

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٠/٩.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧١/٩.

[3] - فضائل الصحابة ٦٦٢/٢.

الخبر الخامس عشر: النظر إلى وجهك يا علي عبادة، أنت سيد في الدنيا، وسيد في الآخرة، من أحبّك أحبّني، وحبيبي حبيب الله، وعدوّك عدوي، وعدوي عدو الله، الويل لمن أبغضك.[1] رواه أحمد في المسند.

قال: وكان ابن عباس يفسّره فيقول: إن من ينظر إليه يقول، سبحان الله ما أعلم هذا الفتى، سبحان الله ما أشجع هذا الفتى، سبحان الله ما أفصح هذا الفتى.[2]

الخبر السادس عشر: لما كان ليلة بدر قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من يستقي لي ماء، فأحجم الناس، فقام علي فأحتضن قربة، ثم أتى بئراً بعيدة القعر مظلمة، فأنحدر فيها، فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل واسرافيل، أن تأهّبوا لنصر محمد، وأخيه وحزبه، فهبطوا من السماء لهم لغطة تذهل من يسمعه، فلما حادوا إليه سلّموا عليه من عند آخرهم اكراماً له وإجلالاً.[3] رواه أحمد رحمه الله في كتاب فضائل علي عليه السلام وزاد فيه في طريق آخر عن أنس بن مالك لتؤتين يا علي بناقة من نوق الجنة فتركبها، وركبتك مع ركبتي، وفخذك مع فخذي حتى تدخل الجنة.[4]

---

[1] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧١/٩.

[2] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧١/٩.

[3] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٢/٩.

[4] - فضائل الصحابة ٦١٢/٢.

الخبر السابع عشر: خطب ﷺ الناس يوم الجمعة فقال: أيّها الناس قدّموا قريشاً ولا تقدموها، وتعلّموا منها ولا تعلّموها، قوّة رجل من قريش تعدل قوّة رجلين من غيرهم، أيّها الناس أُوصيكم بحب ذي قرباها، أخي وابن عمي علي بن أبي طالب، لا يحبّه إلاّ مؤمن، ولا يبغضه إلاّ منافق، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني عذّبه الله بالنار.[١] رواه أحمد رحمه الله في كتاب فضائل علي عليه السلام.[٢]

الخبر الثامن عشر: الصدّيقون ثلاثة، حبيب ابن النجّار الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، ومؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، وعلي بن أبي طالب، وهو أفضلهم.[٣] رواه أحمد في كتاب فضائل علي عليه السلام.[٤]

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٢/٩.

[٢] - فضائل الصحابة ٦٢٢/٢.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٢/٩.

[٤] - فضائل الصحابة ٦٢٧/٢.

الخبر التاسع عشر: أُعطيت في علي خمساً هنّ أحب إليّ من الدنيا وما فيها، أما واحدة فهو بمكاني بين يدي الله عز وجل حتى يفرغ من حساب الخلائق، وأما الثانية فلواء الحمد بيده، آدم ومن ولد تحته، وأما الثالثة فواقف على عقر حوضي يسقى من عرف من أُمّتي، وأما الرابعة فساتر عورتي، ومسلمي إلى ربي، وأما الخامسة فإني لست أخشى عليه أن يعود كافراً بعد إيمان، ولا زانياً بعد إحصان.[١] رواه أحمد في كتاب الفضائل.[٢]

الخبر العشرون: كانت لجماعة من الصحابة أبواب شارعة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام يوماً: سدّوا كل باب في المسجد إلاّ باب علي فسدّت، فقال في ذلك قومه حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله فقام فيهم فقال: إن قوماً قالوا في سدّ الأبواب وتركي باب علي، إني ما سددت، ولا فتحت ولكني أُمرت بأمر فاتّبعته.[٣] رواه أحمد في المسند مراراً، وفي كتاب الفضائل.[٤]

الخبر الحادي والعشرون: دعا صلى الله عليه وآله علياً في غزاة الطائف فانتجاه وأطال نجواه حتى كره قوم من الصحابة ذلك، فقال قائل منهم: لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه، فبلغه صلى الله عليه وآله ذلك، فجمع منهم قوماً ثم قال: إن قائلاً قال لقد

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧٢/٩.

[٢] - فضائل الصحابة ٦٦١/٢.

[٣] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧٣/٩.

[٤] - فضائل الصحابة ٥٨١/٢.

أطال اليوم نجوى ابن عمه، أما إني ما انتجيته، ولكن الله انتجاه.[١] رواه أحمد في المسند.

الخبر الثاني والعشرون: أخصمك يا علي بالنبوة، فلا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع لا يجاحد فيها أحد من قريش، أنت أولهم إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسوية، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم عند الله مزية.[٢] رواه أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء.[٣]

الخبر الثالث والعشرون: قالت يعني فاطمة: زوجتني فقيراً لا مال له، فقال: زوّجتك أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً، ألا تعلمين أن الله اطّلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها أباك، ثم اطّلع إليها ثانية فاختار منها بعلك.[٤] رواه أحمد في المسند.

الخبر الرابع والعشرون: لما أنزل ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ بعد انصرافه ﷺ من غزاة حنين جعل يكثر من سبحان الله، استغفر الله، ثم قال: يا علي إنه قد جاء ما وعدت به، جاء الفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وإنه ليس أحد أحق منك بمقامي، لقدمك في الإسلام، وقربك مني، وصهرك،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧٣/٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧٣/٩.

[٣] - حلية الاولياء ٦٦/١.

[٤] - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧٤/٩.

وعندك سيدة نساء العالمين، وقبل ذلك من بلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن، فأنا حريص على أن أُراعي ذلك لولده.[١] أبو إسحاق الثعلبي في تفسير القرآن.

قال عقيب هذه الأخبار ابن أبي الحديد: وأعلم أنا إنما ذكرنا هذه الأخبار هاهنا، لأن كثير من المنحرفين عنه عليه السلام إذا مروا على كلامه في نهج البلاغة وغيره، المتضمن التحدث بنعمة الله عليه من اختصاص الرسول صلى الله عليه وآله وتمييزه إياه عن غيره، ينسبونه فيه إلى التيه والزهو والفخر، ولقد سبقهم بذلك قوم من الصحابة.[٢]

قيل لعمر رحمه الله ولي علياً أمر الجيش والحرب، فقال: هو أتيه من ذلك.

وقال زيد بن ثابت: ما رأينا أزهى من علي وأُسامة.[٣]

فأردنا بإيراد هذه الأخبار هاهنا عند تفسير قوله نحن الشعار والأصحاب، ونحن الخزنة والأبواب، أن ينبّه على عظيم منزلته عند الرسول صلى الله عليه وآله، وأن من قيل في حقه ما قيل لو رقى إلى السماء، وعرج الهواء، وفخر على الملائكة والأنبياء، تعظيماً ونجحاً، لم يكن ملوماً، بل كان بذلك جديراً، فكيف وهو عليه السلام لم يسلك قطّ مسلك التعظيم والتكبّر في شيء من أقواله ولا من أفعاله، وكان ألطف البشر خلقاً، وأكرمهم طبعاً، وأشدّهم تواضعاً،

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٤/٩.

[٢] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٤/٩.

[٣] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٤/٩.

وأكثرهم احتمالاً، وأحسنهم بشراً، وأطلقهم وجهاً، حتى نسبه من نسبه إلى الدعابة والمزاح، وهما خلقان ينافيان التكبّر والاستطالة، وإنما كان يذكر أحياناً ما يذكر من هذا النوع، نفثة مصدور، وشكوى مكروب، وتنفّس مهموم، ولا يقصد به إذا ذكره إلاّ شكر النعمة، وتنبيه الغافل على ما خصه الله به من الفضيلة، فإن ذلك من باب الأمر بالمعروف، والحض على اعتقاد الحق، والصواب في أمره، والنهي عن المنكر الذي هو تقديم غيره عليه في الفضل، فقد نهى الله سبحانه عن ذلك فقال: ﴿**أَفَمَنْ يَهْدي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾.[١]

قال مؤلّف هذا الكتاب: هذا الذي ذكرناه في هذا الجزء مما أورده ابن أبي الحديد في هذا الشرح ﴿شرح نهج البلاغة﴾ رأي بالعيان، وواضح البيان، أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، هو الإمام والخليفة، والقائم مقام رسول الله صلى الله عليه وآله بعده صلى الله عليه وآله، وأن النص بالإمامة والخلافة، وأنه ولي الأمر بعده صلى الله عليه وآله، ممّا اتفق على نقله الفريقان، وذكره [الخصمان] المختلفان، والفرقتان المتباينات، نص من الله رسول صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لأن مشايخ بعض الجمهور أوّل النصوص لكي لا تحتمل غير ما دلّ عليه، تعصّباً لمذهبهم، وتكلفاً للزوم آرائهم، وصدّهم عن السبيل الهادي، والمنهج الحق البادي، ونسأل الله تعالى أن يقيمنا على الحق الواضح، والصراط

---

[١] - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ١٧٤/٩.

المستقيم اللائح، إنه على كل شيء [قدير]، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

من أمعن النظر فيما ذكرناه، وأعطى الفكر فيما أوردناه، مما ذكره عليه السلام في خطبه عليه السلام في النهج، وفسّره ابن أبي الحديد أيضاً نصه على إمامة الأئمة الأحد عشر من ولده عليهم السلام، وابن أبي الحديد ذكر في ذلك روايات وإن كان لم يذكر في حديث أنهم اثنا عشر، بل روايات مجملة لا تعدوهم، وذكر فضلهم عليهم السلام، وأعلم أني قد صنفت قبل هذا الكتاب في إمامة الأئمة الاثنى عشر بالنص من رسول الله صلى الله عليه وآله، منها كتاب الإنصاف في النص على الائمة، وأنهم اثنى عشر، وهم علي وبنيه الأحد عشر عليهم السلام من طرق العامة والخاصة ما يزيد على مائة وخمسين حديثاً، ومنها كتاب تبصرة الولي في النص الجلي، ومنها كتاب غاية المرام في النص على تعيين الإمام من طريق الخاص والعام، وهم الأئمة الاثنى عشر، وغير ذلك من الكتب الموضوعة في إمامتهم عليهم السلام، وفضلهم من طريق الخاص والعام.

وعلى هذا انقطع الكلام، والحمد لله.

وقع الفراغ من تسويد هذه الأوراق من نسخة مؤلّفه السيد الأجل الأنبل، وحيد عصره، وفريد دهره، السيد الأسعد، السيد هاشم بن السيد إسماعيل بن السيد عبد الجواد الحسيني البحراني، نهار يوم الثالث من شهر رجب الأصب على يد الفقير الجاني محمد بن يوسف بن أحمد بن صالح بن سعيد بن حسين البخيل الجمري الأوالي، غفر الله له ولوالديه ولمؤلفه ووالديه

وللمؤمنين، آمين، والحمد لله وحده، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم كثيراً.

محتويات الكتاب

مصادر التحقيق

١ - القرآن الكريم

٢ - إجازات الحديث للعلامة المجلسي ١١١١ هـ تحقيق السيد أحمد الحسيني الاشكوري، الطبعة الاولى ١٤١٠ هـ الناشر مكتبة السيد المرعشي النجفي، قم – ايران.

٣ - إجازات علماء البحرين، الشيخ محمد عيسى آل مكباس، قم المقدسة – ايران، ١٤٢٢ هـ

٤ – الاستيعاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الاولى ١٤١٢ هـ دار الجيل، بيروت – لبنان.

٥ – الأمالي، الشيخ المفيد ٤١٣ هـ تحقيق الحسين استاد ولي علي اكبر غفاري، الناشر جماعة المدرسين، قم – ايران.

٦ – أمالي، الشيخ الصدوق ٣٨١ هـ مؤسسة البعثة، ط الاولى ١٤١٧ هـ قم – ايران.

٧ – الأمالي، الشيخ الطوسي ٤٦٠ هـ مؤسسة البعثة، ط الاولى ١٤١٤، قم – ايران.

٨ - أمل الآمل، الشيخ محمد الحر العاملي ١١٠٤ هـ تحقيق السيد أحمد الحسيني الاشكوري، ١٤٠٤ هـ النجف الاشرف – العراق.

٩ - أنساب الأشراف، آحمج بن يحيد بن جابر البلاذري، تحقيق محمد باقر المحمودي، ١٣٩٤ هـ الطبعة الاولى، مؤسسة الاعلمي، بيروت لبنان.

١٠ - بحار الأنوار، العلامةالمجلسي ١١١١ هـ مؤسسة الوفاء، ط الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م، بيروت - لبنان.

١١ - بشارة المصطفى، محمد بن ابي القاسم الطبري ٥٢٥ هـ تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، الطبعة الاولى ١٤٢٠ هـ مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة - ايران.

١٢ - تاريخ دمشق، ابن عساكر ٥٧١ هـ تحقيق علي شيري، ١٤١٥ هـ دار الفكر.

١٣ - تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري، تحقيق نخبة من العلماء، مؤسسة الاعلمي، بيروت - لبنان.

١٤ - تفسير التبيان، الشيخ الطوسي ٤٦٠ هـ احمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الاولى ١٤٠٩ هـ مكتب الاعلام الاسلامي، قم - ايران.

١٥ - تفسير الصافي، الفيض الكاشاني ١٠٩١هـ تحقيق الشيخ حسين الاعلمي، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ مؤسسة الهادي، قم - ايران.

١٦ - تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي ٣٢٠ هـ تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الاسلامية، طهران - ايران.

١٧ - جامع البيان لإبن جرير الطبري، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار، دار الفكر، ١٤١٥هـ بيروت —لبنان.

١٨ - الحدائق الناضرة، يوسف بن احمد آل عصفور البحراني ١١٨٦ هـ مؤسسة النشر الاسلامي، قم —ايران.

١٩ - حلية الأولياء ابو نعيم، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ دار الكتاب العربي، بيروت —لبنان.

٢٠ - خاتمة المستدرك للنوري، تحقيق مؤسسة آل البيت، الطبعة الاولى ١٤١٥هـ قم المقدسة —ايران.

٢١ - دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري، تحقيق مؤسسة البعثة ١٤١٣هـ قم —ايران.

٢٢ - الذريعة للطهراني، ١٣٨٩هـ الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ دار الاضواء، بيروت —لبنان.

٢٣- ذيل تاريخ بغداد لإبن النجار ٦٣٧هـ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الاولى ١٤١٧هـ دار الكتب العلمية، بيروت —لبنان.

٢٤ - الشافي في الامامة، السيد المرتضى ٤٣٦ هـ مؤسسة اسماعيليان، قم المقدسة - ايران.

٢٥ - شرح احقاق الحق، السيد المرعشي الجفي، قم —ايران.

٢٦ - شرح الاخبار للقاضي النعمان المغربي ٣٦٣ هـ تحقيق السيد محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم —ايران.

٢٧ - شرح مائة كلمة لأمير الؤمنين ميثم البحراني ٦٧٩هـ مؤسسة الاعلمي، الطبعة الاولى ١٤١٢ - ١٩٩٢م، بيروت - لبنان.

٢٨ - شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٦٥٦هـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، بيروت - لبنان.

٢٩ - شواهد التنزيل للحسكاني، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ١٤١١هـ وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي - ايران.

٣٠ - صحيح البخاري، ٢٥٦هـ دار الفكر، بيروت - لبنان.

٣١ - صحيح مسلم، ٢٦١هـ دار الفكر، بيروت - لبنان.

٣٢ - العمدة لإبن البطريق، ٦٠٠هـ تحقيق جماعة المدرسين، قم المقدسة - ايران.

٣٣ - عوالم العلوم والمعارف، عبد الله بن نور الله البحراني، ١١٣٠هـ الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ تحقيق مدرسة الامام المهدي، قم - ايران.

٣٤ - فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٣٥ - الفصول المختارة للمفيد، ٤١٣ هـ تحقيق السيد مير علي شريفي، الطبعة الثانية ١٤١٤ - ١٩٩٣م، دار المفيد، بيروت - لبنان.

٣٦ - فضائل الصحابة لإبن حنبل، ٣٠٣ هـ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٣٧ - فوائد الاسفار في وصف مخطوطات علماء البحرين، الشيخ محمد عيسى آل مكباس، الطبعة الاولى ١٤١٨ هـ قم المقدسة -ايران.

٣٧ - الكافي للكليني، ٣٢٩هـ تحقيق علي اكبر غفاري، دار الكتب الاسلامية، ١٣٨٨هـ ايران.

٣٩ - كتاب الاربعين لمحمد طاهر القمي، ١٠٩٨ هـ تحقيق السيد مهدي الرجائي، الطبعة الاولى ١٤١٨ هـ قم -ايران.

٤٠ - كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ١٧٥ هـ تحقيق الدكتور مهدي المخزومي وابراهيم اسامرائي، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ دار الهجرة، ايران.

٤١- كمال الدين وتمام النعمة للصدوق ٣٨١ هـ تحقيق علي اكبر الغفاري، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ جماعة المدرسين، قم -ايران.

٤٢ - لسان العرب، ابن منظور ٧١١ هـ الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ دار احياء التراث العربي.

٤٣ - المجازات النبوية للرضي ٤٠٦ هـ تحقيق طه محمد الزيني، مكتبة بصيرتي، قم -ايران.

٤٤ - مجمع الآداب لإبن الفوطي، بيروت -لبنان.

٤٥ - مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي ١٠٨٥ هـ تحقيق السيد احمد الحسيني، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ مكتب نشر الثقافة الاسلامية، قم - ايران.

٤٦ - مستدرك الوسائل، الشيخ حسين النوري ١٣٢٠ هـ تحقيق مؤسسة آل البيت، الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ

٤٧ - مسند أحمد بن حنبل، ٢٤١ هـ دار صادر، بيروت - لبنان.

٤٨ - معجم المؤلفين كحالة، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٤٩ - مقاتل الطالبيين، ابو الفرج الاصفهاني، ٣٥٦ هـ تحقيق كاظم المظفر، دار الكتاب، قم المقدسة - ايران.

٥٠ - مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب ٥٨٨ هـ تحقيق مجموعة من علماء النجف الاشرف، النجف الاشرف - العراق.

٥١ - مناقب الخوارزمي، ٥٦٨ هـ تحقيق الشيخ مالك المحمودي، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ جماعة المدرسين قم المقدسة - ايران.

٥٢ - النزاع والتخاصم للمقريزي، ٨٤٥ هـ تحقيق السيد علي عاشور.

٥٣ - النهاية في غريب الحديث لإبن الاثير، ٦٠٦ هـ تحقيق طاهر احمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، مؤسسة اسماعيليان، قم - ايران.

٥٤ - نهج البلاغة للرضي، ٤٠٦ هـ تحقيق الشيخ محمد عبده، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٥٥ - نوادر المعجزات محمد بن جرير الطبري، تحقيق مؤسسة الامام المهدي، قم المقدسة - ايران.

٥٦ - وقعة صفين لإبن مزاحم، ٢١٢ هـ عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية ١٣٨٢ هـ

٥٧ - ينابيع المودة، القندوزي الحنفي ١٢٩٤ هـ تحقيق السيد علي جمال اشرف الحسيني، الطبعة الاولى ١٤١٦ هـ دار الاسوة، قم — ايران.